

٢٣



إبراهيم هاشم فلالي

مرصاد المرصاد

عبد الله عبد الجبار

نقد المرصاد

حسن عبد الله قرشي

النادي الأدبي - الرياض ١٤٠٠هـ

المرصاد

تأليف

إبراهيم هاشم فلالي

(١٣٢٤ - ١٣٩٤ هـ)

ومعه

مرصاد المرصاد عبد الله عبد الجبار

نقد المرصاد حسن عبدالله القرشي

النادي الأدبي - الرياض

١٤٠٠ هـ / ١٩٨٠م

كتاب الشهر (٢٣)

ذو القعدة ١٤٠٠ هـ - اكتوبر ١٩٨٠م

النادي الأدبي - الرياض

المملكة العربية السعودية - ص.ب ٨٥٣١

هاتف : ٤٧٦٦٦٣٠

★ الطبعة الثالثة معدلة ومنقحة.


بسم الله الرحمن الرحيم

عن الكتاب

صدرت الطبعة الأولى من هذا الكتاب عام ١٣٧٠ هجرية ١٩٥١ ميلادية عن مجلة المنهل في جزء واحد جاء في ٤٢ صفحة :

كما صدرت الطبعة الثانية منه عن المطبعة المنيرية بالقاهرة في ٣ أجزاء ، الأول والثاني تاريخ نشرهما ١٣٧٥ هجرية ١٩٥٦ ميلادية، وتاريخ نشر الجزء الثالث ١٣٧٤ هجرية ، ١٩٥٥ ميلادية .

ويقع الجزء الأول في ٦٣ صفحة والجزء الثاني في ٨٨ صفحة وألحق به مرصاد المرصاد لعبد الله عبد الجبار الذي شغل الصفحات من ١٨٩ إلى ١٠٨ أما الجزء الثالث فجاء في ٦٧ صفحة .

وقد لقي هذا الكتاب اهتماماً كبيراً عند نشره، فكتب عنه العديد من الأدباء والنقاد ، وناقشوا الآراء التي وردت فيه وكانت من الجرأة بحيث أنها خرجت عن المألوف في ذلك الوقت

وهذه الطبعة الثالثة للكتاب ، ننشرها بعد اجراء بعض التعديل على الطبعة الثانية ، ويتمثل التعديل في توحيد

الترقيم مع الابقاء على تقسيم الكتاب إلى ثلاثة أجزاء ، ووضع فهرس محتويات واحد ، ونقل مرصاد المرصاد من مكانه في نهاية الجزء الثاني بالطبعة الثانية إلى جزء الملاحق في هذه الطبعة ، والذي يضم أيضاً نقد المرصاد لحسن عبد الله القرشي ، وكان قد نشر في مجلة المنهل في الجزء السادس من السنة الثانية عشرة (محرم ١٣٧١ هـ/أكتوبر ١٩٥١ م) .

كما أن هذه الطبعه تضم تعريفاً بالمرحوم الفلالي كتبه ابنه إسامه الفلالي الذي تفضل مشكوراً فأذن للنادي الأدبي بالرياض بإعادة نشر الكتاب،وزودنا بنسخته من الطبعة الثانية التي تعد نادرة ، والتي أعتمدنا عليها في هذه الطبعة الثالثة .

يحيى ساعاتي

عن المؤلف

بقلم أسامه إبراهيم فلالي

ولد إبراهيم هاشم فلالي بمكة المكرمة عام ١٣٢٤ هـ .

لأسرة عربية نماها الدم الزاكي عبر الحسين وفاطمة الزهراء إلى سيد الانبياء محمد – صلى الله عليه وسلم –.

درس بالمدرسة (الصولتية) وتخرج منها بأعلى شهاداتها آنذاك .

وتلقى بها على النهج القديم علوم اللغة والبلاغة والمنطق والتفسير والحديث والفقه وسائر العلوم العربية والاسلامية .

وكانت حياته العملية سلسلة من الوظائف والاعمال . . عمل بمكة مدرساً ثم محاسبا للاسعاف الخيري،ثم قائما بأعمال الدفاع عن فلسطين . . ثم عضوا في هيئة التمييز إلى جانب الطوافة .

ولما انتقل إلى مصر افتتح دكان (عطار) فلم يصلح (العطار) حاله ولا حال ذويه فالتمس عملاً آخر،وكان أن عُين مراقباً مساعداً بدار البعثات السعودية بمصر . . . وكانت هذه آخر وظائفه الرسمية .

ثم تفرغ للأدب والبحث مستعينا بأعمال صغيرة كأدارة مقصف بمدرسة منيل الروضة[1] ، ثم بمعاش ضئيل وما كان يصله من مكة من إيرادات الوقف والطوافة

وكان كفاحه في سبيل توفير لقمة العيش لاسرته الكبيرة التي كانت تبلغ العشرين مثلاً رائعاً في الكفاح وكل همومه ومشاكله العائلية المستعصية لم تكن لتمنعه من القراءة والانتاج ونظم القريض وتحبير المقالات .

ثقافته : —

وكانت ثقافته في جوهرها عربية اسلامية مع إلمام بأطراف من ثقافة العصر .

ومكتبته عامرة بذخائر التراث الإسلامي ودواوين الشعر وكتب الأدب واللغة والتاريخ ،مع مجموعة من المترجمات الحديثة . . . وكان من عادته التعليق بخطه على هوامش الكتب التي يقرؤها كما فعل حين قرأ كتاب (تاريخ الشعوب الإسلامية) لبر وكلمان وكتاب (رأس المال) حيث كانت له تعليقات ذكية مضيئة .

---

(١) التي كان يديرها المربي الكبير الأستاذ المرحوم السيد ولي الدين أسعد رحمه الله .

آثاره : –

في التراجم :

١ – رجالات الحجاز ٢ – عمر بن أبي ربيعة

في النقد الادبي :

١ – المرصاد (ثلاثة اجزاء)

في القصة :

١ – مع الشيطان « مجموعة قصص »

في الشعر :

١ – صبابة الكأس ٢ – ألحاني

٣ – صدى الألحان . ٤ – طيور الأبابيل .

في الدراسات الإسلامية و الإحتماعية

١ – أين نحن اليوم ؟ ٢ – لا رق في القرآن .

مخطوطات لم تطبع :

١ – نداء الفطرة (بحث في صلة الدين بالعلم » .

٢ – غناء في الصحراء « ديوان شعر » .

٣ – مذكرات شخصية .

ولقد لبىّ نداء ربه في سنة ١٣٩٤ هـ بعد أن نيف على

السبعين « رحمه الله » تاركاً وراءه تراثا حياً في الشعر والنثر والبحث تعتز به البلاد . . وعسى أن يلقى من عناية الباحثين ما هو جدير به والله الموفق ،،،

أسامه إبراهيم فلالي
المحاضر بكلية الاقتصاد
جامعة الملك عبد العزيز — جدة

حرر فى/٢١/٤ / ١٤٠٠ هـ . الموافق ١٩٨٠/٣/٨ م.

المحتويات

الجزء الاول

مقدمة

ليس الأدب ملهاة يتلهى بها الناس ويعبث بها الأطفال ، وليس هو مائدة مباحة للمتطفلين . ولكنه عصارة النفوس والقلوب والعقول ، وصور للإنسانية لا يحذق تصويرها إلا اليد الصناع الماهرة ، ولا تجيد ألوانها إلا ريشة الفنان الملهـــم .

والصورة الأدبية للوجود الخالد لا يحسن تصويرها إلا الذين أوتوا القدرة عليها . وأولئك هم الأدباء الخالدون الذين لا يستطيعون إلا أن يكونوا أدباء أرادوا أم لم يريدوا ، كالنحلة التي لا يمكن إلا أن تنتج عسلا شهيا أرادت ذلك أم لم ترده ، علمت به أم لم تعلـم .

ولا يضار النحلة أن يتشبه بها الذباب ؛ ولا يضيرها أن يشاركها في ارتشاف الرحيق من الزهور كما ترشفه هي سواء بسواء ، ولكن الذباب لا يستطيع أن يفرز عسلا وليس في وسع النحلة أن تفرز شيئا غير الشهد .

وكما أن العسل الخالص من الشوائب فيه شفاء للناس . كذلك الأدب الصحيح فيه صلاح للإنسانية وسمو بها .

لأنه روحها . وهو الأفق الرحيب ، الذي تترقرق فيه النسمات النقية المنعشة .

فعلى الذين تهمهم حياة الأدب في بلادنا أن يحرصوا على أفقه الرحيب ، ولا يدعوا أبخرة الرؤوس الجوفاء تتسرب إلى نسماته العذاب النقية فتعكرها .

نحن في فجر نهضة أدبية قد آذن ضحاها بالسطوع القوي الباهر ، ولنا شبيبة ظمأى تريد أن ترتشف من مناهل الأدب ما يروي ظمأها ، وأقرب ما يرتشفه الظمآن ما كان في متناول يده من نتاج أدباء بلاده وشعرائها . وحرام على المخلصين للأدب أن يتركوا شبابهم وفتياتهم يتنهلون من الماء الرنق . فلا بد من تنقيته وتقديمه شرابا نقيا سائغا ليضمن حياة أدبية صحيحة .

وقد آن لنا الآن ألا نتجاوز عما كنا نتجاوز عنه سابقا ، وأن تصحح الموازين الأدبية تصحيحاً لا يسمح بإدخال الغش فيها .

فقد بدأت هذه البلاد نهضتها الأدبية متطلعة كغيرها إلى حياة حافلة بالمعاني السامية ، لتعيد مركزها الأدبي الذي كانت تتمتع به في ماضيها المجيد ، ولتحتل بين شقيقاتها مكانتها الأدبية المرموقة ، حتى لا تكون متخلفة عن لداتها في هذا المجال .

وقد مضى عليها ما يقرب من ثلاثين عاما وهي تقرأ وتنتج حتى كونت لها نتاجا أدبياً لا بأس به ، ويصح أن نسميه بالنسبة لمحيطنا ثروة أدبية ، وقد أفادت هذه الثروة في رفع مستوى الذوق الأدبي ، وضروري أن يرتفع هذا الذوق عن ذي قبل ، فثلاثون عاما ليست بالزمن القصير ، فهو إذا لم يرتق فيها كان كحكم المعدوم الذي لما يخلق بعد .

وللرعيل الأول من الأدباء فضل لا يجحده إلا من لم يقدر لذوي الجهود جهودهم ، ولكن ليس معنى ذلك أن هؤلاء أجادوا في كل ما كتبوه ، وكيف تتيسر لهم الجودة قبل أن تتوافر لهم أدواتها الكاملة ، فهم لا يجدون طريقا ممهداً ولا أرضاً معبدة ليبنوا عليها القصور الشواهق والحدائق الغن ، وإنما وجدوا طريقا كله صخور وحفر ، فكان همهم منصرفا لتعبيد الطريق ، كما قال المازني عن نفسه وعن زملائه من الرعيل الأول للأدباء في مصر ، وما يصدق على أولئك يصدق على هؤلاء ، ولكن الرعيل الأول من أدباء مصر لم يكفهم أن يعبدوا الطريق لبني غيرهم ويقبعوا هم في أكواخ العمال ، بل راحوا بعد أن توافرت لهم أسباب البناء يبنون القصور الشم ، ويغرسون الحدائق الفيح ، ولم يسمحوا لأنفسهم أن تكتفي بمجهودها الأول ، ولا بما نالته من شهرة ، وبذلك أثبتوا لنا أنهم كما يحسنون العمل بأداة

العامل، يحذقون العمل بريشة الفنان الماهر . وأبوا إلا أن يكونوا عمالقة الأدب العربي في عصرنا الحديث ، وسيكون من بعدهم عيالا عليهم أرادوا ذلك أم لم يريدوه .

فهل صنع رعيلنا الأول صنيع أولئك ؟؟! .

إن تحسن الإجابة على هذا السؤال بـ (نعم) فلا يحسن أن نكتفي بها ، فإننا إذا بحثنا عن مصداقها نجد كثيرين من الرعيل الأول نفضوا أيديهم من الأدب واستروحوا الراحة في البعد عنه ، كالعامل الذي علقت به الأتربة والغبار وأضناه العمل ، فنفض يديه منه ، ليستروح الراحة في ظلال كوخه الحقير .

أما الباقون فمنهم من لم يحاول تجديد نشاطه ، ليكون لنتاجه رواء العزيمة التي لا تعرف الكلال ، فجاءت آثاره مطبوعة بما ناله من جهد وضنى ، وأولئك الذين لا يحسن بنا أن نتركهم يعبثون بحرمة الأدب،ولا أن نتركهم فريسة الغرور ، بل من الرحمة بهم أن ننبههم لما وصلت إليه حالتهم من الجهد والإعياء لعلهم يعالجون أنفسهم بعد أن ينبهوا إلى الخطر المحدق بهم ، فلا نفجع بفقدهم على غرة من المجال الأدبي .

ومنهم من لم يعد صالحاً للحياة الأدبية ، وخير لهؤلاء أن يستريحوا من عناء الأدب ، ولهم في رصفائهم الذين نفضوا

أيديهم من الأدب أسوة حسنة . أما الذين ما زالوا يبذلون للأدب من نفوسهم ما يجعل آثارهم تفيض قوة وحيوية ، فأولئك الذين نضع يدنا في أيديهم متعاهدين على أن لا نترك حياتنا الأدبية يعبث بها أدعياء الأدب ومن أدركهم الكلال إلا أن يجددوا نشاطهم . لنقدم لشبابنا أدباً صحيحاً قويا نظيفاً فقد طال بنا الأمد ، ونحن نقبل الآثار على علاتها ، أما الآن فلا نقبل منها إلا كل ما يثبت للنقد ويصلح للحياة . حتى لا يبقى مجال لأحد إلا لذي الفن الصحيح ، وبذلك نأمن على مستقبل الذوق الأدبي في بلادنا ولا نصاب بالنكسة فيه ، ونمشى قدما في إشادة مجدنا الأدبي الحديث .

لقد مرت – كما قلت – ثلاثون سنة ونحن نعالج الأدب نتاجا وقراءة ، وكنا نأمل بعد هذه المدة الطويلة أن نرى أدبا أقل ما يقال في حقه إنه أدب صحيح تشيع فيه الحياة ويبشر بمستقبل طيب . أما أن نرى فيه الغثاثة ، ونلمح فيه تجرده من روح الفن الأصيل ، فهذه هي النكسة بعينها ، وذلك ما لا يحتمله المخلصون للأدب ، والمجاهدون في سبيلـه .

بعد ثلاثين سنة من كفاح أدبي – قراءة ودرساً ونتاجاً ونقداً وتمحيصاً وتوجيها – يصدر العدد الممتاز من جريدة (البلاد السعودية) بتاريخ ٣/٤/٦٦ هـ فأتناوله بلهفة . . لهفة من نأى عن بلاده ولا يزال نائياً عنها ولها في نفسه

الحنين ، ومن قلبه الحب ،فهو يعيش في مصر بجسمه ، وفي بلاده بفكره وقلبه ووجدانه ، ويتطلع إليها كما يتطلع الظليم إلى أمه ، ويستنشق روائحها في كل ما يصل إليه منها

القنـــــــــديل

وأتطلع إلى العدد الممتاز ، وأخمن أني ساجد فيه شعراً ممتازا ، ولكن طالعني أول ما طالعني العدد بعنوان (هذا سبيلي) (كذا) وهو عنوان قصيدة للأستاذ أحمد قنديل فبدأت أقرأ :

صناعتي في الورى الكلام بــــه

أحيـــا فقيراً وحرفـــتى الأدب

فإذا بشيء في أعماق نفسي يصيح بى : لا تقرأ ! فأي مطلع هذا ؟ لا براعة استهلال كما يقول علماء الأدب القدامى ، ولا جمالا في الأداء . ولا صدقا في البكاء . . إن كان مطلع البيت بكاء أو حسرة ،ولا خبراً يشوق النفس فتلتفت إليه متأثرة متطلعة . أي إحساس تستشف من وراء هذه الألفاظ المرصوصة ؟ إنه كلام ميت لا حركة فيه ولا حياة ، حتى ولا نغمة حزينة ، تحسها في الكلام كما تحسها في الكلام الذي يرسله شخص فقير الحال يقول لك : إنني فقير ، عن صدق ـــ دون أن يعمد إلى وزن الكلام ـــ إنها كلمات مرصوصة لا لتؤدي معنى يفعل في النفس ما تفعله

المعاني الكبيرة ، ولا لتعبر عن شعور من يحس بالفقر ولوعته ، ولكنها كلمات رصفت ليتم بها الوزن ، وليقول أتباع (الخليل) إنه بيت موزون . . حتّى رصف هذه الكلمات ورصها بجوار بعض لم يكن رصفاً معتني به من قائله ، وكل ما يفهمه القاريء أن هذا الأستاذ يريد أن يقول : صناعتي الكلام . . والكلام هنا ، بمعنى الأدب ، ثم يخشى أن يكون سامعه لا يفهم ذلك ، فيقول له مؤكدا : وحرفتي الأدب يعني صناعتي الأدب ، فكأنه يكرر على السامع : صناعتي الأدب صناعتي الأدب ، وبعد أن يطمئن إلى أنه أفهمك بأنه يحترف الأدب احترافا ، يقول لك إنه يحيا فقيراً ، وبمثل هـــذا التكرار الثقيل يثقل على سامعه فلا يجد بدا من أن يرد عليه : احي يا أستاذ كما شئت ، فالأدب غير ملوم في فقرك إذا كانت هذه سبيلك في الأدب والشعر .

ولكني لم أستمع لصرخة أعماقي ، وقلت في نفسي : لأستمر في القراءة ولأنتقل إلى البيت الثاني ، لعلي أجد فيه ما يحملني على التغاضي عن سوء المطلع ، فان كثيراً من الدور في بلادنا ذات مدخل يغم القلب ، ولكن إذا جاوزت مدخلها ، وجدت داخل الدار ساراً ومبهجا ، ولعل هذا مثل ذاك ، فجاء البيت الثاني تقديراً (لواقع) ، ولكن بأسلوب العامة ، لا بأسلوب شاعر . . . وإليك البيت أيها القاريء لئلا تتهمني بالتحامل :

وإنما هذه الحياة سوى كل امريءقصده بهاسبب

ولا أريد أن أقف طويلا عند هذا البيت ، فإن أي قاريء قادر على تقدير ما في البيت من أثاث ، فإلى البيت الثالث :

فكانز كنزه بهـــا لغة وكاسب كسبه بها ذهب

ونستطيع أنـــا وأنت يا قارئي العـــزيز أن ننظم على نمط هذا البيت عشرات الأبيـــات ، ونبعثها للأستـــاذ عريف لينشرها لنا في العدد الممتاز ، فهيا بنا إلى النظم على نمط القنديـــل :

وناصب نصبه بهاضعة وجائع جوعه بها رهب
وسائر سيره بها عبث وآكل أكله بها رطب
ونافث نفثه بها عجب وشاعر شعره بها كرب
ونائم نومه بها دعة ورامح رمحه بهـــا تعب
وسالخ سلخه بها وبر وجامع جمعه بها حطب
وآكل أكله بها حشف وجائع جوعه بها نصب
وقائل قوله بها خطـأ وصامت صمته بها أدب

ونستطيع أن نستمر — إلى ما شاء الله — في نظم أبيات من هذا النمط ، ولكن نخشى أن نطيل فلا يسمح الأستاذ عريف بنشر ما ننظمه في العدد الممتاز خوف الإطالة . فألف بيت على هذا النمط المرقص المطرب سهلة ميسورة ، ولو

كان الشعر هذا الذي يزعمونه وينشرونه على أنه شعر ممتاز ، لأصبح أهل مكة كلهم شعراء ممتازين .

وعدد أبيات هذه القصيدة خمسون بيتاً عدا الثلاثة أبيات المتقدمة ، وخير لي وللقاريء أن لا نأتي على آخرها لئلا تدمي أيدينا وأقدامنا من « المخشلب » الذي فيها . . وإذا لم تؤمن بأن فيها « مخشلباً » فارجع إليها في العدد الممتاز وأحرص على أناملك أن تجرح من « المخشلب » الذي فيها وأنت تقلب الجريدة بين يديك .

وكنا نريد أن ننصح للأستاذ قنديل أن ينتقل بأفكاره وعواطفه وآرائه وأحاسيسه ، وكل ما في نفسه ورأسه ، من آراء ونوازع ، إلى ميدان النثر ، فإن للشعر قيوداً لا يستطيع معها التحليق ، ولكن آثرنا أن ننظر إلى نثره فاذ هو مغلق التعبير .

وهذه نماذج من نثره ننقلها إلى القراء من مؤلفه (كما رأيتها)[1] :

« ذهبنا إلى السينما وشاهدنا فيلمين مصريين اثنين على التوالي . . . إنها استعراض حياة وأخلاق وعادات ، ومجال إرشاد ونقد وتوجيه ، ووسيلة بسط للعبرة وبعث للفكاهة والمرح والسرور ، كما هي فرصة تقليدية لقتل السآمة

---

(١) الصفحة ١٤ تحت عنوان ٣ - سينما .

وتزجية الفراغ ومحاربة الملل ، وتركيز طبائع وتوجيه أذهان وابتلاع جيوب ، فالرقابة عليها – وهي كل ذلك أثراً وتأثيراً – واجب ضروري الأداء والدوام لتتخذ مجراها النافع والمستوى اللائق والوازع النبيل الدافع إليها وعلتها في الأساس » .

وهذا مثل محموم يقول : ذهبنا إلى السوق وشاهدنا دكانين حجازيين اثنين على التوالي إنهما – أي الدكانين – استعراض بيع وشراء وفواكه ومجال زبائن ونقود وصرف ووسيلة بسط للبضاعة وبعث للربح والمكسب والزيادة ، كما هي فرصة تقليدية لقتل الإفلاس وتزجية الفاقة ومحاربة التفليس وتركيز باعة وتوجيه مشترين وابتلاع نقود ، – فالرقابة عليها وهي كل ذلك أثراً وتأثيراً – . فان كان هذا تعبيراً أدبياً فما قاله الأستاذ قنديل تعبير أدبي .

ولعلنا تحاملنا على الأستاذ في نقل هذه القطعة من كتابه ولعلها كبوة لجواد ، فلننتقل إلى مكان آخر من الكتاب عسى أن نجد فيه ما يردنا إلى إعطائه حقه كأديب ؛ يحسن النثر . فلنقرأ له تحت عنوان (غربة)[1] .

« مصر قطر عربي يزيد في تأكيد عروبته الرسمية – باللغة القانونية اليوم – تزعمه الحركة العربية وشعوبها ،

(١) ص ٤٤ .

فالإدراك والشعور بذلك وسيلتا اطمئنان لعدم الإحساس بالغربة للقاصد العربي إليه والضارب في زحمة حياته ومجاليها المختلفة ، فهل هو كذلك في كل هاته النواحي العامة والعالية منها على الأخص ؟ .

إنه في المألوف العادي والبسيط المرتقب . . . كذلك . . . ولكنه فيما عداه وهو أجمل ما في أجمل مدنه . بل إنك لتشعر لتعدد اللغات والرطانات إنك في بلد أجنبي يزوره عرب متمصرون ومصريون معدودون .

فالإفرنسية واليونانية والإيطالية والإنجليزية وهي أقلها وأقواها فاعجب ! و . . و . . هي البابلية التي تصافح سمعك باستمرار في شارع فؤاد الأول وسليمان باشا وعماد الدين وبمصر الجديدة وما قام مقامها » .

إن هذه اللغة القانونية المعقدة واللهجة البابلية المرتبكة التي يتكلم بها الأستاذ في حاجة إلى مترجم يترجم لنا معنى (البسط المرتقب) و (المألوف العادي) و (عرب متمصرون) و (مصريون معدودون) وكما أننا في حاجة إلى مترجم يترجم لنا ما لم يستطع فهمه من لغته القانونية المعقدة ، كذلك الأستاذ في حاجة إلى من يفهمه أن أحداً من الحجازيين زاروا مصر أو عاشوا فيها لم يشهدوا ما شهده الأستاذ من الرطانات المختلفة التي تطغي على اللغة العربية باللهجة المصرية العــذبة .

لا أريد الإطالة بنقل نماذج من هذا النمط ، فلدي القراء كتاب : (كما رأيتها) فليرجعوا إليه ، وأنا كفيل بأن نفوسهم ستغلق من إغلاق المعاني .. أستغفر الله .. من إغلاق الألفاظ على المعاني ، حتى لا يستطيع أحد أن يتبين من هذه الكتابة سوى ياءات النسبة التي يلصقها الأستاذ بكل لفظ من أمثال : عرقي ، وهدفي ، وتقليدي ، واستمراري ، ومظهري ، والاحراري ، والانطلاقي ، والذاتي ، إلى ما لا نهاية .. أو تلك الضمائر التي لا تقف عند حد من أمثال قوله تحت عنوان : (مباراة) :

« إلا أنها بعد هذا مجال لما تمليه دوافعها الأولى نظاماً لاستكماله وخضوعاً تهذيبياً لأوامره ونواهيه » :

« ولقد جلسنا أول ما جلسنا نحن » .. فهذه عشرة ضمائر في جملة لا تزيد عن سطرين ؛ وليس العيب عيب الضمائر المتكررة بل في شغف الأستاذ بسرد الضمائر ، أعوزه الأمر أم لم يعوزه .

والأدب فن يحتاج إلى نفس تتبصر مواقع الجمال في التعبير ، ليكون تعبيراً يستهوى القاريء إلى متابعة القراءة دون أن يجد ما يصدمه ويوقعه في ألغاز ومعميات تحتاج إلى مفاتيح ، وكدح مضن ، حتى إذا ما بذل هذا الكدح لا يجد شيئاً . ليس هذا أدباً ، إنما هو رصف كلمات ..

إن الميدان الذي يجيد الأستاذ قنديل فيه صولاته وجولاته وتنطلق فيه نفسه وتحلق ، هو ميدان الشعر (الحلمنتيشي) الذي يطرف به قراء (البلاد السعودية) فليقصر جهوده في فنه الأصيل ، فإنه إن وقف نفسه له فسيكون نابغة الشعر الفكاهي في بلادنا .

حقيقة في خيال

ولأنتقل بالقاريء إلى قصيدة أخرى في نفس العدد الممتاز بعنوان : (حقيقة في خيال) للأستاذ ضياء الدين رجب . مطلعهـــا :

مشرق يجحـــد دنيـــا الفــلق

ويغيـــم الكون إن لـــم يشرق

بيت مشرق كأول كلمة فيه ؛ وقد أتت لفظة « يجحد » كأحسن ما تأتي في المكان اللائق بها ، وهي خير من أي كلمة تؤدي معناها في هذا الوضع ، فإن الجحود أقوى أداء من الإنكار فيما لو قال : ينكر ، ولم يقل : يجحد ، ولا تقوم مقام « دنيا » في موضعها من البيت أية كلمـــة أخرى ، فهي تنقل إلى الذهن انبلاج الفلق وما يزخر به من جمال النسمة العليلة ، التي تترقرق فيه ، والأنداء كحبات اللؤلؤ على ورق الأشجار ، وزقزقة العصافير ، وهي تستقبل الصباح ، وارتعاش النجوم وهي تختفي رويداً رويداً قبل أن تدركها أشعة الشمس ، تلك هي الدنيا الساحرة الفاتنة في تلك الساعة الفاصلة بين الليل والنهار ، فكلمة « دنيا »

جمعت كل تلك الصور وألقتها في ذهن القاريء ، وجعلت خياله يعرف ما في ذلك الوجه المشرق من فتنة تجعله يجحد هذه الصور الساحرة ، وإن وجهاً يجحد هذه الدنيا لهو وجه مشرق لا شك في سحره وجماله وتعاييره وفتونه . .
ثم تصور مقدار ما يشعر به الشاعر إذا لم يشرق وجه حبيبه ، فإن شعوره يريه أن الغيم يشمل الكون وما يصحب الغيم من أزمة نفسية تدع الناس – وخصوصاً – لدينا في الحجاز ، يهرعون إلى المنتزهات ، لتفريج تلك الأزمة التي تأخذ بخناقهم من الغيم المتراكم ، الذي حجر عنهم أشعة الشمس الوهاجة . . يغيم الكون في وجه الشاعر حتى يحس بالأزمة النفسية . فإشراق الشمس لا قيمة له إذا لم يشرق في وجه حبيبه معها ، هذا هو احساس الشاعر وذلك هو شعوره ، وإنه لإحساس صادق يحس به الذين يعرفون الحب ويعرفون كيف يعبرون عن احساسهم به في أداء جميل كجمال الحب ، بسيط كبساطة الطبيعة ، رقيق كرقة قلب الشاعر ، أنيق كأناقة العاشق ، بينما يتجمل لحبيبه ، وهكذا تمشي في القصيدة فلا تجد ما يصرفك عن قراءتها ، فارجع إلى العدد الممتاز « من البلاد السعودية » فإنك واجدها فيه إذا كنت ممن يهمم جمال القول وجمال الأداء .

محـــــــاورة

وفي ذات العدد قصيدة بعنوان (محاورة) للأستاذ السيد حسن فقي مصدرة بكلمة : « قال لي وقلت له ، وتخبطت الحقيقة بين غروره وكبريائي » قبل أن نقرأ القصيدة أهمس في أذن الأستاذ السيد حسن : أن هذا التصدير ما كان له له لزوم بالمرة لأن القصيدة إن كانت شرحا مفصلا لهذا الإجمال فقد يكفي القاريء الذكي بالكلمة ، ويستغنى عن قراءة القصيدة،ولا أظن السيد الأستاذ يرضي من أذكياء القراء بذلك ، وإن كانت الكلمة في جانب ، والقصيدة في جانب آخر،فما معنى تصدير القصيدة بكلمة لا تمت إليها بسبب من الأسباب ، ثم أن روح المرحوم مصطفى صادق الرافعي تطل من وراء حروف الجملة ، وربما كانت له لفظاً ومعنى ، ولذلك وضعت بين قوسين .

وعلى كل فإن هذا التصدير لا أراه إلا بدعة في الأدب العربي ، وهي بدعة (غير ذات جمال) . وليغتفر لنا أستاذ الجبل سعادة لطفي باشا السيد إذا استعرنا تركيبه في هذا الأداء .

وعلى الشعراء أن يتخلصوا من هذه البدعة المرذولة .

ولنقرأ القصيدة التي هي الباب من بحثنا :

بعد لأي وبعد هجـــر طويـــل

زارني زورة البخيل العجـــول

ليس من خيمى مهاجمة الناس رغبة في العداء ، وللسيد الأستاذ حسن فقي مكانته ، فإن فكرت في مهاجمة أحد فهو آخر من أفكر في مهاجمته ، فلأكتف الآن بأن أقول : إن لفظ « عجول » هذه التي اختارها لأن تكون تتمة البيت وقافيته — والبيت مطلع لقصيدة طويلة ، لا عجلة ولا استعجال فيها — كانت في غير محلها ، وإذا أضيف إلى ذلك أنهـــا ليست لفظـــة شعرية،لاجـــرس ولا موسيقة فيها رأينا مبلغ الحصر الذي أصيب به الأستاذ حينما أراد أن ينظم قصيدته ، لأن معنى البيت ينتهي عندما قال الأستاذ :

بعد لأي وبعد هجـــر طويـــل

زارني زورة البخيـــــــــــل

ولكن وزن البيت لم ينته ، فاضطر إلى إقحام لفظة (عجول) ليتم الوزن ، وكيف يقول الأستاذ : زاره زورة البخيل العجول ، وهو يستمع إلى محاورته الطويلة استماع من لا يشعر بمرور الزمن ، محاورة تستغرق نهراً وربع نهر من أنهار (البلاد السعودية) فإن صح أن يكون هذا

المحبوب بخيلا فإن استماعه لقصيدة ــ استغفر الله ــ (لمحاورة) يلخصها الأستاذ في ثمانين بيتاً تنفي عنه ما يصمه به الأستاذ من عيب العجلة . .

فإذا انتقلنا من هذا البيت إلى الذي يليه نجده يقول :

خالني الــزم الفراش من الهج

ـر وأروي من الدمــوع غليــلي

ظنه حبيبه يلزم الفراش ، ولكن السيد ليس من العشاق الذين يلزمون الفراش بعد اللأي وبعد الهجر الطويل . فأعطانا السيد بكلمة « خالني » فكرة عن غباء محبوبه هذا ، المحبوب الذي لا يدري بأن الدمع لا يروي الغليل وأن المحنة والشدة والهجر الطويل لا تستطيع أن تنال من السيد ، لأن السيد أقوى من عواطف الحب الجارف الشديد الذي يعصف بالعشاق الصادقين .

أين حرارة الحب الصادق في هذا البيت ؟

أين الصدق الفني والتعبير المشرق ؟

أين لهفة العاشق الذي صحت أحلامه بزورة حبيبه بعد المحنة والشدة ؟ .

اللهم لا شيء من ذلك . فليشهد الناس .

فأنى يستبين ما يفعــل الحــب

بجسمي أو يستشف ميــولــي

جاءه مجيء الشامت به إن فعل الحب بجسمه ما يفعل الحب بأجسام أهل الغرام ، وإن لم يفعل به الحب فقد

جاءه ليستشف ميوله ومع ذلك :

قال ويح الغرام يرميك بالسقم ويلوى عليك قصد السبيل

ويجافي ما بين عينيك والنوم فيضنيك بالسهاد الطويل

أما أن يكون هذا الحبيب أعمى ، لأن السيد براء من كل ذلك،لم ينل منه الحب،ولو نالت منه عاطفة الحب الطاغية لرأينا حرارتها في شعره .

أو أن هذا الحبيب يغالط نفسه فيقول له : «ويح الغرام» الـخ .

أو هو يهزأ بالسيد وبحبه ويسخر منه . وهو الذي نرجحه ، بدليل توجيه هذه الأسئلة بلهجة الحبيب الساخر بمحبه :

هل عددت النجوم في هدأة الليل وأحصيتها بصبر جميل ؟

هل تغزلت في السماء وفي البدر وفي الشمس بالضحى والأصيل

وليمعن القاريء في قراءة هذا البيت :

حين أفلست من غرامك ثـــــرا

بمعاني الحيـــــاة والتنويـــــل

إن حبيب السيد يعرف إفـــلاس السيد من الحب ، والإفلاس من الحب لا يوحي بشعر يصح أن يقال له شعر .

والسيد الأستاذ حسن فقي يقرر معنا أنه مفلس من الحب ، وإن كان يأتي ببعض الألفاظ الدالة على مبلغ ما يلاقي من الحب فيقول :

قلـــت يا فاتني ضللت فإنــــي
ذو فـــؤاد يضيق بالتدليـــــل
يتلـــظى من وقدة الحب لـــكن
ليس يرضى منه بعيش الذليـــل

ونسى قول الشاعر الصادق :

تذلل لمن تهوى فليس الهوى سهل

ولكن السيد لايهوي حبيباً ولا يحس بحب أحد، إلا حب نفسه فقط . ولست والله ، افتري على السيد ، ولكنه هو الذي يقول :

أنا أهوى نفسي العزيزة من قبل (م)
هـــواى الجمـــال والســـراء

إن نفساً لا تهوي إلا نفسها، وتضيق بالجمال إن لم يكن فيها ، والسرور إن لم يكن نابعاً منها ، نفس جاحدة لما عداها ، تتنكر للجمال وتحقد عليه ، إن حب المرء نفسه حباً يعميه عن كل شيء ، نقص وسبة ، ونحن نجل السيد عنهما ، وكل ما نقوله إن التوفيق أخطأه في إبراز ما يريده ويرمي إليه من المعاني .

والآن فقط أحسست بأن السيد حينما صدر قصيدته بقوله : « قال لي وقلت له وتخبطت الحقيقة بين غروره

وكبريائي » يريد أن يفهمنا من قوله هذا إنه متكبر وإنما يعني بحب نفسه كبرياءه التي تخبطت بين غرور حبيبه ، كما تخبطت معانيه في ألفاظه ، وكما تخبط هو بين حب نفسه وكبريائها فلم يفرق بينهما .

وهذه كلمة أوجهها للسيد في هدوء لعله ينتفع بها : إن حب النفس غير كبرياء النفس ، فإن حب النفس يفقدها الشعور بحب الآخرين ، كما تفقد هي حب الآخرين لها . فحب المرء لنفسه يعميه عن الجمال حسا كان أو معنى، فلا يرى في الوجود غير نفسه ، أما كبرياء النفس ، فهي منقبة من المناقب التي يمدح بها الناس ، فإن الكبرياء في النفس الإنسانية يمنعها من السفالات ويعلو بها إلى مقام التضحية والسمو بها، ويدعها تحب الجمال أياً كان ، حساً أو معنى ، فإياك أن تخلط بينهما مرة أخرى .

يا صديقي النبيه ، وأنت سيد العارفين .

الزمـــــــــان

وفي نفس العدد الممتاز قصيدة بعنوا ن : (الزمان) للأستاذ : حسين سرحان وقد عرف القراء فيه شاعراً مطبوعا ، ويعرف القراء أنني أول من أشاد بهذه الشاعرية في (مجلة الرسالة) الغراء في مقال نشرته فيها بعنوان : (الحياة الأدبية في الحجاز) ولكن يبدو لي أن القلب الشاعر ، في الأستاذ سرحان قد أعياه الكلال من كثرة ما ينتج ، أو أن هذه الشاعرية لا تستقيم على وتيرة واحدة فهي تارة تعلو وتعلو ، حتى لا يستطيع أحد إلا أن يدمي يديه تصفيقاً ، إعجابا بالشاعرية المرفرفة ، وتارة تهبط وتهبط ، حتى لا يستطيع أحد إلا أن يخرج لسانه من فمه مستنكراً ومستخفاً بالشاعرية التي لا تستنكر أن ينشر لها مثل هذه القصيدة .

لقد ارتعت كمن يرتاع بفجيعة حينما قرأت لك يا صديقي السرحان قصيدة (الزمان) وقاتل الله الزمان :

شكونا زمانا لا يمر ولا يحـــلى

مسيخ مذاق مثل مستكره البقـل

هل فاتك يا صديقي أن مستكره البقل ليس مسيخ المذاق ، وإنما هو مر المذاق،حريفه من أمثال الفجل ، والكراث وما شاكلهما ، و (مسيخ) هذه لا تؤدي المعنى الذي تريده في اللغة إلا إذا أردتها بمعنى (ما سخ) في اللغة العامية عند المصريين ومعناها قليل الحلاوة . ولا أظنك تريد هذا ، لاني أنا وأنت من عشاق البقل الماسخ (كالرجلة) و (الملوخية) و (السلق) و (الفول) و (اللوبية) .

نراوح منه فاسد الرأي والهــوى

أذى ونغادى أعوج الفرع والأصل

وإن كان الشاعر في غنى عن هذه المراوحة والمغاداة فما الذي يحمله عليها وهو الذي يقول بعد هذا البيت مباشرة :

ولسنا نبالي المال فالمال هـــين

ولا المجد إن المجد في نفثة الصل

ونستطيع أن نفهم أن المال عند أمثال السرحان لا قيمة له.

ولكن لاأستطيع لا أنا ، ولا أنت ، ولا أنتم ، ولا هو ، ولا هما ولا هم، فهم « إن المجد في نفثة الصل » .

ولكن المفهوم لي ولك ولكم : « إن المجد في النقل » إلا إذا كان المجد في عصرنا هذا انقلب ناكصاً على عقيبه عن أمكنته المعروفة لدى الناس جميعاً ، وكمن في نفثه الصل ، وأي نوعَ من أنواع الصلال هذه التي تنفث المجد ؟ ، إن

الصلال لا تنفث المجد . وإنما هي تنفث السم الزعاف . وقانا الله وإياك هذه النفثات المميتات يا أستاذ سرحان .

والغريب أن المجد لما كمن في نفثة الصل — كما يقرر شاعرنا — أصبح لا يبالي به ، وعدم المبالاة بالمال والمجد صفة من صفات المتصوفة لأن الزهد في هذه الأشياء من سجاياهم ، والشاعر والناس أنكروا علي نعت الأستاذ السرحان بالتصوف ، حينما نعته به في الرسالة ، وها هو اليوم يقررها لنفسه بنفسه فيقول :

إنه لا يبالي المال فالمال هين ، ولا المجد . فإذا قال لنا (إن المجد في نفثة الصل) فلا نوءاخذه لأن للصوفيه شطحات تجعلهم يتكلمون بعبارات لا مفهوم لها إلا في أخيلتهم :

رغائبنا شتى وتجمع بينهــــا

إذا ما تعادت فطرة النفس والعقـل

أما فطرة النفس فهذا صحيح ،ولكن فطرة العقل مسألة فيها نظر .

فللنفس أوطــار وللعقــل مثلها

لو احتكما —يوما—إلى حكم فصل

ليست أوطار العقل كأوطار النفس ، ولكن الشاعر ما قصد كما يبدو إلى ذلك ، وإنما أراد أن يقول : فكما أن للنفس أوطاراً ، فللعقل أوطار، فهما — أي العقل والنفس —

متماثلان في أن لهما أوطاراً فقط ، أما أن أوطارهما متماثلة فلا . ولا أظن إلا أن في نفس الشاعر معنى لم يختمر، فما استطاع أن يبين عنه ، وقاتل الله العجلة ، فإنها مفسدة للأمور ، وليس كالأناه والتروي لمن أراد تجميل شعره .

وجدت زمان السوء يخدع أهله
وهم خادعوه حذوك المثل بالمثل

لا الزمان يخدع الناس ولا الناس تخدع الزمن ، وإنما الناس يخادعون بعضهم بعضا ، وإن صح أن نطلق كلمة الزمن ونريد بها ابناءه فلا يصح أن نطلق لفظة الزمن ، ونريد بها حقيقة الزمن،ثم نتهمه بمخادعة الناس ، فالزمن نفسه لا يخدع ، ولا تستطيع خديعة الناس أن تتصل إليه أو تؤثر فيه ، ولكن الشاعر يؤكد مبادلة الخديعة بين الإنسان والزمان بقوله : « حذوك المثل بالمثل » ولا أظنني احنث إذا حلفت أن الشاعر ما جاء بهذا المثل السائر إلا لينهض يده من بناء بيت جهد نفسه في بنائه كثيراً فلم يستقم له البناء إلا بوضع هذه الجملة : « حذوك المثل بالمثل » فيه .

وستة أبيات كافية للتدليل على أن القصيدة التي لم تبلغ إلا تسعة عشر بيتاً،لم يترقرق فيها من نفحة هذه الشاعرية المحلقة التي كنا نعجب بها ، ونتمنى لها زيادة السمو والارتفاع ، فاذا هي تطل علينا هابطة كالطيارة التي تفقد توازنها فلا

يستطيع قائدها أن يعيده إليها فتهوى إلى الحضيض ويصاب المحبون لها والمعجبون بقائدها البارع بفجيعة مفاجئة .

جدد نشاطك يا صديقي السرحان . فاننا ننتظر منك عنفوانا في الشعر يعيد إلى المعجبين بك نشوتهم الأولى .

نجوى وحنين

من زمن بعيد كتبت كلمة بصوت الحجاز – كما أتذكر – عن شاعرية الأستاذ حسين عرب . ورجوت لهذه الشاعرية مستقبلا طيباً :

والآن وبعد مرور سنوات تطالعني قصيدة بعنوان (نجوى وحنين) في العدد الممتاز هذا الذي لما أتركه من يدي بعد ، فاذا بالشاعر لم يبرح مكانه،وما زالت شاعريته كما كانت ، وكأن الزمن لم يفعل فعله فيها . إن كان الشاعر في حياته الجسمية كما كان من قبل سنوات ، ولم يترك مرور الزمن آثاره في جسمه . فهو دليل قوة البنية ، ولكنه في الشاعرية دليل ضعفها وركودها ، أو هو دليل نضوبها وإمحالها . . . وإلا فلماذا لم تبرح شاعريته مكانها ؟ ! يعز علينا أن تخيب شاعرية حسين عرب ما توسمناه فيها ، حينما كتبنا مقالنا عنها ، قبل سنوات .

إن الأستاذ عرب يعني بالكلمات الرشيقة،ولديه منها ثروة،ولكنه كأغنياء الحرب الذين ارتفعت ثرواتهم ولم ترتفع أذواقهم ومداركهم ، فيضعون الأشياء حيث يجب أن

لا توضع . فجاء شعره أشبه بالصور التي كثرت فيها الألوان الزاهيــة دون تفكـير أو روية ، كمحــترفي التصوير الذين لا فن لديهم، وإنما هم يقحمون أنفسهم مع أهل الفن، فيضعون عدة ألوان في الموضع الذي لا تسع إلا لون واحد فتأتي صورهم لا حياة فيها ولا فن ، ولا شيء مما يمت إلى الإجادة بسبب ، ولست أتجنى على الأستاذ حسين عرب بكلامي هذا ، فلا شهوة لي في التجني على أحد ، وليس هو بالناشيء الذي يجب أن يشجع ، فنتغاضى عنه بعد أن تركنا له وقتاً طويلا ونحن نتقبل منه مـــا يطالعنا به من نتاج ، مشجعين مرة ومغضبين أخرى .

أقول : لست أتجنى بكلامي على الأستاذ ، وإلى القراء قصيدته ليروا : مبلغ عبثه بكلماته الرشيقة :

يا رياض الحسن . من زهر ، ولحن ، وغصون
يا مـــلاذ الروح يا جنة قلبي وفتــــوني
إن قلبي في ثناياك لكالطيف الغـــريب
مستريب الخطو فيها بين خفق ووجيب
ساهما كالنسمة السكرى على الغصن الرطيب
لفها الليل بسربال من الصمت رهيـــب
كل ما سلسل شكواه عن الزهر النضـــير
زفت الأنسام نجواه إلى سمع الغديــــر

ثروة ضخمة من كلمات شعرية في غاية من الرقــة والعذوبة ، لو وجدت ريشة الفنان الملهم ، لصفقنا اعجابا بها . . ولكن – كما قلت – إن شاعرنا كأثرياء الحرب . تضخمت ثروتهم ولكن ليس لديهم أي أثر من آثار الذوق والإدراك .

إن الكلمات يا أستاذ لها معاني ، والقراء لهم فهم ، فإذا قلت يا رياض الحسن انتقل ذهن القاريء وخياله إلى استيعاب كل ما في الرياض « من زهر ولحن وغصون » فما معنى رص هذه الكلمات ؟ لا داعي لرصفها الرصف المشين ، وما يصنع أغنياء الحرب إلا مثل ما صنعت أنت . . يضع الواحد منهم في خنصره عدة خواتم ذهبية جميلة بفصوصها البراقة الثمينة التي تبلغ أثمانها مبلغاً خياليا ، في الوقت الذي يحتم الذوق والإدراك لمعاني الجمال أن لا يكون موضعها غير خاتم واحد ولكنها الثروة الضائعة . . ضياع الأذواق والاحساس بالجمال في نفوسهم ، فيستحيل الجمال إلى قبح ، والأناقة إلى (هرجلة) .

يا ملاذ الروح يا جنة قلبي وفتــوني

ولا نريد أن نقف هنا لئلا نوصم بالتمحلك والعنت ، وعلى كل فهذه الشطرة آنق – نسبيا – من سابقتها . . .

إن قلبي في ثناياك لكالطيف الغريب

هذه ليست نسمة . ولكنها غولة لها ثنايا تضع قلب الشاعر المكين بينها . ولكن أي قلب هذا الذي يبدو (ساهما — وهو بين الثنايا — ومثل أي شيء — مثل النسمة السكرى على الغصن الرطيب) كما يقول الشاعر : والله أيها القاريء إني لم أفتر على صديقي حسين عرب،ولم أقوله ما لم يقل (إن كنت لم تقتنع بقسمي فارجع إلى العدد الممتاز ، واقرأ قصيدته بنفسك فستجدني إن شاء الله من الصادقين) ، لم أر نسمة ساهمة في حياتي قط ، وإن رآها الشاعر فلم أرها ولم يرها سمار الليالي وعشاق الرياض والذين لا يعرفون الرياض أيضا لم يروا ولم يتصوروا أن النسمة تثبت على الغصن الرطيب ، وتدع الغصن الجديب،ولكن الذي أعرفه أنا ويعرفه الذين شاهدوا الرياض والبساتين والذين لم يعرفوها إلا بالسماع — إن وجد في الناس من لم يشاهد في حياته روضة — كل أولئك يعرفون النسمة كما خلقها الله تترقرق في الروض فتمر على الغصن الرطيب والغصن الجديب،ولا تغرق بين زهرة وزهرة ، ولا بين غصن ودوحة . وتلامس أديم الأرض كما تلامس قمم الجبال لا فرق عندها بين رطب ويابس ؛ وهكذا خلق الله النسمة ، لكن النسمة التي خلقها ذهن الشاعر يجهلها الناس ، وربما يجهلها ذهن خالقها أيضا ، وإنما هي شهوة الكلام بدون تفكير، أو قل هي شهوة أغنياء الحرب في اظهار ما لديهم من ثروة ، كيفما عن لهم ، وكيفما

تراءى لذوقهم السقيم . . . لقد أضيفت على شاعريتك الفتية – يا صديقي – ركاما جعلها تختنق قبل الأوان . . . فهلم إلى رفع الركام ، واسعافها بالمنعشات ، لعلها تستفيق من غشيتها . والله يتولانا ويتولاك .

زهرة الشك

وهذه القصيدة في العدد الممتاز للأستاذ حسن عواد ، ولا أدري ماذا أصاب العريف : أهو الافلاس في مواد الجريدة ؟ أو هو الافلاس في الذوق الأدبي ؟ أو هو الافلاس من الشجاعة الأدبية ؟ .

الأستاذ محمد حسن عواد ، والأستاذ حمزة شحاته شاعران سباقان ، وهما كفرسي رهان في ميـــدان النتاج الشعري الجيد ، ولهما من الشهرة — عندنا — يعني في بلادنا فقط ما الله به عليم ، ولهما في الشعر أستاذية على كثير من الأدباء والمتأدبين ، وإذا أردنا أن نتوسع في التعبير ارضاء لشعـــور المعجبـــين بهمانقـــول : إن كلا منهما صاحب مدرسة في التجديد الشعري والأدبي ، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على جهودهما الأدبية الموفقة المتواصلة . إنني الآن أطريهما وأنا خائف ممن يقول لي لقد قصرت في حقهما ولم توفهما ما هما جديران به ، وأقول للذين يقولون هذا القول : إنني الآن في مجال استطراد موجز ، أما توفيتهما حقهما فمجاله دراسة أوسع من هذه سأوافي بها القراء

في المستقبل القريب إن شاء الله ، وسيأخذ كل ذي حق حقه بدون تجديف أو محاباة . أما الآن فقد آن أن نخفف من وطأة هذا الإعجاب الأعمى لأنه يرهقهما ويرهق مواطنيهما، تمهيداً لما انتوينا القيام به من دراسة آثارهما بصورة أوسع ، لنؤدي للتاريخ صورة من حياة أدبية مبصرة، لا يضللها غمام الإعجاب، ولا يودي بها اعصار الحقد . والتخفيف من وطأة الإعجاب بهذين الشاعرين أجدى على الحياة الأدبية من الاستمرار فيه .

وإليكم أثر الاعجاب الأعمى ، وصنيعه بالعواد فقد جعله ينشر قصيدته هذه بالعدد الممتاز، إما غفلة منه بهذا الأثر الذي يجب أن لا يصدر من مثله ، أو استخفافا بقرائه لأنهم لا يفرقون بين الغث والسمين ، وكلا الأمرين مر . وليتمش القاريء معي متهملا في تلاوة القصيدة :

ليلة الشك جئت – يازهرة الشك –

فكان اليقـين أولي هبـاتك

إنني قدمت الأستاذ عواد لقراء العربية في مجلة الرسالة ، ووصفته بما هو جدير به من أوصاف النابغين من الشعراء . وصلتي به صلة المعجب بأدبه المباهي به كشاعر حجازي في مقدمة شعرائنا ، مضافا إلى ذلك صلة الصداقة التي لا ضغن ولا حسد فيها ، فعسى أن لا أروع بفقدان صداقته ،

وعسى أن يكون الأستاذ واسع الصدر فلا يحمل كلامي محملا سيئا ، فإن الإخلاص لبناء مجدنا الأدبي يدفع إلى تخليص البناء مما يضعضعه أو يشوه جماله .

إن هذا البيت زلة كبرى من زلات شاعرنا الكبير غفا ساعة تفرغه لنظمه إدراك شاعرنا وذوقه غفوةثقيلة ، وإلا فأي رجل يحمل في رأسه إدراكا وفي نفسه شعوراً بجمال الألفاظ والكلمات والمعاني ، يحي ابنته ليلة ميلادها بقوله : (جئت يا زهرة الشك) ؟ إن كنا نغتفر مثل هذه التحيه من عامة الناس فهل ننزل الأستاذ منزلتهم ؟ إن الأستاذ أرفع من أن ننزله عن مكانته لنغتفر له زلته .

ثم أية ظلال أو أية موسيقى في هذا البيت الجاف؟! إن البيت بكلماته في غاية من الثقل (شك . يقين . هبات . ليك الشك) ما هذه (الشكشكة) التي تقض المضاجع يا أستاذ ؟ .

لقد اجتمع في هذا البيت سوء المعنى ، وثقل اللفظ ، وفسولة الأداء . وفقدان الحياة . ثم يتبعه بقوله :

يا نجاتي مناي لو ضمن الدهر من الحادثات حسن نجاتك

فأتانا بمعنى مبتذل ، إنها أمنية يتمناها كل أب لأبنائه ، ليس في الأمنية ومضة من ومضات الذهن الذي نعتقد أنه مشرق . وهذه الأمنية لا تحتاج إلى نظم الشعر وليته حينما

نظمها شعراً أداها أداء حسنا ، إن الأمنية تتم بقوله :

« يانجاني مناي لو ضمن الدهر من الحادثات نجاتك »

فاقحم كلمة (حسن) ليتم الوزن .

وقاتل الله بيتاً لا ينبع من النفس ، فيتردى إلى الهاوية بإقحام الألفاظ والكلمات التي لم تختر مواضعها فيه ، فينقلب الحسن إلى قبح إن (حسنا) هنا ليست (حسنا) .

ولولا خشيتي من غضب الأستاذ لقلت : وقاتل الله شاعراً تضطره شهوة الشعر إلى نظم بيت كهذا ثم لا يعبأ بنشره على الناس ، ولكن لا أريد أن أقول ، وإنما أريد أن أقول للأستاذ : أرجوك أن تعرف وأنت سيد العارفين إن الشعر ليس هذيانا كهذيان المحموم ، وليس هورصف ألفاظ كما ترصف الحجارة ، وليس هو اتقان الأوزان ، وليس كلاما عاديا لا يحرك نفسا ، ولا يثير شجنا ، ولا يلهب عاطفة. إن الشعر غناء الروح الإنسانية. إنه نفس تذوب في ألحانها . إنه هزة من هزات الوجود العنيفة . إنه روح جبار متمرد يلهب العواطف ويذكي الإحساسات والمشاعر .

إن المخلصين للشعر ، لا يرضون الشعر وإن كان كالدر والجوهر لأنهم يقولون ليس هو للمباهاة والسمعة ، فما هو بالأثاث الفاخر ولا هو بالتحفة الخزفية المموهة

بالذهب المرصعة بالماس . إنما هو الوجدان الإنساني في أسمى مراتبه ، وعنفوان عنفه ، واستمع إلى شاهرهم :

مـــا الشعر شيء كالتحـــــف
فـــدع الـــلآلىء والخـــــزف
الشعر في كأس الزمـــــــــا
ن فـــــؤاد حر قد نــــزف

* * * *

والشـــعر نفـــس فـــــــذة
عشقت مطاولـــــة القمـــــم
فمضت تـــذوب من الجـــوى
وغـــدت مـــداداً للقـــــلم

أسمعت يا أستاذ ؟ فهل (زهرة الشك) أقصد قصيدتك من هذا النمط الرفيع ؟؟ ثم اسمع للشاعر ، ماذا يريد أن يكون الشاعر فمن كان كذلك عدوه شاعراً ، ومن لم يكن كذلك اسقطوه من حساب الشعراء :

والشاعر المفتنُّ صوت للطبيعة والبشر
فهو الذي بلسانه وجنانه نطق الحجر

* * *

وهو الضياء لـــدى الدجـــى
كالنجـــم يستطع في الغـــسق
والضـــوء يرشف زيتـــــه
حـــتى إذا جـــف احـــترق

* * *

روح يهيـــم بنشـــوة
عشق الجمـــال المطلقـــا
تخـــذ البـــيان جنـــاحــــه
حـــتى يعيـــش محلقـــا

* * *

وهـــو البحـــار بغورهـــا
من رامهـــا يخشى الغـــرق
يـــرغى ويزبـــد صـــدره
أمـــا السمو فـــإن نطـــق

* * *

وهـــو الســماء وأفقـــه
يحـــوي الأهـــلـــة والشـــفق

يهب الحيـــاة بغيـــــثه
والويـــل منـــه إذا بـــرق

* * *

ســـكب الفـــؤاد بلفظــــــه
كالشمس تسكب ما التمـــع

لا يبتـــغي ثمـــن الفـــؤا
د فمـــا الفـــؤاد من الســـلع

* * *

هكذا نريد الشعر وهكذا فليكن الشاعر . .

ومعذرة للقراء إذا لم نتمم معهم قراءة القصيدة . . وأرجوهم إذا أرادوا أن يقرأوا الأستاذ عواد، فليقرأوه في أشعاره الأخرى ، ولا يلحفوا عليه ، بقراءة قصيدته هذه ، اغضاء وتسامحا ، وأنا كفيل بأن الأستاذ سوف يعرض عن نظم أمثال هذا الشعر الميت .

مع القمر

ما كنت أتعرض لهذه الشاعرية الناشئة لأنها شاعرية لما يكتمل نضجها بعد، ولكني خشيت أن يفسر عدم تعرضي لها باستصغاري لشأنها وبالأخص لما كانت لها قصيدة في العدد الممتاز هذا، ونفيا لذلك أرى لزاماً على أن أنوه بقصيدته : (مع القمر) . . يقول الشاعر أحمد جمال مخاطباً القمر :

أيهـــا اللاعب في حضن السماء
أيهـــا الفائض فيهـــا بالـــرواء
أيهـــا الساكب في مـــد الفضاء
نورك الحـــالم حـــلم العقـــلاء

إن يد الشاعر الناشيء ترتجف بريشها، فيختل نظام الألوان في الصورة، وإذا اختل نظام الألوان لا تأتي الصورة بالفتنة المطلوبة ، فالقمر لا يفيض بالرواء ، وإنما الرواء من سمات الأغصان والقدود ، ومن شأن القمر افاضته النور ، ولا تنعت السماء — ليلا أو نهاراً — بالرواء وإنما تنعت بالصفاء ، وهو حينما يقول : « أيها اللاعب » تصور قمراً يلعب ، أما القمر الذي نعرفه فهو يسير في هدوء ووقار ، ولم نره

مرة واحدة لعب كما تلعب النسائم مثلا ، وهو إذ يسكب نوره يسكبه في الفضاء وغير الفضاء ، ولفظة (مد) هنا مقحمة ، لتكملة البيت وصحة الوزن ، وقد يغتفر مثل هذا الاقتحام،إلا أن الكلمة ليست كلمة شعرية،وأحلام العقلاء لا تتناسب مع نور القمر الحالم ولكنها بأحلام الشعراء أليــق .

وأننا نرجو للأستاذ أحمد جمال مستقبلا شعرياً باهراً وليس بينه وبين ذلك إلا يقظة الفكر ، وجودة الاداء ، وصدق الإنفعال .

الجامعة العربية

وهذا ند للأستاذ أحمد جمال في الشاعرية وزميله في السن . ذلك هو الأستاذ القرشي ، وللأستاذ القرشي شاعرية تتماثل مع شاعرية الأستاذ جمال من حيث هي شاعرية تنبع من نفس كل منهما ، ولكنها تختلف طبيعة الشاعرية في كل منهما اختلاف محصولهما الثقافي ، وهذا بين في شعر القرشي وشعر جمال . ومن قرأ (الطلائع) ،و (البسمات) يظهر له الفرق بين الاثنين ، وبقدر ما ينقص جمال من ثروة في الألفاظ الشعرية المنتقاه بقدر ما تتوافر لدى القرشي ، فمحصوله فيها يضاهي محصول حسين عرب منها ، ثم له تشبيهات وصور شعرية جيدة .

وهو ذو نفس متفتحة وعين تبصر مواقع الجمال ، ولكن ما زالت قوته لا تستطيع نقل الجمال بسحره الأخاذ إلى القاريء ، ولا أن تعرضه العرض الخليق به،ولكن ما زال يحاول مجتهداً ليصل إلى ما نريد منه .

ومن أمثال عدم قدرته على الأداء والعرض الكاملين ، قوله في قصيدته (الجامعة العربية) المنشورة في العدد الممتاز :

وهـــات جنـــاك صب الـــولاء
بـــل تضمين اكبـــداً لاخـــاء
أنه لن يعود عـــذب المـــرائي
وشدتـــه خوافـــق الاقربــــاء

فمثل هذه التراكيب لا تعتبر تراكيب قوية ، وأقل ما تنعت به الفتور وقربها من الركاكة . .

ولكن الأمل موصول بالثقة في تفتح هذه الشاعرية عن ألوان أخاذة وتصوير مفعم بالجمال إن شاء الله .

* * *

القيت العدد الممتاز من يدي ، ونحيته جانباً فقد استصفيت ما فيه من شعر وقلت كلمتي الموجزة العاجلة فيه .

وهي كلمة قد تدع (الابواز) (تبرطم) غيظاً ، وقد تفتر بعض الشفاه بابتسامة صفراء أو مشرقة ، وقد تقذف بعض الأفواه حمما أصلى بنارها ، ولكن حينما أردت أن أكتب واعتزمت أن أنشر ما أكتب لم أحفل بكل ذلك وإن كانت رغبتي تمتد لأن أربح مدحاً من وراء هذه الكتابة فما أرخصها من رغبة ، أو إن كنت أرغب في إثارة حفائظ الناس شهوة في إثارة الحفائظ فإنني لمحمق ، أو كنت طالباً من وراء ذلك شهرة فلتشل يد تحمل القلم ، ولا تريد من حمله إلا هذه الرغبات الرخيصة ، ولكن الهدف المرموق

إصلاح ما يمكن إصلاحه والتوجيه الصحيح لناشئة البلاد ، وإقامة الموازين الفنية الصحيحة للشعر ، ورفع الغشاوة عن أعين القراء ليروا الحقائق الناصعة فلا يتأثروا بالدعايات المكذوبة ، ولا يؤخذوا ببريق الشهرة الأدبية التي نالها من لا يستحقها في غفوة الأفكار وغفلة العقول .

ولا رائد لنا من وراء تنبيه الأذهان إلى ذلك إلا الارتفاع بالمستوى الأدبي والعمل على تنمية الذوق الفني ، ليستطيع أدبنا أن يقف على قدمه صحيحاً معافى من أوبئة الأذواق السقيمة ، والأفكار المكلومة ، وأبخرة الرؤوس الجوفاء المحمومة وليسير في طريقه مع آداب غيرنا قدما . أما إذا تركنا الحبل على الغارب ، وقد تركناه فعلا — مدة من الزمن — فما جنينا غير العيث والعبث من الأدباء والمتأدبين وأدعياء الأدب المقحمين لانفسهم فيه . حتى خشينا أن نصاب في أدبنا بالنكسة فارهفنا سنان القلم . وهذه طليعة الحملة،ونحن واثقون بضمان نجاحها في وقف العابثين بحرمة الأدب ، وسيكون هذا السنان مرهفا في وجه كل من لا يخلص للحياة الأدبية أو يجتريء عليها باستهتاره وسخفه.

السلام

لقد جرتنا – البلاد السعودية – بعددها الممتاز ، بعد أن استصفينا ما فيها إلى مطالعة بعض الآثار الحجازية واعطائها ما تستحقه من النقد لتأخذ مكانها في المجال الأدبي .

وها هو ديوان (الهوى والشباب) للأستاذ أحمد عبد الغفور عطار يطالعني بغلافه الأصفر ، فأتناوله وإذا أولى قصائده بعنوان : (السلام) فقلت لعله يكون (سلام) الأبد بيني وبينك أيها الصديق العزيز وذلك ما أرجوه وأتمناه فلنقرأ :

آه لا أبصر الصوى وانطوى الدرب واندثر
هاهنا ثم هاهنا حفر خلفها حفر
والرياض التي زهت قد عفت وانمحى الأثر
والشياطين عربدت تنشر الذعر والخطر

هذا شعر حقا لا فضول فيه . الفاظ كالقوالب أفرغت فيها المعاني افراغاً محكما ، وأخذت أماكنها بحيث لو أخرجت كلمة لاختل المعنى ،ولو أردت ابدال كلمة بأخرى لم تجد اليق ولا أوفى من الكلمة الموجودة التي وضعها

الشاعر في يسر وسهولة لا أثر للتكلف ولالف ولا دوران ولا بهلوانية ، كما نجد ذلك في نظم المتشاعرين . هذا إلى جانب الاشراق في الديباجة، إن كل ذلك يغرينا على الاستزادة من لذة القراءة فلنقرأ :

والعنـــا صار غيهبـاً — والدجى أغـــلق البصر
لا يرى مسلك الهدى — محي الطـود والشـــجر
والورى آده النـوى — والـردى زلزل البشر
اي شيء نـرى هنا ؟ — ها هي الحرب لا مفـر
وهي حرب وقودها — كل مـــا بان واستتر
وبنـــو آدم غـــدوا — من لظى الحرب في سقر
ليت شعرى إلى مـتى — يلعب الناس بالشرر ؟
ليت شعري إلى متى — نجرع الصاب والكدر
قال صـــوت محبب — اسمـعوا عندي الخبر
أيهـــا العـــالم الـذي — فقد النور ، واعتكر
انتـــظر ساعة المـنى — ساعة السلم والظفر !
فانتظرنا ! وإذ بنـــا — نشـهد السلم في السحر
فهتفنـــا وكلنـــا — يحمـد الله والقـــدر
قد غفـــا الشر بعدما — روع الكـــون واستقر

والأماني طليقـــة ضوعهـا فاح وانتشر
قد تراقصن بهجـة وتقـاذفن بالأكـر
وتبـسمن للـورى عن غوال من الـدرر

أننا نقف هنا قليلا عند هذه الأبيات الثلاثة فبيت « والأماني طليقة » حلو جميل ، فيه مبلغ إحساس الشاعر بالفرحة ، وكأن أمانية كانت حبيسة فانطلقت من عقالها فرحة بالسلام ، ورقصت بهجة . وهو تصوير جميل للأماني المتراقصة أمام متمنيها . لكن الأماني ليس بها أكر ، وما عسى أن تكون أكر الأماني ؟ . . إلا إذا جسم خيال الشاعر أمانيه حينما استغرق في النشوة حتّى رأى أن أمانيه قد استحالت إلى مخلوقات حية كالحسان في ملعب من ملاعب التنس بأوربا فهن يتقاذفن أكر (الكاوتش) ولقد استغرق شاعرنا استغراقاً عنيفاً في نشوته حتّى رأى أمانيه كالغانيات الفاتنات يبسمن عن غوال من الدرر .

بعد هذه الوقفة نستمر في القراءة فإن المتعة الفنية في أبيات العطار تغرينا بالاستمرار فيها :

وإذا الناس عن رضا يترامون بالزهـر
ويغنون للســلا م الذي هل كالقمر
ثم طاروا إلى الربى بالأناشيد والسـور
وتهـادى أمامهـم شاعر ينظم الغـرر

لا أشك في أن هذا الشاعر هو العطار نفسه .

وحــدا بالنشيد مستعذب اللحن مبتكر ...
يــا رفاقي تمتعــوا بالسلام الذي ازدهر
فهــو للكون بشــره مالنــا عنه مصطبر
واتركوا الأمس واذكروا يومكم واقطفوا الثمر

* * *

يا رفاقي الجمال والشعر والكأس والوتــر
استلذوا بها فمـــا في غــد مطلع يسر
كل ما في غــد أسى كل ما في غد كدر
النوى راصد الورى ماله عنه من مفــر

نفس شاعر يسكب شعوره بالفرحة في شعره فيحس قارئوه معه ، أننا نريد شعراء من هذا النمط ، يسكبون نفوسهم فيما يقولون . . فأنت إذا قرأت فلا تقرأ كلاما منظوماً ، ولكن تلمس حياة تنبض بالقوة،وترى نفسا صافية تطفر من الفرح فتطفر معها ، وتملأ قلبك بالنشوة إذا كانت منتشية ، وباللهفة إذ كانت متلهفة ، وتحس بدبيب الحسرة يتسرب إليك كما تسربت الحسرة إلى النفس الشاعرة في عنفوان نشوتها فاحست بها وصورتها ونقلتها إليك ، يقولها في أربعة الأبيات الأخيرة،وهذا هو الشاعر الصادق المخلص في شعره ، يدمجك في نفسه بسحره ،

الأخاذ ، وأدائه العذب ، وعاطفته الملتهبة ، فإذا الشاعر وقارئوه مندمجون في جو واحد ويحسون بإحساس واحد . .

بهذا الشعر وأمثاله نستطيع أن نقول : إن لدينا شعراً وعندنا شعراء . . وكيف لا أشيد بشاعرية العطار، وأنا كلما أمعنت في ديوانه قراءة آمنت بشاعريته إيماناً ؟ اسمع يا قارئي العزيز للعطار وهو يقول من قصيدة : « بل ربيع العمر في هذا المكان » .

أيهـــا الفردوس قد كنت لنـــا
منبـــع الفرحة في غض السنين
كلمـا جئناك رحبت بنــــــا
وتلقيت هوانــــا بالحنـــــين
كم ليـــال مثل أحـــلام العذارى
قد قضيناها معاً ضماً ولثمــــا
وتلاعبــــنا ؛ خفـــاء وجهـــاراً
وتبادلنـــا حديث الحب نظـــما
وشربنا من أغاني الشعر خمـــراً
هي أشهى من رحيق الخلد طعمـا
ورقصنا فوق أعشابك بـــشراً
وجهلنـــا ما يسمى الناس همـا

ألا تشعر يا قارئي العزيز بنشوة مثل نشوة العطار – إذا كنت ممن يتذوقون الشعر ؟؟ – هذه هي قدرة العطار وطاقته الشعرية سكب إحساسه في شعره ، فجاء شعراً صادقاً ، والعطار يصدق في كل شعره ، فهو لا يقول الشعر إلا إذا هزه الشعر ، فيفيض من نفسه،وتواتيه الكلمات التي تحمل ذلك الفيض . أحس بالألم من الحب الذي أشقاه فقال :

يـــا شقوة ما تـــكاد تطلقـــني
من نيرهـــا أو يخـــف محملهـــا
ثقيـــلة ما أطيـــق وطأتهــــا
مجنونـــة باليديـــن معولهـــا
تعبث في مهجـــتي عواصفهـــا
ترجها – رجة – فنذهلهـــا
وينتهـــى للجنـــون محتدهـــا
وفي مراعـــي السطـــا تنقلهـــا

لا يكاد العطـــار ينفلت ساعة من شقـــوته في الحب ، حتى تعاوده الشقوة بأعنف مما كانت ، وليس لهذه الحالة الوجدانية المعذبة أحسن ولا أجمل من هذا التعبير :

يـــا شقوة ما تـــكاد تطلقـــني
من نيرهـــا أو يخف محملهـــا

نير ثقيل،وهل أثقل من نير الحب؟لا يخف محمله ولا يستشعر

المحب الصادق الانطلاق منه ، ولقد رزح العطار تحت ثقلها وهو الذي لا يطيق وطأتها،ولكنها مجنونة — هذه الشقوة — لا تحفل بطاقة العطار البدنية ، فهي على ما ترى فيـه من ضعـف البنية تحمـل معـولها بيديها الاثنتين ولا تكتفي بيد واحدة لتكون الضربة بالمعول أقوى فعلا وأشد أثرا . . وانظر إلى كلمة « رجة » في البيت الثالث إنها حشو ، ولكنه حشو كحشو الديناميت الذي بدونه لا يكون ديناميتاً فيا للهول الذي يلقاه العطار من شقوة الحب ! لقد أعطاك العطار صورة رهيبة لما يلقاه الشاعر العاشق من شدة ومحنة وألم ، فلترث له . .

هذا هو الشعر الذي ينبض بالحياة وهذا هو الشاعر الصادق ، وعلى غراره فليسر الشعراء .

الزمخشري

وهذا ديوان الأستاذ طاهر الزمخشري بجواري فلنر الزمخشري في شعره .

أهدى الزمخشري قصيدة للشاعر العربي الكبير الأستاذ علي محمود طه بعنوان : (أنشودة الملاح) فلنر هدية الزمخشري هل هي هدية ثمينة،أم هي هدية تافهة لا تستحق أن تهدي ؟؟؟ يقول الزمخشري :

الدجـــى بحـــر وقـــلبي سابـــح
وإلى أين سيمضي لست أدري؟
والنجرم الزهـــر في عليائهـــا
سفن للغيب بالأقـــدار تجر ي

لا ندري مبلغ الصحة في ذلك ، ولا نظن الزمخشري اشتغل يعلم الفلك .

وحواشي الليـــل من ظلمائهـــا
تمـــلأ النفس بأهوال وذعـــر

وزمـــاني مربـــد يجتاحـــني

بجحيـــم منه صـــال مـــكلهر

الأليق بالجحيم أن يكونَ مستعراً لامكفهراً .

أذكـــر الماضي فأحنـــو لغـــدي

والغد المرجو مني قيد شـــبر

لعل مكان (أحنو) : أهفو ، وكنا نريد أن يبين لنا ماذا يؤمل أن يكون للشاعر من غده الذي هو منه قيد شبر .

والأسى يجتث خطـــوى وأنـــا

بين آلامي ووهمي ضاع عمري

فمتى تـــرسو سفيني ؟ فلقـــد

طال مسراي وإني لست أدري

يا للحيرة التي ترين عليك يا زمخشري ! إنها حـــيرة تدعو للرحمـــة ! . .

الدجـــى بحـــر وقلبي فلكـــه

وشراعي من نسيج الأبديـــــة

والمجـــاديف بكـــف بضـــــة

تلطم المـــوج بعزمات قويـــة

وصـــفير الريـــح ناي والصدى

يمـلأ الأجـواء أنغامـــاً شجيـــة

والسماء الصحو في زرقتها

مقلة ترقب دنيا البشرية

وأنا الملاح يجري زورقي

حاملا أشباح أيامي الشقية

وصدى الذكرى بنفسي مرجل

عاث حتى بالأماني الذهبية

فمتى ترسو سفيني إنني

حائر سار يريد الأبدية

لا يستقيم الحائر ومريد الأبدية ، لأن الحائر لا يعرف ما يريد ، وقد قدم الشاعر لنا بأن شراعه من نسيج الأبدية ، ثم يقول في هذا البيت : « حائر سار يريد الأبدية » فكأنه يقول لنا يريد شراعه مع أن شراعه هو الذي يسيره .

خيال جميل ولكن الريشة مرتجفة في يده ، وكان الأولى بالشاعر أن لا يسرع بهديته للأستاذ الكبير إلا بعد إتقانها وتجميلها ، ولو لم تكن هدية لأغضينا عنها .

فإلى قصيدة أخرى لنستمع إلى الزمخشري وهو يقول :

خلوت أسأل نفسي عن لواعجها

وعن لوافح آلامي وعن إحنى

فقال لي كبدي : بلوى تحرقـني
وقال لي الطرف : اشجان تؤرقني
وقال لي جسدي : حزن يمزقني
وقال لي القلب : بركان يبـددني
كل شكا حالة نـكراء غير فمي
فلاذ بالصمت لم ينطق ولم يبن
يخاف إن باح بالشكوى أؤاخـذه
إذ لا تؤاخذ إلا عثرة اللسـن
فالصمت قيد إذا ما المرء لابسـه
أقام في مأمن من سطوة الغـبن
ومطبق الفـك فوق الفك في دعـة
ومرسل القول بالتهريج في محن

يا أستاذ زمخشري : إنمرسلالقول بالتهريج ليس في محن

فقلت يا نفس ذوبي حسرة وأسى
حتما سأصمت حتى ينقضي زمني

نغمة حزينة ، ودمعة حرى تتسلسل من إحساس الشاعر أبياتا فإذا أنت ــ على ما في الأبيات من مآخذ ــ تحس بإحساس الزمخشري ، لأنها دمعة صادقة لا يعتصر مخه

ولا يحمل نفسه أن تقول غير ما تحسن ، أما المآخذ فهي غير ذات بال مثل قوله : « إذ لا تؤاخذ إلا عثْرة اللسن » فلا أظن أن اللسن بمعنى اللسان هنا كما يريدها الزمخشري ، ولكن اللسن معناها : كثير الكلام قويه .

إننا نجد الزمخشري عندما يبكي ، على حقيقته ، ونجد شاعريته ، فياضة قوية . ومن ذا الذي لا يرثى للزمخشري وهو يعتصر من الألم في هذه الأبيات :

هي الأوهام هاضتني وصبت
زعاف السم في صرف الزلال

وخير من الأوهام هنا « الآلام » .

فادمت مهجتي وكبت بخطوى
إلى حسك كأطراف النبال
ويلهبن الأسى بشواظ نار
فأفزع وهي لا ترثي لحالي
صروف والزمان براحتيها
تضن علي حتى بالذبال

إننا نجد في هذه الأبيات نفثة من نفثات الشاعر لا تصنع فيها ، لا محاولة منه في زخرفة شعره بألفاظ أو كلمات منتقاة ، بل ترك نفسه على سجيتها ، فتحدثت عن ألمها ،

كيفما واتتها المعاني ، واختارت ماواتاها من الكلمات ، فجاء شعره حاراً صادقاً ، وهذا هو الجمال الفني والشعر .

والديوان مليء بهذه النفثات الصادقة . وأنغام الزمخشري عذبة وإن كانت حزينة ولعل حزنها هو سر عذوبتها .

واسمع للزمخشري كيف ينبض قلبه بالشعر :

كان لي في ثـــورة البأس أخ
كان لي في غلس الوهــم رفيق
فإذا ثـــارت بنفسى لجـــج
شع في أصدائهـــا منه بريـــق
وإذا عامت بنفسى موجــــة
كان كالساحل يرجـــوه الغريق
جرســه الرنان داو أبـــــداً
واسع الخطوة في الــكون الطليق
ها هو اليوم وقـــد فر فـــلا
عدت ألقى ما أسميـه الرفيـــق
أترى ذاب ؟ فـــلا ألمســـه
أين مني ذلك القلب الصديـــق ؟
أيـــن مني عبقـــري ملهـــم
بشقاواتي وشجـــوي لا يضيق

ذلك القلب الذي عودني

كيف ألقى الخطب بالصمت العميق

ثابت الجأش طروباً مرحاً

وإلى اللذات في الدنيا سبوق

لا أخاف البأس لا أخشى الردى

كل أيامي صبوح وغبوق

ويحه ويلي إلا يا ويحه

ذاب أم فر ؟ ألا أين الصديق

أرأيت كيف يريك الزمخشري لهفته . « ويحه ، ويلي ، ألا يا ويحه » كلمات لا شعورية ، والشعر هو أن يفقد الإنسان نفسه فنرى الانفعالات الصادقة تبرز في شعره واضحة جلية .

إننا نحي الزمخشري ونصافحه ، لا لأنه صديق عزيز ، بل لأن شاعر ينبع الشعر من نفسه . وعلى كاهله وكواهل أمثاله نستطيع أن نبني مجداً شعرياً عليه سمتنا وطابعنا .

إننا في مجال دراسة عاجلة . ولو كنا في مجال دراسة مستفيضة لاستعرضنا كثيراً من شعر الزمخشري الذي يستحق الدراسة . والعناية بنقده ، لأنه شعر صادق ، ولأن الزمخشري شاعر لا يفتعل الشعر ، ولكنه يرسله شعراً حياً قوياً يهز النفس . وسنوفيه حقه إن شاء الله في دراستنا للأدب الحجازي

حينما ندرسه الدراسة المستفيضة ، ونكتب عنه الكتابة التي هو خليق بها كما وعدنا القراء إن شاء الله .

السباعي

وها هي (فكرة) . . تأليف الأستاذ أحمد السباعي بين يدي الآن وأنا لا أريد أن أنقدها كقصة . فان فن القصة ما زال يحبو في بلادنا . وهو في البلاد الشقيقة لم يبلغ الذروة . . ومن العنت أن نريد من (فكرة) السباعي قصة بلغت الكمال ومن الإجحاف أن ننكر قصته ونلغيها من حسابنا ، فهي على كل حالة قصة لم يحاول إنتاجها أحد غير السباعي ، – أقصد قصة كبيرة أشبه ما تكون بالرواية لأن السباعي زاول كتابة القصة الصغيرة – وإنه مجهود مشكور ولا يرضينا أن تقف محاولات الأستاذ السباعي عند هذا الحد ، بل نطلب منه أن يعاود محاولاته لعلنا نرى منه ما يشرف البلاد في هذه الناحية من المجال الأدبي .

أما الأستاذ السبـــاعي في تعبيرهْ فهوشـــاعر وإن لم يدع الشعر. شاعر وإن لم نسمع له بيتاً واحـــداً ، يترك نفســـه على سجيتها في تعبيره فيأتي تعبيره شعراً مرسلا محلقاً كأحسن ما يكون التحليق والرفرفة ، والجمال ، واسمع إلى السباعي وهو يرسل الشعر إرسالا :

أحب الليل في هدوئه الغافي .
والقمر تغشاه غمامة شفافة .
والأفق المترامي لا يحده البصر .
أحب الجبال الشامخة كأنها تعبر عن كبرياء صامتة .
والسهول المنبسطة كأنها مطرزة بالوشى .
والمجاري الصافية يترقرق فيها ماء عذب .
أحب البكور تشقشق فيه العصافير الغردة .
وأحب الشمس فيضحوتها تظلني من سعيرهادوحةفينانة
واحب الأصيل تنعكس فيهالشمس أشعة ذهبية براقة .
وأحب كل ما هو طبيعي في الحياة تصقله يد محترفة .
وكل ما هو صحيح لم تزينه الصناعة المبهرجة .
أحب الرأي مصدره النطق السليم .
والقوة مبعثها الحق .
والفضيلة يصدع بها رجل بريء من الشهوة والغرض .
أحب في الحياة محمداً ـ صلى الله عليه وسلم ـ .
لأن سيرته صورة من تعاليمه .
لأن تعاليمه بيضاء نقيه لم يكدرها إلا أهواؤنا .
أحبه لأنه كان قويا على نفسه قبل أن يكون على غيره .

صادقا في سره كما في علانيته .

عادلا بلا ميزة لأصفى أصيفائه ولا استثناء لأقربائه .

ليناً في غير ضعف .

رقيقاً دون تكسر .

فقيراً ما لانت قناته لجبار في الأرض .

غنياً ما شبع قط من طعام الدنيا .

عفا ما بر أهله بشيء من لذاذة الدنيا .

هذا نموذج من شعر السباعي المرسل ، وهو في كل نثره شاعر صافي النفس قوي الأداء رقراق العبارة مرفرف الروح .

إن هذا البيان المشرق ، الذي لا يحجب إشراقه شيء ، هو الذي نريده لأدبنا والسباعي جدير بأن نضع يدنا في يده متعاهدين على أن نسير قدماً لنبني لبلادنا مجدا أدبياً خالدا . فانه الأديب المطبوع ، الذي يسرنا أن نحييه ، ونبعث تحيتنا له من ضفاف النيل إلى عروس تهامة معجبين .

الانصاري

أعرف الأستاذ عبد القدوس الانصاري ، ويعرفه الأدباء في بلادنا وهو الشخصية الوقور ذات الكلام الموزون الذي لا يزيد حرفا ولا ينقص حرفا في أداء المعنى الذي يريده ، وهو في كتابته مثله في كلامه ، مثله في شعره ، وهو رائد من رواد الأدب الصحيح الذي لا يأخذ بالبهرج ولا يؤخذ به ، ينفذ إلى الحقائق دون أن تخدعه التهاويل ولدى الآن كتابه : (بناة العلم في الحجاز الحديث) فلننظره لنرى الأستاذ الانصاري ، كما عهدناه ، أو اختلف مع الأيام ، وأول ما يطالعنا كتابه به عنوان : (عهد جديد) فلنقرأ بسم الله : « كان الفتى قد بلغ السادسة عشرة من عمره ، وكانت الأحلام المعسولة تتراقص أمـــامه ، كما تتراقص مياه الغدير الصافي ، للظمآن في الفيافى الجرداء ، وكانت الحياة في نظره رؤى وأحلاما فيها الكثير من الغموض والأظلام ، وقد أكسبته الحوادث والأحداث الجسام التي مرت قطعانها به وهو ناعم الأظفار مرونة محدودة ودقة نظر غير بعيدة الأهداف في الحياة والأحياء ، وكان الفتى خجولا منطوياً على نفسه ، محباً للعزلة أني وجد لها سبيلا » .

هذا الأسلوب الهادىء المنساب في يسر وبسهولة ، وهذا التصوير الجميل الذي لا يزدحم بالألوان الزاهية ، وإنما هي على قدر وبميزان ، هو أسلوب الأنصاري ، وهو أسلوب صحيح فصيح جميل العرض سليم الأداء . . وإن كان لي أن أشبهه بشيء فإنما أشبهه بالنافورة التي ينبعث منها الماء بميزان فتعطيك منظراً جميلا كالشجرة المتهدلة الأغصان . . وكما أن غير النافورة لا يستطيع أن يريك الماء في شكل الشجرة المتهدلة فليس في أدبائنا من يريك هذا الأسلوب القوي البارع إلا الأنصاري ، يكره التهويل ، ولكنه يحب الأناقة الموزونة التي لا تضايق صاحبها ولا تقعده عن أخذ حريته في حركاته وسكناته ، ومع ذلك فهو أنيق . . . إن ما قلناه يصدق على كل ما يكتبه الأنصاري ، وإليك جملة من جمل الأنصاري الرشيقة في غير تكلف ، الأنيقة في غير إسراف :

« ومن الحق أن نقول : إن مروجي الإشاعات ، ومسممي الآفاق بها قد بدأوا عملهم في الظرف المناسب ، فكل الرياح مسعفة لرغباتهم ، فالمشروع في بداية أمره لما تستحكم قواه ، ولما تتماسك شجرته ، وغالب مدرسيه خفاف ضعاف في ميزان الهيئة الاجتماعية ، والطلبة كذلك صغار وغير كثار » .

صورة جميلة رشيقة أنيقة ، نعم هي أشبه بالكلام العادي لولا أنها ترتفع بأناقتها ورشاقتها وسلامة أدائها عن كل

كلام عادي ، ولا يجيد مثل هذا الأسلوب ، إلا أديب متمكن من فنه يريد من قارئه أياً كان أن يفهمه ، ولكنه لا ينحدر إليه بل يأخذ به رفيقاً فيرتفع معه القاريء وهو لا يشعر أنه ارتفع إلا بعد أن يتذوق كلامه ، فيجد نفسه في جو الأديب ، كراكب السفينة إن لم يلتفت إلى الشاطيء لا يدر مقدار ابتعاده عنه .

ومن يرد أن يتحقق صحة ما ذهبنا إليه فليجرد نفسه من كل شهوة ومن كل غرض ، ويقرأ الأنصاري في كتابه (بناة العلم) أو في غيره من آثاره ، فسيجد ما ذهبنا إليه ملموساً محسوساً .

وها هو الانصاري يتكلم عن الشيخ محمد سرور الصبان ، وهذا الرجل الكبير معروف لدى الناس جميعاً ، فلا يعمد الأنصاري إلى التهويل ؛ ولكنه يتكلم في يسر وسهولة ، وينساب انسياب الماء ، وكما يعرف الناس عن الشيخ محمد .

وإليك نموذجا مما قاله في مقاله عنه تحت عنوان (رجل في عدد المنهل الممتاز لعام ٦٥ (قلب كبير) .

« وسعة الصدر ، هذا الخلق العظيم من مميزات هذه الشخصية ، فهو يستقبل الآمال بابتسام ، ويستقبل الآلام بابتسام ، وهو في حركة دائبة على ضعف في جسمه ، يقوم بالأعمال التي تنوء بها العصبة ، وإنما يقوم بها قلبه الكبير ،

وبه ينجزها في يسر وهدوء ومضاء عزيمة وفي دقة ملاحظة ونظر بعيد . ذلك دأبه في أعماله الرسمية ، وذلك دأبه في أعماله الوطنية التي لا تقل عنها أهمية ، وهو مع ذلك وقبل ذلك أديب قبل كل شيء ، يأنس إلى الديوان الشعري ، والكتاب التاريخي ، والمؤلف القديم ، والحديث ، ولا بد له من مطالعة تشرح صدره ، ولا بدله بعد ذلك ، ومع ذلك ، من قرض شيء من الشعر الذي تلهج به الطبيعة الشاعرة الحساسة الصموت ولا بد له من معالجة الكتابة الأدبية في شتى الموضوعات ، والوقت ضيق محدود ، ولكن (القلب الكبير) فيه من كل زعامة طرفة ، ففيه من سعد زغلول — مثلا — شجاعته وحسن قصده وصبره وأناته ولباقته وفصاحته وحسن إدارته لدولاب الأعمال والنهوض بجلائل الآمال ، وفيه من دماغ طلعت حرب اقتصادياته ، وعبقريته وطموحه وحماسته ،وفيه من شاعرية حافظ ابراهيم وطنيته وسمو معانيه ، وفيه من أسلوب مصطفى كامل روعته وتلهبه واشراقته وهكذا يكون الرجل وهكذا الرجولة » .

صورة لسعادة الشيخ محمد سرور لا تهويل فيها ، ولكنها حقيقة الشيخ كما نعرفها ويعرفها الناس ، وصورة من التعبير الدقيق الجامع غير المتكلف للأستاذ الأنصاري .

أما الشيخ محمد سرور ، فهو شخصية فذة ، متعددة

النواحي ، قوية المواهب ، فهو إن كان من الأدباء فهو من الرعيل الأول الذين مهدوا طريق الأدب وعبدوه للسالكين في هذه البلاد ، بل هو أقوى شخصية في هذا الميدان ، وأي ميدان لم نر فيه الشيخ محمداً قوياً ؟ وما زال إلى يومنا هذا يفور الأدب شعراً أو نثراً في صدره ويتفجر من نفسه كما يتفجر الماء النمير من الشلال الثر ، فإذا لم نتكلم عنه في (مرصادنا) فإن المرصاد غير مهيأ لهذه الشخصية الفذة ، وسنفرد لها مرصاداً آخر لنؤدي الصورة الكاملة للنواحي المتعددة التي تمتـــاز بها شخصيته القوية المحببه . . ويكفي أن نقول هنا بأنه عماد الأدب وكهف الأدباء ، لا في بلادنا وحدها . ولكن في البلاد العربية أجمع ، وإن من كان كذلك لايتسع له هذا المجال في هذه الدراسة العاجلة الموجزة ، ومعذرة إلى القراء إذا لم نتكلم عن آثار الشيخ محمد ، فإن الأنوار القوية تمحي أثر النجوم مثل الشمس ، فإنها إن طلعت اختفت من حولها الأقمار ، فإلى مجال آخر ودراسة مستقلة إن شاء الله .

ولنعد إلى الأستاذ الأنصاري ولنقرأه في شعره .

هذا عنوان قصيدة للأنصاري نشرت في أحد أعداد « المنهل » يقول الأنصاري :

« بداية شاعر ونهايته »

صـــقل البيان فـــكان في الشـعر
وحى الربيـــع وبسمة الزهـــــر
وحكت قصائـــده بروعتهـــــا
ذهب الأصيل ونسمة الفجـــر
الطير ترقص من قصائـــــده
طرباً وتعرض عن صدى القمرى
وسمـا إلى أوج السماء وقـــــد
بهـــر الدراري شعره الـــــدرى
مـــا زال في تحليقـــه غـــــردا
يغزو الجمال بشعره الســـحري
طوراً ينـــاغي الطير ســـــابحة
بسمائهـــا تهفـــو إلى الوكـــر
ويـــزور آنا ســـاحة البـــدر
فيشـــع بين الأنجـــم الزهـــر

هو هو الأنصاري الذي يسير بقارئه هادئا في تطامن وتؤدة يسير به خطوة خطوة حتى يسمو به دون أن يشعر قارئه بأنه سما وبعد، حتى إذا تحسس نفسه وجدها محلقة

مع الأنصاري في أجوائه ، فهو في هذه الأبيات يأخذ الشاعر بيد القاريء ويريه بسمة الزهر ، ويمشي معه في ذهب الأصيل حتى تترقرق نسمة الفجر ، ويريه كيف ترقص الأطيار ثم يسمو به إلى السماء ، ويسوح به ثم يهبطان سوياً في الظهيرة ظهيرة، الحياة التي لا ترحم الشاعر ، ويدعه يلمس روعته من صدمة الحياة وهو سابح في أخيلته الشعرية :

مـا راعـه إلا أن اختنقـت
أنفـاسه من شـدة الذعـر
هـذي عواطـفه لقـد كبتـت
وتصدعت وهنـا على الصـخر

ثم يفيق الشاعر من صدمته فيتبين أسبابها فيقول :

الشـاعر الغريـد أصمتـه
خبر الحيـاة وسيرهـا المـزري
قـد كان يحدو شـعره أمـل
واليـوم حطمـه أسى الخـبر

ثم أن الشاعر الذي كان مخموراً بأطياف الشعر ، وصدمته الحياة بواقعها المقيت ، يعرف الحياة على وجهها الصحيح فينقلب إلى رجل حنكة وتجارب فيقول له :

ذي الدار قد ضاقت بما رحبت

ولذاك عدت جعبة الشر

من دأبها خدع المشوق بها

ويشوقها التنكيل بالحر

وإن كانت « جعبة » هنا لا تعجبني ، وإن كانت هي كلمة أدت المعنى الذي يريده الشاعر إلا أنها في الشعر ثقيلة الواقع على السمع .

أما البيت الذي يقول فيه :

من دأبها خدع المشوق بها

ويشوقها التنكيل بالحر

فمن أقوى الأبيات التي سمعتها في هذا المعنى .

وللأستاذ الأنصاري شعر كثير جيد . وقبل أن أفرغ من الأنصاري أنقل للقراء شيئاً من موشحه الجميل الذي يسير فيه على نمط الموشحات الأندلسية القديمة :

« وقفة شاعر بوادي العقيق »

وقف الشاعر في وادي العقيق

في أصيل كالعقيق الذهبي

وإذا الشــاعر يهمى بعقيـــق

مسبل من ما طــرات الحبـــب

* * *

ما لــذا الوادي البهيـــج الفاتــن

قد بدا عطلاً من الحلى البديـــع

أقفرت آطامـه من شـــــادن

كان يوحى بهجة عنــد الطلوع

وخلـت أرجـــاؤه من لاحـــن

يرســل اللحــن كأطيـار الربيع

* * *

جـل حـكم الله في دار العقـــوق

إذ بـــراها عرضـــة للنـــوب

فخيـــال الشؤم في لمع الــبروق

ونذيـــر الرعب طي الرغـــب

وهو موشح طويل جميل ، من أراد أن يتمه فليرجع إلى المنهل في سنته الثالثة على ما ذكر .

وما زال الأنصاري دائباً — بجانب إنتاجه الأدبي —

على تغذية الحركة الأدبية (بمنهله) العذب ، بكل ماينميها ، فهو ما فتىء يعمل ليساهم في تحرير المنهل أدباء كبار من أمثال العقاد والمازني وقطب وطه حسين وغيرهم من أساتذة الأدب العربي وحاملي لوائه ، وهو بذلك يرينا فيه ناحية الصدق والإخلاص للأدب في هذه البلاد وبمثل هذه الخدمات ستجني الحركة الأدبية في بلادنا أحسن الثمار إن شاء الله . فسر يا أنصاري ولا يقعدنك ما تلقى من نصب . . فإن الله لا يضيع أجر العاملين .

حمزة شحاته

اعتنى أحد الناشرين الشباب بجمع ما وصل إليه من شعر العواد والقنديل وحمزة شحاته ، ويسرنا أن يكون في بلادنا ناشرون من أمثال الأستاذ عبد السلام الساسي ، وخصوصا إذا كان مستواهم الثقافي في مستوى ناشرنا هذا ولا لوم على الناشر إن قدم لنا بجانب الوردة الزكية وردة لا رائحة لها ، فما يطلب من الأديب الواعي غير ما يطلب من الناشر ، فالمفروض في الناشرين أنهم يسعون لغاية غير غاية الأديب .

وقد تكلمنا عن العواد ولم نجد في الشعراء الثلاثة من شعر العواد ما يتسامى عن مستوى (ليلة الشك) أما القنديل فكلما قرأنا له شعراً ازددنا به كفراً فهذه قصيدة في الشعراء الثلاثة تحت عنوان (دنيا الغد) يقول فيه :

أمانينـــا من الأيـــام وعــــد

ومن أيامنـــا صـــاب وشــهد

والكتاب – على ما يقال – يقرأ من عنوانه ، فإذا كانت

أمانيه من الأيام في الشطر الأول وعداً فالأيام في الشطرة الثانية – ما معناها ؟ هل لها معنى غير الأيام حتى تكون أمانيه فيها صابا وشهداً ؟ ألم أقل لكم أن القنديل لا يحسن قول الشعر لأنه يتكلفه ولم تستجب نفسه له ، فهو يعني نفسه ويحملها ما لا طاقة لها به .

* * *

ولم يحسن الشاعر حينما زج بالقنديل بين شاعرين فحلين من شعرائنا ؟ فالأستاذ شحاته وهو أحدهم يسمو في شعره ويحلق ، وإنك حينما تقروءه تقف أمام شاعر فخم ضخم جزل الألفاظ متين التركيب متماسك الأداء تماسكا يذكرنا بشعر الفحول القدامى ، إن من يقرأ قصيدته (نهاية) يتذكر البحتري وجريراً ، أدءاً وشاعرية واستمع إليه وهو يقول :

أخير سـبيليك التي تتجـنب ؟
وأدنى حبيبك الـذي لا تقرب ؟
فيا ليت لي منـك التجنب والقلى
وراءهمـا ود الفـؤاد المغيب
فرب ابتسام دونه وغرة الحشا
وإعراضة فيها الحنان المحجب

وقيت الأسى لو أنصف الحب بيننا

لما بت أرضى في هواك وتغضب

ولكنه المقدار يعبث بالفتى

على وضح وهو البصير المدرب

إنك أمام حمزة ، أمام شاعر عريق في الشاعرية ثابت القدم في لغته وأدائه وأفكاره وعواطفه ، وحمزة لا يتضعضع أمام الحب الجارف فاذا أراد أن يتكلم عن حبه ، يهيء نفسه للكلام الذي يغلب عليه المنطق ولا يدع العواطف تتحكم فيه ولكنه يتحكم فيها ومع ذلك لا يفقد كلامه حرارة العاطفة،ونحن نرى هذا في كل شعره،وهذا مثال لما ذهبنا إليه :

يا حبيبي يا ملتقى السحر والفتنة

يا غالبي على أمر نفسي

لم كانت ولا أسومك لوما

قسمتي في هواك قسمة وكس

فقسمة الوكس هنا ، تريك حسرة الجبار المتماسك الذي يحز فيه الوكس حزاً .

الأنى آثرتٍ في حبك القا

هر عزى ذهبت تطلب نفسي ؟

أم لأني ضحيــة لا لم الصـــــا

مت أطوي على المراجع حسي ؟

إن صمتك يا أستاذ وانطواءك على المراجع أبى إلا أن يظهر في شعرك بالرغم من جبروتك،إن حرارة العاطفة لا يطغى عليها برود العقل المفكر الذي هو ميسمك كما عرفناك ، أو على الأقل الذي تريد أن يكون ميسمك أمام الناس .

إني بلوت الأستاذ شحاته عن كثب حينما جمعتنا البعثات تحت سقف واحد فعرفت عنه ما لم أكن أعرف من قبل ، إن شحاته من أدق الناس عاطفة ومن أعمرهم قلبا،ولكن لا يريد أن يعرفه بذلك أحد فهولذلك يجهد نفسه على أن لا يظهر منه غير القوة وعدم المبالاة بالعواطف والاحتفال بها ، ولكن إن خدع الناس بمظهر الأستاذ شحاتة فان النافذ إلى قلبه لا يخدعه المظهر الخلاب ، وها هو شعره النابع من قلبه يؤيد ما لمسته فيه :

لست تــــدري نعم ولا أنا أدري

لم تهفـــو إلى لقائـك روحي ؟

ولمـــاذا أكون فيك كما تـــــر

سف في السجن فكرة المكبوح ؟

أرأيت عاطفة الحب كيف تركت هذا الصامت الجبار ينطق بالرغم منه ويحدثنا عن حالته فترثي له ؟ ومن ذا الذي لا يرثي لمن يرسف في أغلال حبه كما ترسف فكرة المكبوح في سجنها ؟ وكما يشكو الشعراء المغبونون من الحياة يشكو معهم حمزة لأنه مغبون مثلهم ، وإن لم تصدق بأن حمزة مغبون فاقرأ :

رب نفس نـالت مناها على العيـ
ش وأخرى نصيبهـا التسويـف
وهي دنيـا الشذوذ يرتفـع الجـا
هــل فيها ويستذل الحصيـف

إن حمزة يرينا شعره صورة من احساسه الصادق في أداء قوي عامر بالجزالة نابض بالحياة .

وهو من الرعيل الأول الذي لم يقف مجهوده عند تمهيد الطريق ورفع الصخور ولكنه ما زال يمشي مشي المجد الذي لا يقنع بالدون ، ولا يقف من الجهد ، ومثل حمزة في شعره ونثره مفخرة لنا لولا سمة من سماته التي لا نحمدها له وإن كان هو يحمدها لنفسه ، هذه السمة هي (اللاأبالية) التي تتركه ينطوي على نفسه ، ولا يبعث باشعاعه القوي الباهر إلى موطنه ومواطنيه ، وإن ميدانا لا يبرز فيه حمزة نحس بفراغ مكانه فيه ، فالى الميدان يا أستاذ ! . إن عتادك

موفور فلا تشح على الأدب بمجهودك فيه .

• • •

وبعد فهذا ما رصدناه ، في المكان النائي ، مما وصل إلى أيدينا من أدب بلادنا ولو كان في المجال متسع – الآن – لتكلمنا بصورة أوسع ، ولكن لدينا من الأسباب ما جعلنا نستعجل في نشر هذا . وإننا سنوافي القراء بملحق لهذه البحوث وستكون نظرتنا فيه إلى انتاج كل من الأساتذة : العامودي ، والسيد عبيد مدني ، وعدنان أسعد ، وعمر توفيق ، وعبد الوهاب آشي ، وعبد الحميد عنبر ، وغيرهم ممن لهم انتاج يجب أن يغربل ليعطي كل من يحمل القلم حقه ، ولكل من يلج ميدان الأدب مقامه ، وليعرف كل موضعه .

ونأمل أن نسير على هذا الطريق ، حتى تنتفي الحثالة ويبقى ما بقى من آثارنا صافيا جميلا لا كدر فيه ولا غثاثة تصرف عنه المتشوقون للأدب الحجازي الحديث في العالم العـــربي .

فليعرف الأدباء والشعراء في بلادنا (أن وراء الشفة نقادة) كما يقول زملاؤنا الحاريون .

الجزء الثانى

الكلمة الاولى

قالوا عن الأدب إنه مرآة الحياة ، ذلك لأن الأدب ينقل الحياة بواقعها عذباً أو مراً إلى الأذهان والأفكار . إذاً فهو قول صحيح ، أو فيه الشيء الكثير من الصحة . وحملة هذه المرآة بالبداهة الأدباء ، إذاً فالأدباء يستطيعون نقل الحياة إلى الأذهان والأفكار والأجيال المتعاقبة بمرآتهم أو بمرآة الحياة التي يحملونها .

ولكن المعروف أن المرآة لا تكون لامعة شفافة تصلح لإعطاء صور الحياة على ما هي عليها في الواقع إلا إذا كانت معتني بها من حاملها . أما إذا كان حاملوها لا يعطونها من ذات نفوسهم ما يجعلها تحتفظ بصفائها وشفافيتها حتى تصبح من الإهمال كحجر الرحى سوداء كالحة ، فان إلقاءها حينئذ يكون خيراً من الاحتفاظ بها لأنها لا تصلح للقيام بمهمتها .

والمفروض في أدبائنا أنهم غير مهملي المرآة التي يحملونها ، لتعكس ما يراد عكسه من صور الحياة ، ومن الزاوية المختارة . فلكل أديب زاويته التي تتفق مع نفسيته وميوله ،

فالمرآة في أيديهم محتفظة بصفائها ولمعانها أو هذا هو المظنون على أقل تقدير .

ولكن أيعلم الأديب أن مرآة الأدب التي يحملها تشف عن حقيقته قبل أن تشف عن أي حقيقة أخرى ؟ لأنها مرآة لا تقبل الخداع ولا التمويه ولا الالتواء . وهي تقبل أول ما تقبل على صاحبها وتبرزه لقارئيه صورة طبق الأصل كعدسة المصور التي تنقل إلينا الصورة الشمسية ولا تبالي أن تبرز أي صورة أخرى بمنظرها الأصيل .

ولا تستطيع (الرتوش) الخارجية تغيير حقيقة الصورة أو طمس معالمها وملامحها مهما كانت تلك (الرتوش) متقنة ومعتنى بها . ولا يغيب عنا أن المبالغة في الاحتفال (بالرتوش) لا يدل إلا على مبلغ الإحساس بما في الصورة من قبح يراد ستره .

وقد يخدع التمويه والتهويل فرداً أو جماعة ، ولكن لن تكون تلك الجماعة أو ذلك الفرد من ذوي النظرة النافذة . وذلك الفرد أو تلك الجماعة لن تكون حجة على من يقيم الدليل على مبلغ ما في تلك الصورة من قبح سافر أو مستور . لأن الكلمة ممن ينظر إلى الحقائق تطيح بكل تهريج وإن بلغ ضجيجه عنان السماء .

هذه أشياء بدهية سقناها في كلمتنا الأولى لتكون بارزة

أمام أنظارنا ولئلا تغيب عنا عندما يستغرقنا النقد .

إن نظرتنا إلى أدب بلادنا ــ في هذه الآونة ــ يجب أن تكون بعيدة عن روح المجاملة إلا لمن يراد تشجيعه وتوجيهه. لئلا نكون قساة على الناشئين . أما فيما عدا ذلك فعلينا أن نطرح من مقاييسنا كل مقياس يتجافى ومقاييس الأدب الصحيحة ، كما يجب أن لا نخدع بالرتوش ، وأن لا تلهينا الإعلانات الأمريكية عن حقائق الأشياء .

إن في الباعة من يعمد إلى تسليط الأضواء الخلابة على بضائع رديئة لخداع (الزبائن) وهؤلاء الباعة لا يستطيعون تصريف بضاعتهم إلا إذا استعانوا بما يشغل ملكة التمييز عند الراغب . و (الزبون) اليقظ لا يشتري بضاعته إلا بعد النقد والتحميص فلنتأس (بالزبون) اليقظ فيما يعرض علينا من الآثار ، ونحن الآن في مطلع الفجر . . . وقد مرت علينا مدة كافية من الليل نمنا فيها طويلا وقد آن لنا أن نصحو ، وأضواء النهار كفيلة بعدم مخادعتنا في التمييز بين الألوان الطبيعية والأصباغ الصناعية ، وفي وضح النهار نستطيع أن ننقد كل ما يعرض علينا ، وأصبحنا بعد ثلاثين عاما أصحاب وعي مبصر فلا تجوز علينا لعبة الحواة والالتواءات البهلوانية ولن تسترق عقولنا ، ولسنا من السذاجة بحيث نحسب البيضة كتكوتا ، وأنف الإنسان قناة يسيل منها الماء ، وإذا كانت ألعاب الحواة تسترق

الانتباه ساعة من نهار فإن هذه الساعة لن تصعدهم إلى مكان أعلى من مكان الحواة ولا بأس من أن نقول لهم :

إنكم حواة بارعون . وإذا فهمت هذا أيها القاريء — وهو مفهوم لك بغير شك فسوف لا نختلف أنا وأنت بعد إلقاء نظرة فاحصة على كل ما يعرض علينا من نتاج أدبي وتقويمه بقيمته الصحيحة . نعم سوف لانختلف على النتيجة ، وعلى هـــذا المنهـــج سأسير والحق رائدي ، فهل لك أن تسير معي ؟ هيا وعلى بركة الله .

المقدمة التي لابد منها

... كان لمرصادنا الأول (فرقعة) صعق منها الذين وهنت اعصابهم حتى أصبحت لا تطيق كلمة الحق والصدق، واستنامت نفوسهم للمدح والإطراء حتى اطمأنت لذلك، وقد ظن هؤلاء أو توهموا أن الضعف والزيف لا ينكشفان، وفاتهم أن الضعف والزيف لا يصلحان أساساً لشيء، وليس مثل القوة والصحة ثباتاً ودواما، وقد ينخدع بعض البله بالعملة الزائفة، ولكن الخديعة لا تلبث أن تنكشف حتى على البله أنفسهم ولا يمضي طويل وقت حتى يكون البله أول الناقمين على من خدعهم وغشهم واستغواهم، وقد يكون في هؤلاء الذين نتهمهم بالبلاهة متبالهين يسيرون مع المزيفين إلى آخر الشوط ؛ ثم يكونون حرباً على من كان يظن أن زيفه انطلى عليهم، وأقل ما يناله منهم سخرية لاذعة تدعه يتلفت يمنة ويسرة وخلفا وأماما لعله يجد من بينهم فرجة ينفذ منها إلى حيث يأمن سخريتهم اللاذعة وتهكمهم المر الأليم .

ونبهت هذه الفرقعة بعض النفوس فاستيقظت من سباتها وهي تلعن السدور والغفلة اللذين سببا لها هذا الانزعاج

بعد أن كانت أستاذيتهم الممتازة تغط في نوم عميق . . . وفجع قوم وتفجع لهم آخرون ، وذهب هؤلاء وهؤلاء يصرخون من الرعب المفاجيء ويقذفون ــ من أثر الحمى المفاجئة حمى الفجيعة التي انتابتهم ــ الشتائم على كل من تسبب لهم في الخلاص من الوهدة التي ترددوا فيها إلى الأذقان .

ونحن لا تسوءنا قذائف الشتم والسباب من جماعة المفجوعين والمتفجعين بقدر ما تسرنا اليقظة التي انتابتهم بعد الهجوع الطويل .

ولو كنا نضرب في الهواء ــ كما كان يصنع (دون كيتشوت) ــ لما كان كل ذلك . . . وسنغتفر كما يغفر الكرماء للشتامين شتائمهم لأننا نعرف أنها صادرة منهم وهم في ذهول المفاجأة . وسوف لا يتخذون ــ كما نظن ــ السباب والشتم سلاحــا لأنهم يعرفون وإن كانوا لا يعرفون ــ فنعرفهم ــ طلباً للثواب من الله ومن الله فقط أن الشتم من أسلحة السفهاء وما كان ولن يكون من أسلحة الأدباء والمثقفين ، ولمن يتصدرون لقيادة الفكر في المجتمع . والذين يختارون هذه الأسلحة القذرة في الدفاع عن أنفسهم ليس مجالهم الميدان الأدبي بحال من الأحوال .

وإذا راق لأحد أن يصر على الشتم والسباب ، فقد أخرج نفسه من حيث يشعر أو لا يشعر من زمرة الكرام الكاتبين ..

ولا نبيح لأنفسنا بوجه من الوجوه الهبوط إلى مقابلته بالمثل ونصر على أن نكون محلقين في أجوائنا وليتردوا ما شاء لهم التردي في حمأتهم إلى أن يتجلى لهم حقيقة التردي والانحطاط : . فمن تجلت له فسيعود إلينا تائباً نادما على ما فرط منه .. أو لا تنجلي فلا يعود . وهناك يحق لنا أن نتمثل بقول القائل :

إذا ذهب (   ) بأم عمرو

فلا رجعت ولا رجع (   )

أما الذين اتهمونا بعدم الدقة والنزاهة في مرصادنا الأول فنقول لهم ولمن على شاكلتهم : إنكم ما زلتم لا تحسنون القراءة فضلا عن الفهم . . وإلى أن يتوافر لكم ذلك أمد طويل . ونحن ننظركم إلى ذلك الأمد . فإذا أحسنتم القراءة ثم أحسنتم فهم ماتقرأون وتكونت لديكم ملكة تتبينون بها مبلغ الصحة في أحكامكم التي تصدرونها في قضايا الذوق والفن فعندئذ تكونون أهلا للأخذ والعطاء في المناقشات الأدبية . فلا تتعجلوا شيئا جعلنا لكم فيه فسحة وستجدون منا التشجيع والعون ما عرفتم أنفسكم ، إلى أن نرى لكم أجنحة تستطيعون التحليق بها في هذه الأجواء . بارك الله فيكم ونمى مداركم وأحسن لكم المستقبل والعاقبة .

* * *

بقى علينا هؤلاء الذين قالوا لنا لقد أغفلت من حسابك

ثـروة كبـيرة من الشعـر والنثر لهؤلاء المنقـودين – في المرصـاد الأول – وحكمت عليهـم ببضعة أبيات أو بقصيدة واحدة غير مراع الظروف التي أحاطت بهم ساعة نظمها . . وردنا على هؤلاء سيكون حكاية تروى فقد حكي أن طبيبا كشف على مريض وبعد أن شخص الداء قال له أحباء هذا المريض – بلغة أصحابنا – إن مريضنا كان صحيح البنية قويها شديد العضل متينه ، فهلا أعدت النظر إلى ما كان عليه من عنفوان وقوة . . كيف أيها الطبيب تحكم على مريضنا بالضعف والهزال ؟ وكيف تصفه بالضعف والانحلال ؟ ونحن نشهد أنه كان . وكان . وله . وله . . وعمل . . وصنع ! ! ! فما زاد الطبيب على الابتسام لأقوالهم وعمد إلى مشرطه واستأصل ما يجب عليه استئصاله من مريضهم غير عابيء بما قالوا وما يقولون . . فإن أخطأ هذا الطبيب فما نحن بأقل خطأ منه،وإذا مات المريض فليس الذنب ذنب المبضع ، ولا ذنب الطبيب . . ولكنه ذنب البنية الضعيفة والمرض المستشري . . وإن استعاد المريض قوته وعنفوانه أفلا يستحق الطبيب شيئا من الشكر كاعتراف بالجميل ؟؟ .

. . . للقاريء أن يحكم . . وإذا منينا بقراء لا يستطيعون أن يتبينوا مواقع الخطأ من الصواب فلعلنا لا نفتقد قراء يحسنون التحدث بالحكايات فليرووا لهم قصة هذا الطبيب

وهذا المريض . وما قال أحباء المريض وأصحابه فقد صنعنا هذه الحكاية مثلا . فبضرب المثال يتضح الإشكال . كما قيل وكما يقال . لقدتناولت من البريد عدة رسائل على أثر صدور المرصاد الأول وأن ورود مثل هذه الرسائل إلى على بعد الشقة بيني وبين مرسليها آية على ما توقعته من النجاح حينما قلت في مرصادي الأول : « إنه طلائع الحملة وإننا واثقون من نجاحها » .

لقد نجح المرصاد ولله الحمد في أداء واجبه، وأحدث الأثر المطلوب ، وشغل حيزا كبيرا في ذهن كل أديب وسوف لا يجد كل حامل للقلم عندما يعمد إلى الكتابة الأدبية شعراً ونثراً إلا أن يضع في حسابه النقد ، وأن وراءه مرصادا يرصد عليه كلماته . فيحاسب نفسه قبل أن يتعرض لمحاسبتنا ، وذلك هو الهدف الذي نرمي إليه . . والغاية التي نهدف إليها أن يحسن كل عمله ، قبل عرضه على الناس ولا يضير هذه الحقيقة جحودها وإنكارها — إن قدر لها الجحود والإنكار — ولا يهمني ذلك ما تركت أثرها المطلوب في الأذهان .

إن الرسائل التي وصلت إلي متنوعة فبعضها نقد لي ، والبعض رمى لي بالتطاول على المقامات ، فأضحكني ذلك نعم أضحكني فرية التطاول على المقامات . . لأن المرصاد رسالة نقدية تداولتها الأيدي وتناولها القراء . بل هي المؤلف

الوحيد الذي قوبل بلهفة شديدة من القراء . وكان الرواج الذي حازه رواجاً منقطع النظير . لم يحظ به مؤلف غيره كما أخبرني ذلك الصديق الكريم الأستاذ عبد القدوس الأنصاري . وكان مما أخبرني به أن المرصاد لو طبع أضعاف أضعاف العدد الذي طبع لنفد،لأن الطلبات انهالت عليه بصورة لم يسبق لها مثيل ، هذا في بلادنا ، أما في البلاد الشقيقة فقد قوبل بحفاوة كبيرة على صغر حجمه وتواضع بحوثه من عدت صحف . ولست في مجال الاستشهاد بتقريظه الآن،ولكني بسبيل التدليل على أنه مؤلف أدبي بحت لا يخرج عن الأدب بحال من الأحوال . فارتأيت أن أستشهد بما قالته جريدة واحدة من الجرائد التي تصدر بمصر وهي جريدة المقطم فقد نشرت هذه الجريدة في عددها الصادر يوم الثلاثاء ١٣ شوال سنة ١٣٧٠ هـ تحت عنوان (المرصاد) « في البلاد السعودية اليوم نهضة أدبية ينبغي الالتفات إليها ففيها أدباء بارزون صاروا يتوفرون على الكتابة والترجمة والنشر ، حتى أصبحت المكتبة السعودية تتضخم يوماً بعد يوم بالمؤلفات النفيسة التي يخرجها هؤلاء المؤلفون . ويصاحب حركة الكتابة حركة نقد طيبة . والنقد من أهم مقومات الكتابة ، ومن أكبر دواعي الإصلاح والتجديد . ولهذا استقر رأي الأستاذ إبراهيم هاشم فلالي على إصدار سلسلة من المصنفات في انتقاد الأدب السعودي المعاصر .

وكان أول كتاب له هو (المرصاد) الذي انتقد فيه الثمار الأدبية لكل من الأساتذة: ضياء الدين رجب، وحسن فقي، وحسين سرحان، وحسين عرب، وحسن عواد، وأحمد جمال، وحسن عبد الله القرشي، وأحمد عبد الغفور عطار، وطاهر زمخشري، وأحمد السباعي، وعبد القدوس الأنصاري، وحمزة شحاته. ويتميز نقد الأستاذ فلالي بالعين المبصرة اللماحة، والذوق الفني المرهف، وحب العدالة في النقد حتى يصيب الكاتب بذلك مرماه. ومتى كان للكاتب ذوق وفن خط لنفسه اتجاها. ومتى وضع لنفسه موازين سليمة للنقد استطاع أن يؤدي رسالته على الوجه الصحيح » هذا ما كتبته المقطم فليقتنع به من أحب الاقتناع عن بينة تأتيه ممن ليس له فيما يكتب أي مؤثر من مؤثراتنا الداخلية وأني أزهد الناس في الشهرة كما يعرف ذلك من عرفني، وما كنت لأستشهد بهذا الذي كتبه الأستاذ وديع فلسطين في المقطم لولا أنني اضطررت له اضطراراً على كثرة ما كتب في صحف مصر ومجلاتها عن أثر هذا القلم وآثاره المتواضعة في الأدب والنقد الأدبي، لأن المقصود ليس هو شهرة الأفراد وإنما هي بلادنا وسمعتها في هذا الميدان وكل ميدان.. إنني من الذين يؤمنون ببلادهم أكثر مما يؤمنون بأنفسهم فمن بالله أنا ومن أنت ومن هم؟ إن كل شيء عندي وعندك إن كنت مثلي بلادنا

فهي وحدها التي يجب أن تخلد في فم الزمان . . فإن كنا نعمل فلها . كما عمل لها الآباء والأجداد .

* * *

أما ما ناله المنقودون من وظائف فمرد ذلك مواهب وكفاءات أخرى ليست من النثر والشعر في شيء ، وتلك أشياء ليست من أعمال الناقد الأدبي وإنما هي من أعمال المؤرخ وليست من موضوع كتابتنا هذه . إننا ننقد الأدب ونؤرخ له، ولكتابة تاريخ الأشخاص مجال آخر . حبذا لو تهيأت له الظروف والأسباب . وإننا سنتعرض لنقد أناس امثالهم — بل ربما فاقوهم قيمة ومقاما في مجال الوظيفة والجاه والوجاهة — من الناحية الأدبية فقط . لأن المجال الأدبي مضطرب الأقلام والأذواق والاراء فليفهم هذا المتحذلقون الذين رمونا بالتطاول على المقامات ، والتعرض للشخصيات . . وليضيفوا إلى فهمهم إضافة أخرى وهي أن الأدب ما كان ولن يكون قط تابعا في موازينه واعتباراته موازين الوظيفة واعتباراتها وليس من الضروري أن يكون عمالقة الوظائف عمالقة في الأدب . ولا يقلل ذلك من شأنهم كموظفين قادرين على أعباء أكبر الوظائف وأرقاها وقد سن ذلك ووضعه وعرفه تمام المعرفة عبد الملك بن مروان قبل مئات السنين حينما سأل خالد بن سلمة المخزومي عن أخطب الناس، فقال أخطب

الناس أنا يا أمير المؤمنين. قال عبدالملك: ثم من؟. قال اخيفش ثقيف – يعني الحجاج – قال: ثم من ؟ قال: سيد جذام – يعني روح بن زنباع – قال ثم من ؟ قال: أمير المؤمنين. قال ويحك جعلتني رابع أربعة ؟ قال: نعم هو ماسمعت، فهل قلل ذلك من قيمة عبد الملك ؟ كلا بل أضاف إلى عظمته عظمة الإعتراف بذلك .

كما أنه ليس من الضروري أن يكون عمالقة الأدب عمالقة في الوظائف ليتسنى لهم الكلام في الأدب وفي نقده . وتلك مسألة مفهومة وإنما عمدنا إلى ذكرها ليفهمها من لا يرتقي بفهمه إليها .

ونوع من الرسائل وصلني وهو أكثرها يحمل مدحاً وإطراء واستزادة لهذا النوع من النقد ونقول لهؤلاء الأساتذة لقد أخجلتم تواضعنا ولا يسعني إلا أن أصدع بأمرهم فهيا بنا إلى النقد أيها المعجبون أو أيها (المحرشون) .

خمر وجمر

للأستاذ السيد عدنان أسعد

وعدت القراء في مرصادي الأول أن أكتب عن الأستاذ السيد عدنان أسعد ، والأستاذ محمد سعيد العامودي ، والأستاذ السيد عبيد مدني،والأستاذ عبد الوهاب آشي ، والأستاذ عبد الحميد عنبر . وسأفي إن شاء الله بما وعدت ، ما توفرت لي مادة الكتابة والحصول عليها .

وسوف لا أقف عند حد من ذكرتهم . وسأتعرض لنقد ما يصل إلى يدي من إنتاج كل أديب في بلادنا المترامية الأطراف الزاخرة بالأدباء والشعراء . فإننا في دور البناء . ورائدنا جميعاً أن يكون بناؤنا سليما متيناً . ليقف ثابتا شامخاً يطاول الزمن ، ويساير الحياة وينادم الخلود،ولا يتسنى لنا ذلك إلا باليقظة التي تدعنا ننبذ كل مادة تسبب الوهن وتكون مجلبة للضعف والتأخر .

وسننبذ من بنائنا كل ما يعيبه ويشوه جماله ، وكما قلت سيكون هذا القلم سناناً مرهفاً لاقتلاع كل مغشوش وزائف

وإلقائه في عرض الصحراء .

* * *

وبيدي الآن كتاب « خمر وجمر » للأستاذ عدنان أسعد وهو شاب حجازي يعرفه قراء الرسالة بمصر والمنهل بمكة أديباً وشاعراً وناقداً وهو من شبابنا الواهبين أنفسهم لخدمة العلم والأدب وباكورة مؤلفاته هذا المؤلف الصغير الذي جمع فيه نبذاً من تجاربه الأدبية .

وقد لا يهتدي القاريء إلى فهم ما يقصده الأستاذ عدنان من أقواله المرسلة إرسال المتصوفة والحكماء فيضيق بالكتاب وبمؤلفه . وقد لا تعجب طريقته في الكتاب جمهرة القراء . ولكنها تروق الذين تلذهم الأقوال على هذا النمط .

وإني أنقل إلى القراء نموذجاً من أقواله التي حشد بها كتيبه الصغير . قال :

« قالوا الشمس والقمر عقربا الساعة . قلت والنجوم ثوانيها »

وهي لفتة ذهنية بارعة .

« يا من دعوت الله فلم يستجب هل تطهرت قبل الدعاء وغسلت قلبك بصابون الإيمان ؟ » .

« الشاعر في قصره ملك الحزانى » .

«قالوا لكل شاعر ليلى فأين ليلاك؟ قلت: اسألوا الليالي».

«سألت متصوفاً متطرفاً لم لا تحتذي ؟ قال : خلقت حافيا بلا نعل ! قلت : ولكنك خلقت عارياً بلا صوف فتصامم».

وللأستاذ عدنان أسعد في كتابه بجانب مرسلاته النثرية التي قدمت منها الآن نموذجاً مرسلات شعرية . وهي وإن كانت بأسلوب الشعر إلا أنها مثل مرسلاته النثرية لا تلذ القارئين كثيراً ، وإنما هي طريقة للأستاذ عدنان لم يسلكها غيره من أدبائنا ، لذلك لا نجد مندوحة من عرض بعضها في مرصادنا هذا إن لم يكن لنقدها فلتدليل عليها قال :

طلب المستحيل

ياليتني كنت في نار وفي حطب
ياليتني في عداد الناس لم أكن
بل ليتني ما وهبت الدفء في رحم
وما عرفت فواق الأم واللبن

وقال :

المرأة والمساواة

إني سمعت عجيبة تدعوا لحق الصاحبه
وتقول كيف لنائب حق ، وليس لنائبه.؟
سبحانمن نحتالرجا ل ونج در الحالبه . . .
فلكل نوع واجب والحر يعرف واجبه

وقال :

مسكين هذا المنبوذ

نبذوه في ثوب العراء مقفقفاً
ياليتهم باتوا بثوب عراء
نبذوه منهوك الإهاب وجلدهم
كالحمل يرضخ من ثقيل كساء
حرموه..من خرق الحياة وألبسوا
أولادهم خزاً وثوب غلاء
تركوه في الدنيا صريع غوائل
يوم القيامة ويلهم بجزاء

ونحن نرى أن الأستاذ عدنان يريد أن ينحو في شعره ونثره نحوا فيه مشابهة لشعراء الحكماء أو حكماء الشعراء. وهو نحو طيب لا بأس أن يسلكه شاعر من شعرائنا ولكننا نجد ضعفاً وركاكة في أدائه ، ولعل مرجع هذا الضعف والركاكة عدم مطاوعة الأداء له ، كما يجب أن يكون. ثم هو كثير التأثر بقراءته لآثار الفلاسفة والمتصوفة وقد ظهر هذا التأثر واضحا جلياً في أثره .

والذي نريده من الأستاذ عدنان وهو أحد خريجي دار المعلمين، بحوث أدبية أو علمية ممتعة مفيدة ،وإذا أراد إلاأن

يسلك طريق النثر والشعر على هذا النمط فنود أن نرى شخصيته واضحة جلية متحررة من كل التأثرات التي ما زالت مستحوذة عليه ، والأستاذ عدنان جدير بتحقيق الأمل ، ولن يعجزه ذلك إذا أصر وصمم .

عبد الله خطيب

هنا لهب !!!

هنا نفس تنصهر في بوتقة آلامه لتستحيل شعراً !!!

هنا شعلة تضيء لنا . ولكنها تحترق !!!

هنا قلب يعتصر . ويحيل شغافه موسيقى للقلوب والأرواح

هنا كتلة من الأعصاب المرهفة ، والأحاسيس الرفيعة ، والعواطف الملتهبة .

هنا عبد الله خطيب ، وإذا قلت عبد الله خطيب فإنما أعني كل ما قدمته لك يا قارئي العزيز من نعوت وصفات !!

اسمع لعبد الله خطيب وهو يذيب نفسه في هذه القطعة الشعرية :

سئمت حياتي من مراوغة الناس

وحطمت آمالي على صخرة اليأس

وآنست وخزات الضمير كأنها

قذائف تلقى في قرارة إحساسي

وما كنت في سوق الصفافة تاجراً

أبيع وأشرى العمر بيعة فلاس

وما بعت أفكاري لأجل زخارف

ينمقها وهم الخيال لإيناسي ..

وما ضقت ذرعا بالوجود وإنما

على مضض مني أعيش مع الناس

وكنت إذا كان الزمان معانـدي

جلست بعيداً بين كتبي وقرطاسي

همومي متاع الذهن لابل طموحه

إلى المثل الأعلى لأقدس نبراس

عفا الله عن قوم يظل ضعيفهـم

طريد أسى يسقى المرارة في الكاس

وحرام علينا أن نحاسب من يذيب نفسه ونقول له إن الكتب هي القرطاس فما معنى جمعهما ، في قولك : « جلست بعيداً بين كتبي وقرطاسي » . إن للشاعر قلباً إنسانيا كبيراً، وهل أكبر إنسانية ممن يطلب العفو لقوم ظل ضعيفهم طريد الأسى والمرارة ؟ وهل نؤاخذ هذا الذي يطلب العفو لمن ظلموا الضعيف ، على جمع كلمتين بمعنى واحـد يجب أن نكون إنسـانيين معــه . لا تتلمس

قارئي الكريم عند عبد الله الخطيب الشكليات ولكن تلمس عنده الجوهر والروح .

وعبد الله الخطيب مقل في شعره وفي نثره وإذا أردت سر إقلاله فالتمسه في قوله وهو يخاطب الطير :

قلت للطير وهو في القيد يرسفْ
لم لا تشتهي الغنــاء وتعزفْ ؟
لم لا تمــلأ المسامع شـــدواً ..
لم عن عالم الهنــاءة تعزف ؟
أي حاليك ؟ ثورة الصمت تقسو
بك أم بهجة الأغاريد أشرف ؟
أنضوب في الحس يا طير أم هـوّ
ت يأساً تهويمة المتخوف ؟
فأجاب السجين إنـك والطفـل شبـ
ـــيهان لابل أنت عندي أطرف
أنا في عـالم الســدود مســجى
بين قضباني الصغيرة أزحــف
أنت تبغى الحيــاة فنــاً جميــلا
وهي رغم الجمال تقسو وتعنف

أين حريتي التي كنت أرعـــا

ها إذا رحت في السماء أرفرف ؟

ذهبت تلـكم الأغنـيات مع الريح

كمـــا يذهب الصباح المفـــوف

أعلمت يا قارئي سر إقلال الخطيب في الشعر ؟ لعلك علمت أنه مثل طيره الذي سمعت المساجلة بينهما في هذه المقطوعة الجميـــلة ، التي تنبض حيـــاة وألما وصمتاً هو كالصراخ . ويتشبه عبد الله خطيب في صمته بالنجم الذي وصفه لنا في قصيدته الجمال حيث يقول من شعره المنثور :

في صفـاء الجو والصـوت مخيم

يتراءى الليـل كالقلب مهوم

غير نجم خافـق لا يتبرم . . .

ينظر الأفق ولا يتكـــلم . . .

ليتك يا عبد الله لم تتشبه بهذا الكواكب السماوي الصامت وليتك كنت شبيهاً بكواكب الأرض التي لا يسعها إلا أن أن تتكلم ولكن ما نفع ليت ؟ يا عبد الله .

هذه هي الومضات التي نريدها لشعرنا . إنها ومضات خالدات ، ولكننا لا نتعشقها ولا نعطيها ما تستحق من التدبر والتقدير. ارفعوا أيها القراء عن أعينكم الغشاء وتلمحوا النور فمن مثل هذا الشعر يكون البناء .

محمد سعيد عامودى

النضوج في التفكير ، والاستقامة في الخلق ، والوقار في السمت، والوضوح في البيان تلك هي شمائل الأستاذ العامودي. والعامودي من أدباء الرعيل الأول في بلادنا . ولكنه لم يتخل عن رسالته الأدبية كما تخلى عنها بعض زملائه وبقي مخلصاً لرسالة الأدب ، ماضيا في سبيلها حتى الآن .

وذلك دليل أصالته الأدبية وقد عرفت له هذه الميزة فأسندت له القوامة على تحرير مجلة الحج ، فنهض نهوضاً واضحاً ملموساً لا ينكره إلا مكابر لا يقيم وزناً لجهود المجاهدين . وما زال العامودي يطالعنا بنتاجه في مجلة الحج وفي غيرها من صحف بلادنا القليلة والتي نأمل أن تكثر حتى يكون لبلادنا صحافة تليق بمكانها كبلاد تتجه إليها وجوه المسلمين وأرواحهم في مشارق الأرض ومغاربها لقد قال سمو الأمير عبد الله الفيصل ذات مرة : « إن صحافتنا كالثوب القصير على الجسم الكبير ، وهذا صحيح »

• • •

لقد كان العامودي في مطلع حياته الأدبية شاعراً وناثراً

أما الان فقد اقتصر على النقد ولم نعد نرى له إنتاجاً شعرياً .
ولقد رغبت إليه أن يتحفني بشعر جديد ، إن كان لديه شيء من ذلك لينظر إليه المرصاد بنظرته ، ويزنه بميزانه ويضعه في موضعه الجدير به من شعر بلادنا فكان جوابه لي أنه لم يعد يعنى بالشعر - كما كان يعنى به سابقاً - ذلك لأنه كفر بالشعر ، ولأن العصر الذي نعيش فيه لا يعني بالشعر ، ولا يقيم له وزناً فهو عصر عقل ومادة ، وما هو عصر روح وعاطفة .
ولما ألححت عليه أحالني على وحي الصحراء . أما ما أنتجه من شعر بعد ذلك، فقد أهمله بين أوراقه وأن الجو الذي امتاز به طقس بلادنا يمنعه من أن يجمع بينه وبين حرارة العاطفة وأن جلبة العصر الذي نحن فيه لم تدع له وقتاً يتفرغ فيه للبحث عن أشعار أصبحت في زوايا إهماله ومجاهل نسيانه، ولكن للأستاذ العـــامودي ما أراد ، فذلك يتعلق بخاصة نفسه وليس لنا أن نتدخل في الخصوصيات .

ولكن نريد أن نسأله : هل النفس الشاعرة تستطيع أن تتخلى عن الشعر سواء كانت مؤمنة به أو كافرة ؟ . إن عصر المادة والعقل يا أستاذ عامودي لا يستطيع أن ينتزع من النفوس خواصها ، والكفر بالشيء لا يمنع وجوده . . . فكفر الإنسانية كلها بالشعر لا يستطيع أن يجرد النفوس الآدمية من عواطفها وانفعالاتها ، إلا إذا خلق الله نفوساً لا تحس ولا تشعر . وإلا إذا خلق الله رءوساً لا تعي ولا تفكر ، وإلا إذا خلق الله أجساماً بغير قلوب تخفق ، وبغير

أرواح ترفرف ، وإلا إذا خلق الله إنساناً مجرداً من الآمال والأماني والأحلام ، والأخيلة .

إن خلق الله لم يتبدل منذ خلق آدم عليه السلام وسيبقى هذا الخلق كما هو حتى يرث الله الأرض ومن عليها ، وما دام هذا الخلق يحمل كل هذه الخصائص ، فلا بد له من قول الشعــر ، كما أن لكل مخــلوق له معــدة لا بد له من الطعــام والشراب ، وكل مخــلوق يحن إلى المأوى لا بد من اتخاذ سكن يأوي إليه ، وكل مخلوق يحس بلفحة البرد والحر لا بد له من ثياب تقيه البرد وأخرى تقيه الحر .. وكل إنسان تهفو نفسه للجمال لا بد له أن يتغنى به ، إن ملكة الكلام من خصائص الإنسانية يا أستاذ عامودي التي تفردت بها دون غيرها من مخلوقات الله ، انحصرت في شيئين اثنين لا ثالث لهما هي النثر والشعر . . وما دامت هي قادرة على النطق بهما فلن تتخلى عن أحدهما دون الآخر إننا إذا نظرنا إلى الإنسانية نجدها لم تكتف بالنثر والشعر ، فراحت تتخاطب بأشياء كثيرة لأن لديها معاني قد لا يقوم الشعر والنثر بأدائها . فتكلمت بالموسيقى ، وتكلمت بالرسم، وتكلمت بالتصوير ، و تكلمت بالرقص وبأشياء أخرى كثيرة . . وذلك دليل على أنها في حاجة إلى التعبير بما هو أكثر من الشعر والنثر ، فكيف يتسنى لها ترك الشعر وهو أداة جميلة من أدوات التعبير التي اختص بها الله عباده

الآدميين دون سواهم . . .

لك أن تقول يا أستاذ إن جلبة المادة وهيمنة العقل المجرد على الحياة أصما آذان الانسانية عن سماع الشعر فلم تعد تصغي له الإصغاء الواجب، وتستطيع أن تقول إن الصراع الأرضي العنيف ران على القلوب بقسوته ومآسيه حتى أصبحت لا تتلفت للأصوات الإيقاعية الموزونة، وتستطيع أن تقول إن الإنسانية التي احترقت في أتون النار والحديد والبارود لا يمكن أن تغريها القلوب الشاعرة المحترقة في أتون الألم والحرمان على الاستماع لأناتها، وتستطيع أن تقول إن الأنفاس الجهنمية التي تتنفس بها فوهات المدافع اجترفت في طريقها أنفاس الشعر والشعراء. تستطيع أن تقول هذا وما هو أكثر من هذا، ولكن ليس معنى هذا كله أن النفس الشاعرة تجردت من شاعريتها، بل ربما حالة الإنسانية هذه أدعى إلى إثارة الانفعالات فيها . . وما الشاعرية ؟ إنها إنفعال نفسي متدفق قاهر يحمل على قول الشعر حملا، وإن الإنسانية على كل ما حل بها لم تزل محتفظة في سيرها العنيف المرهق بقلوب ونفوس وأرواح تهفو إلى ظلال الشعر، وترى فيه نفسها، وتتنسم في واحات الشعر المنتثرة في صحراء الحياة القاسية نسيم الراحة، وتجد في أفياء الشعر الوارفة برداً وسلاماً، وترى فيه متنفساً ينفس عنها — ولو ساعة من نهار — ما هي فيه من أزمات الصراع الخانقة.

وأخيراً تستطيع أن تقول إنني اتكلم كلاماً شعرياً ، لا يتفق مع المنطق السائد في لغة التفاهم بين الأكثرية الغالبة من أبناء الدنيا في عصرنا الحديث ، ولكنك لا تستطيع أن تنكر أن هناك أقلية تعيش للشعر ،وإن أقلية تقابلها لا تلهيها الحياة عن استماع الشعر . . ويكفي الشعر رسالة بالغة أن يحنو على الأقليات ويتجاوب معها . . . لا بل يكفي الشعر فخراً أن الكافرين به يتماقونه ليثير في الشباب حب الموت للدفاع عن الحوزة،وليثير في الكهول حب التضحيةلنوال الخلود ، ويثير في الشيخ رجوعه إلى صباه .

ولنعد إليك — يا أستاذ عامودي — ذكريات الشعر — بالنظر إلى شعرك — متمثلين بقول الشاعر : « رب ذكرى قربت من نزحا » فلعل ذكريات نفسك الشاعرة تردك إلى الشعر فتعود إلى قيثارتك وتسمعنا من ألحانك ألحاناً جديدة . إن الأستاذ العامودي شاعر يعرف قيمة الشعر . ومن تقديره للشعر قوله :

الشعر فن جميـــــل لدى الطباع الجميلة
إني أراه دوامـــــاً سر الحياة النبـــيلة . .
لكنــه بات يشـــكو ذوي النفوس العليلة
هم صيروه مهانـــا يحيا حياة ذليـــلة . .

أرأيت يا قارئي الكريم مبلغ معرفة العامودي لقيمة الشعر . إنه عند العامودي فن جميل وإنه سر الحياة النبيلة ولكن

العامودي يستمع للشعر النابع من قلبه فيراه يشكو النفوس العليلة التي صيرته مهاناً ذليلا . . فلا يدعه يتنسم نسيم الحياة لئلا يحيا حياة ذليلة لا تليق به . وإنه لاعتزاز بالشعر إلى أبعد حدود الاعتزاز ، ولكنه اعتزاز متطرف أدى إلى وأده . . وكان في إمكان العامودي أن يعمل للشعر عملا ينحيه عن طريق المهانة ، ويدعه يحيا حياة كريمة كما يريدها العامودي ، حياة تحارب الذل والهوان ولا ترضى بظلالهما .

ويقول العامودي :

أما الحيـاة فإني لست أفهمهـــا
إلا غنـاء ، وألحانـــا ، واشجانـــا
أرى الزهور وقد أضحت أرائكها
تبدو فتشدو عليها الطير تحنانـــا
وأسمع الصارخ الباكي يذكرني
عهداً من الحب فيه (كانماكان)
يومي وأمسي مجال للترنم والـذ
كرى وهذا غدي أيضاً لقد آنـا

إن العامودي لا يفهم الحياة إلا غناء وألحانا وأشجانا ، ومعنى هذا أن العامودي لا يفهم الحياة إلا شعراً، فإذا كانت غير شعر فتستعصى على فهمه . . معنى واضح ، ووضوح المعاني والأفكار كما بينا في صدر كلامنا من شمائل العامودي ،

فما معنى كفره بالشعر بعد هذا الإيمان الكامل به ؟ قد أجاب العامودي على هذا السؤال في شعره الذي مربنا، فكفره بالشعر أتاه من شكوى الشعر من ذوي النفوس العليلة .

هم صيروه مهانـــا   يحيــا حيـاة ذليـــلة

ولا يريد لشعره أن يهان، فوأده في نفسه حرصاً عليه من الإهانة لا كفراً به، ولعل العامودي خانه التعبير حينما قال لنا إنه كفر بالشعر :

لا تقولـــوا لمن يتاجـر في مبـ
ـــدئه ، كيف أنت فيه تتاجـر
لا تقولـوا له : لقد جئت ذنبـــا
هو ذنب من الذنوب الكبائـــر
حسبكم منه فعلـه فهـــو درس
لأولى الأنفس الشريفـة ظاهـر
حسبكم أنه بغـــير ضمــــير
حينما الناس يذكـرون الضمائـر

وهذه رباعية من رباعيات العامودي . . . لا. إنها ليست رباعية إنها أنة قلب يتحرق على ما وصلت إليه الأنفس من الحطة حتى أصبحت تتاجر بالمبدأ ، كما يتاجر التجار بالسلع وراء الربح . والمتاجرة بالمباديء أحط أنواع التجارة .

لأن المبدأ لا يقوم بقيمة مهما كانت تلك القيمة مغرية، إنه فوق المال وفوق الجاه ، لكن كم في الألف من النفوس التي تعرف قيمة المباديء وتعتز بها ؟ ولا تساوم فيها ؟ ولذلك فهو ينصح بأن لا تقول لمن يتاجر بمبدأه إنك أتيت بكبيرة من الكبائر، إن من يتاجر بمبدأه لا يبالي الذنوب، صغائر كانت أو كبائر، لأن ميت الضمير، فاقد الإحساس سليب الكرامـــة والشرف . فإذا ذكرت الضمائر بين النـــاس ورفعت لها . . . موازين القسط شالت كفة ميزانه، وسقط من عداد الأشراف الذين لا يعرفون لأنفسهم قيمتها .

حسبكم أنـه بغـير ضمـير
حيـنما الناس يذكـرون الضمائر

معاني واضحة في بيان واضح ، لا لبس فيها ولا دوران . الحق أني أميل إلى الشعر الواضح وأمجد صاحبه . ذلك لأن المعاني كامنة مخبوءة في النفوس، وميزة الشاعر في بيانها وتوضيحها بأسلوبه الغنائي المقفى الموزون ، والعامودي لم يفقد هذه الميزة ، ونحن إذا نظرنا إلى الشعراء الخالدين في كل أمة لا نجدهم خالدين إلا لأنهم أوضحوا المعاني العميقة واقتنصوا الشوارد منها وقدموها للناس في بيان واضح مشرق لا يجهد الأذهان ولا يرهق العقول ، بل ينعشها ويبعث فيها النشاط والحركة والحياة إلى جانب المتعة بإيقاعها ورنة أجراسها ولكن :

قد يضيع الحديث عند أنـــاس
لا يـــكادون يفهمون الحديثـا
إنما الصمت حكمة بين قـــوم
لوثتهـم عقولهـم تلويثـا ..
هم يرون الخبيث شيئاً جميــلا
ويرون الجمـال شيئاً خبيــثا
عش غبياً ، وكـن جمـاداً وللرا
حة يا صاح فاسع سعياً حثيـثا

إنها نصيحة خليقة لمن يعيش بين أناس يرون الخبيث شيئاً جميلا والجمال شيئاً خبيثا . . ولكن هل في إمكان الذكي أن يستحيل غبيا وفي إمكان الإنسان أن ينسخط إلى جماد . ؟؟ يعرف العامودي أن ذلك غير ممكن . إذاً أفلا أقل من التغابي لمن أراد سعيا وراء الراحة . ولكن من يسعى إلى الراحـــة ؟ بهذه (الوصفة) التي يصفها العـــامودي الساخر . لا يسعى لها إلا من طلب التردي والانحطاط . وأراد أن يبدل خلق الله ، ويستبدل بالنعمة النقمة ، وبالخير الشر وبالأعلى الأدنى ، وبالمقدرة العجز . يفهم هذا من قول العامودي الجاد حينما يصرخ في الشباب صرخته الوجدانية المتحمسة :

يا شباب الحجاز ما عاش من يلـ
ـزم نومـــا فايقظوا النوّاما
عاجز في الحياة من يطلب الرا
حـــة فيها ويبتغيها دواما
ساحة المجد لايفـــوز بها غـــ
ير الذي يسبق الجمـــوع اقتحاما
فاعملـوا وابذلوا الجهود على أن
تحفظوا أيها الشباب الوئامـــــا
نظموا السير وأفهموا الناس طرا
أننا أمـــة تحب النظامـــــا ..
وامـــلأونا تباهيـــا وارشفـــونـــا
من رحيـق الفخار جاما فجامـــا

هذا نموذج من شعر العامودي الشاعر قاله منذ أكثر من عشرين سنة تقريبا . فإن كان لنا أن نأسف على شيء فإننا على هذه الشاعرية ذات الأحلام الذهبية التي وأدها العامودي ولم يتركها تسير مع مثيلاتها في الطريق ، وأن مثل هذا الشعر لا يمكن أن يهان أو يحيا حياة ذليلة يربأ العامودي بشعره أن يحياها ، أما همزتي الابتداء التي جاءتا في (افهموا)

وفي (ارشفونا) على أن تقرأ كهمزة الوصل فإننا نغتفرها للضرورة الشعرية .

ولعلنا أثرنا في نفس العامودي الشاعرية المدفونة تحت أطباق اليأس ، ولعل هذه الشاعرية الموءودة تنفض عنها الغبار وتمزق أكفان الموت وتلبس لبسة الأحياء ، وتسير مع الركب فإنه ليعز علينا أن يفتقد موكب الشعر في بلادنا شاعراً مثل العامودي ، ويعز علينا ألا نجد لهذه الشاعرية الثرة التي لا يمكن أن تنضب غير ما طالعتنا به من شعر في مطلع حياتها .

ويؤلمنا ألا ننعم بصوت شاعر عرك الحياة ، وعانى ما عانى من تجاربها ، نريد يا أستاذ عامودي أن نستمع إلى تجاربك الشعرية فلا تبخل علينا بها .

شعراء الحجاز في العصر الحديث

وأخيراً أتحفنا الناشر النشيط الأستاذ عبد السلام الساسي بمجموعة من شعر جمهرة من شعرائنا . . في كتاب أسماه : (شعراء الحجاز في العصر الحديث) . فإذا تعرضنا لنقد ما فيه من شعر ، فإن الواجب يدعوني — قبل أن أدير القلم للنقد — أن أشكر الساسي لأنه أتاح لنا بكتابه هذا فرصة طيبة ، ووضع في أيدينا مادة وافره لو لم يقدمها لنا الأستاذ عبد السلام الساسي لأعيانا الحصول عليها بمثل هذه السهولة .. ومن غير الساسي لها . ؟؟ فشكراً . . شكراً .

لقد أهدى الساسي مجموعته هذه لأبرز رجل من رجالالتنا وأبعدهم صوتاً ، وأحفلهم بمناحي العظمة . ذلك هو معالي الشيخ محمد سرور الصبان . وقد أسماه الساسي الوزير الأديب . . ونحن نسميه : « باني النهضة الأدبية في بلادنا »[1] لأنه أول من حمل شعلة الأدب في هذا البلد المقدس . . وأول من بذر بذور الكتابة الفنية شعراً أو نثراً . . والذي أعرفه . أنه أول من أنشأ في بلادنا مكتبة أدبية، وكان مكانها

---

(١) وبهذا التسمية أهديته كتابي المسمى «مع الشيطان» اعترافا بالجميل .

في القشاشية منذ خمس وثلاثين سنة تقريباً . كما أذكر نه أول من ألف في الأدب الحديث وطبع ونشر . ومن مؤلفاته : (المعرض ، وأدب الحجاز) . . ومما أذكره أيضاً أنه أول من نشط في تزويد المكتبة العربية في البلاد السعودية . . بكل إنتاج قيم ينتجه الكتاب المحدثون في الشرق العربي تأليفاً أو ترجمة . . لينهل منها الأدباء وشداة الأدب ما يهيؤهم للإنتـــاج الأدبي في أســـاليبه العصرية . . ثم تشجيعه لكل أديب استطاع أن يحمل القلم ويكتب به شيئاً يقال له أدب . . ثم بتأسيس شركة الطبع والنشر التي كانت تصدر صوت الحجاز ،ثم بافتتاحه قاعة المحاضرات بدار الإسعاف الخيري بمكة . . ثم بأخذه بأيد الأدباء وتوظيفهم في مختلف الوظائف لترقية أساليب التحرير في المعامـــلات الحكومية ، وإن ما ناله من ثقة ولاة الأمور مكنه من إنشاء كثير من المشاريع النافعة ، وقد عرف له ولاة الأمور ذوقه الفني ، وميله إلى الأدب ، فجعلوا إليه الإشراف على كل ما يمت إلى الأدب بصلة ، وكان من توجيهه أن أخذت الحركة الأدبية في النمو والازدهار حتى أصبح لدينا محصول أدبي لا بأس به . . وأخيراً كان له الإشراف على الإذاعة السعودية. وقد خطت هذه الإذاعة بإشرافه خطوات واسعة وهي في طريقها إلى خطوات أوسع بفضل الله ثم بمجهوده ، وبما امتاز به من ذوق فني رفيع . . كما خطت على يديه جريدة

البلاد السعودية خطواتها الملموسة . . الأمر الذي أرضى ولاة أمورنا عن كل ذلك . فباركوا هذه الجهود .

وسوف يسطر تاريخ الأدب والفن في هذه البلاد عمل العاملين على رفعته وازدهاره بما وسعه من اعتراف بالجميل..

لقد أهدى الأستاذ الساسي كتابه لباني الحركة الأدبية .. فلنر ما في هذه الهدية من ثمين ورخيص . . وناضج وفج ولنحدق فيها طويلا لنتبين قيمة هذه الهدية . .

لقد قدم الأستاذ الساسي كل شاعر بزفة مجلجلة ، وجلالنا عرائسه بين الضجيج والجلبة ولكن هذه الزفة ، لا تؤثر على أعصابنا . . . فليس المقصود من العرس . . إلا العروس المجلوة . أما الزفة فلا يستفيد منها غير الذين لا يعنيهم أمر المزفوفة في شيء . . وكل غرامهم ، أنهم دعوا إلى حفلة حافلة بما لذ وطاب ، من الطعام والشراب . . واجتماع الأهل والأصحاب ، في أفخم الثياب . . أما نحن فلا يعنينا إلا مبلغ ما في هذه العرائس المجلوة — القصائد والمقطوعات — من جمال أو قبح ، لنضع كل عروس في مكانها اللائق بها ، بحسب ما فيها من دقائق الفن الصحيح ، واعطاءها حقها دون ما بخس أو إسراف . . . ولا نريد أن نجعل مقاييسنا في ذلك مقاييس مستوردة من الخارج ، فحسبنا الموازين المحلية الآن . . لئلا يتهمنا الناس بالعنت والإعنات . . والميزان الذي سأتقدم به في وزن هذا المحصول

الشعري لخصه الأستاذ حمزة شحاته في قوله . . لما سألته عن رأيه في الشعر : « هو آخر ماوصل إليه البيان المترف » . ولخصه الأستاذ عبد الله عبد الجبار لما سألته نفس السؤال بقوله : « هو روح يناجي روحا ، ووجدان يخاطب وجدانا » .

فرأيت كلا من القولين متمما للآخر . . فإن أراده الأستاذ حمزة أسلوباً ، فالأسلوب القوي لا يتأتى إلا للروح القوي . وإن أراده الأستاذ عبد الله روحا ، فإن الروح يتبدى في الأسلوب تبدي الماء في الغصن الغض الناضر . . نعم قد يكون الشاعر ، روحا فياضا ولكن أدوات البيان لم تستكمل لديه . . ولكن مع ذلك فإن الروح تبدو جلية واضحة في شعره ، والأمثال على ذلك كثيرة . . وقد تكون الأدوات البيانية مستكملة عند شاعر ، ولكن انبثاقاته الروحية لا تتأتى له كلما عمد إلى مناجاتها واستنزالها فيستعيض عن ذلك بالصنعة المجودة واختيار الأماكن الملائمة للألفاظ والكلمات ،ومع ذلك فإن الناقد يدرك أن الشاعر أتقن صنعته فلا يبخسه حقه لأنه لم يخرج عن عداد الشعراء ولم يشذ شعره عن موكب الشعر . . أما الذي لا يحسن إلا التفاعيل، ورصف الألفاظ ـ كيفمااتفق ـ وليس لديه من المؤهلات ما يسلكه في نظام الشعر والشعراء . . إلا الوزن والقافية .. فسيوفى أيضاً حقه ليعرف موضعه فلايتعداه .. ولن

يشفع له أنه نظم المعلقات الطوال أو أن له من الأوراق أكداساً تطاول الجبال . . ولن يخرج الشاعر من نمط الشعراء ندرة ما قال، ولو كان بيتاً واحداً يدل على ما في نفسه من إصالة وجمال .

ذلك هو الميزان الذي نسير على ضوئه في نقد هذه المجموعة . . هو ميزان محلي كما ترون تسقط أمامه دعوى الإجحاف بشعر شعرائنا حتى إذا اشتدت سواعدنا في مزاولة الشعر وقويت دعائمنا ، نستطيع أن نحملهم على الوزن بميزان أدق . . لأننا نأمل أن يكون لبلادنا شعراء يحلقون في آفاق ارحب من هذه الآفاق . ويشاركون الشعراء العالميين في أجوائهم البعيدة . . تلك الأجواء . . التي تتراقص فيها المعاني الإنسانية بمظاهرها الرائعة الأخاذة .. وأننا نرجيء ذلك الميزان الدقيق . . لذلك اليوم المنتظر ، الذي نرى فيه شعراءنا يساهمون بشعرهم في الحضارة الإنسانية العامة . . وما ذلك على الله بعزيز .

حمزة شحاته

مقدمة كتاب شعراء الحجاز في العصر الحديث بقلم الأستاذ حمزة شحاته . . ويسرني جداً أن يبرز هذا الأديب الذي أعتبره الأديب الأول من عزلته ، ويرفع عنه ستار الإنطـــواء على نفسه ويقـــذف (بـــلا أباليته) إلى حيث يقـــذف بها . . فإننـــا قد سئمناها ، وأنكرناها عليـــه .. فحيهلا بك أبا عرب . . وستكون أول من يتعرض له قلمي بالنقد . وإن في طبعك حب التحدي إذا حملك عليه إنسان .. أي إنسان . وها أنا أحرك فيك الكامن في طبعك لعل أدبنا يجد في بروزك ربحاً ولو كان ذلك الربح على حسابي .

إن مقدمتك ــ يا أستاذ حمزة ــ مقدمة من لا يعييه الأدب في أروع صوره ، وأحسن لبسته ، ولا يجلس به العجز عن أسمى غاياته ولا يعتوره الكلال لتناول أعلى قممه ، والصعود إلى أبعد أمدائه. ولقد عرفتك زخار البديهة ، فضلا عن التأني والروية ، فياضا بأحسن ما يفيض الشعر والنثر على قلم أديب . وإن لك من سعة الاطلاع وتنوع أنواع الثقافة ما يجعلك في مصاف أشهر الأدباء

وأكثرهم إنتاجا لو كنت تعنى بأدبك وبنشر آثارك المطمورة في أدراج المكاتب . . المبددة في أيدي الأصحاب . . وإن في إنتاجك المطبوع والمخطوط – الذي تمكنت من الاطلاع عليه – على ندرته لمحات العبقرية ونفحات الخلود . . ولكنك ضننت بفنك على بلدك ومواطنيك ، حتى لكأن مجدها الأدبي لا يعنيك . . وهذا ما نؤاخذك عليه لأنك آثرت الراحة على النصب . . والعافية على جرائر الفكر . . إنك يا أستاذ حمزة لست ملك نفسك حتى لا نؤاخذك ولكنك ملك بلادك في كل ما حباك الله به من فكر وأدب ، وذكاء وقدرة على الإنتاج ،إنك اجترأت على هذا الحق الذي في عنقك ، لمواطنيك ، وهضمته ، فهل لك أن تعود إلى حياة الفكر وتعيد الحق إلى نصابه ؟ فما عرفتك ظلاما ، ولا عهدتك هضاما للحقوق .

نعم إنك كتبت كثيراً ونشرت كثيراً، ولكن كان ذلك حينما كان الأدب همساً والصوت خافتا ونحن نريدك الآن حينما ارتفع صوت الأدب ، وجلجل في الآفاق ، وتعدى الحدود ، وصارت موجات الأثير خوادمه . . وأصبحت بلادنا المقدسة في حاجة لأن تسمع العالم ما يسترعى نظره ، ويستثير اهتمامه . . ويوجهه إلى القبلة الحقة بعد أن انصرف عنها ، إن بلادنا الحبيبة تريد أصواتاً جهيرة ، وأقلاما قوية ، وأدباً حيّا . . وأنت من كل أولئك في المكان الذي

لا ينكر . . والمنزلة التي لا تجحد . . فاملأْ مكانك ولا تدعنا نحس بخلو ه منك . .

* * *

لقد قلت في مقدمتك ـ بعد أن أوضحت أن الشعر أسلوب : « إن من شعر اء هذه المجموعة من لا يفخر الحجاز بهم ويتيه . بل كل بلد عربي . وهم السرحان ، وعواد ، وقنديل ، وحسين عرب ، وأشباههم في معظم السمات وفي بعضها دون جملتها » .

ولم يتبين لنا نموذجا من أسلوب من ذكرتهم لنطبق القاعدة التي بنيت عليها حكمك ، وكان الواجب يقتضيك ذلك . أما إرسال الكلام على عواهنه دون ما استشهاد أو تدليل ، فذلك ما لا نقبله منك ، ومنك بالذات على الأخص .

ثم قلت : « ومنهم مستحق الرثاء ، ومنهم مستوجب التعزير حتى يعلن التوبة من رفع عقيرته بمثل هذا الهراء الذي ظنه شعراً ، فأفسد به جو هذه المجموعة الرقيق حتى أوشك أن يتحول إلى جو مظاهرة من المظاهرات التي يغلب عليه عنصر الرعاع والدهماء » .

ولم تبين لنا مستحق الرثاء بشعره ومستوجب التعزير على شعره .

وبتعميتك هذه كان الأوجب أن تعمى على القاريء كذلك أسماء من هم في رأيك يفخر الحجاز بهم ويتيه . . ونترك القاريء يتبين كل أولئك من آثارهم . . أما أنك تذكر أسماء أربعة ، فذلك ما لا يرضاه منك العاقلون من القراء وبالأخص وأنت تقول : « وإني لأعرف – كما يعرف أي عاقل من القراء – فما يعنيني غيرهم – أن الجيد إعلان ذاته » . . فكيف ساغ لك – بعد هذا القول – أن تذكر أسماء من ذكرت أسماءهم إلا أن يكون إعلانا عنهم . . ونحن لا نحجر عليك الإعلان عمن تريد ولكنك لم ترض لنفسك أن تكون « قارع جرس أو حامل طبلة ، أو سمساراً » . . وبذكرك من ذكرت لم تترك الحق الذي أعطيته للقاريء في مقدمتك حين قلت : « وما على القاريء الآن وهذا هو الحق لا غير – إلا أن يخوض المعركة وحده فيسأل نفسه أو يسأل سواه وله الخيرة – ما هو نصيب كل شاعر في هذه المجموعة من قصة الأسلوب والديباجة هذه إشراقا ، وقوة ، ومتانة تركيب ، وما هي قدرته ؟ » .

إن من ذكرتهم ليتيه الحجاز والبلاد العربية بأساليبهم ليسوا من شعراء الأسلوب والديباجة في كل شعرهم . . وليكونوا شعراء في أي شيء آخر إلا هذه إذا أردنا التعميم – كما هو حكمك – فالعواد كما نعرفه لا يعني بالأسلوب . . وهل ترى الشاعر الآخر الذي يقول :

واستنطقت وجنتيه الـــراح ناعسة
في مقلتيه وفي الألحاظ تأتـــلق
واستحلفت ناظريـه الكأس سائلة
أين التي لحياتي روحها الطـــلق

ويقول :

وي كأن الدنيا الفضاء حـــوا
لي على رحبهـــا سراديب أفعى
وفـؤادي تنتاشه في فم الغـــيرة
حيـاتهـــا الشـــديدة فزعـــا
والأصيل الطروب يمرح في البحر
بأضـــوائه في المـوج تســـعى
لقـلت حالـة المحـل تقـــلى
في لظى الغيرة القديـرة صنـعا

أقول هل ترى قائل هذه الأبيات وغيرها من الأبيات التي لا تعرف لها أسلوبا ولا تعرف لها في العربية الفصحى مكانا ، وبغض النظر عن الشعر وما ينبغي له أن يكون ، هل تراه يا أستاذنا الكبير من الشعراء الذين تفخر بهم البلاد العربية وتتيه ؟ . أو هل ترى أنه يسلك بهذا الأسلوب في سلك شعراء الأسلوب والديباجة ؟؟ نترك لك علامات

الاستفهام واقفة حتى تجيب عليها .

أما حسين عرب وحسين سرحان - في هذه المجموعة - فإنهما يتأرجحان بين الأسلوب الضحل والأسلوب المشرق الناصع . . وربما كانا الشاعرين اللذين مهما كان أسلوبهما متأرجحا فإننا لا نستطيع إلا أن نعترف لهما بالإصالة في الشعر والشاعرية الثرة بانفعالاتهما وسأدلك على كل ما أقول عندما أصل إليهما . . وأكتفي الآن بأن أقول لك يا أستاذ حمزة . . كيف فاتك ذلك وأنت الحصيف اللماح ؟؟ [1] .

---

(١) بعد كتابة ما كتبت عن المقدمة اطلعت على إعلان في أحد أعداد جريدة البلاد السعودية بإمضاء الأستاذ حمزة شحاته ، ومفاد الإعلان أن المقدمة ليست بقلمه فدار بخلدي أن الموضوع لايتعدى أن يكون مؤامرة معقودة بين الساسي والشحاته باتباع هذه الخطة لترويج الكتاب وهي طريقة مبتكرة في الإعلان عندنا، لكنها طريقة معروفة في خارج بلادنا وهي طريقة الإعلانات بالإسلوب الأمريكي ، فإن لم يكن هذا الذي دار بخلدي صحيحا ، فإني كتبت ما كتبت وأنا معتقد أن المقدمة بقلم الأستاذ حمزة، فوجهت هذا إليه وعلى كل فإن كان يعتبر كلامي الذي جاء في المقدمة موجها إليه ، فليعتبره كذلك ، وليكتف صانع المقدمة بمناقشة ماجاء فيها من أفكار وآراء كائنا من كان. فإن نسبة المقدمة للأستاذ حمزه أو لغيره لايغير من الحقائق الفنية شيئا.

محمد سرور صبان الشاعر

لقد سبق أن بينا في صدر كتابنا هذا أن هذا الرجل الكبير باني الحركة الأدبية، وهو أول من حمل شعلة الأدب الحديث في هذا البلد المقدس . . وهو قبل أن يكون رجلا كبيرا كان وما زال أديبا كبيرا وشاعراً صادق الشعور . . وما كان ليحمل شعلة الأدب لو لم يكن كذلك فهو على ما أنفق من مال وجهد على الأدب والأدباء . . فقد أمد الأدب بآثار من شعره ونثره وما هو من الذين يرون أن الأدب ملهاة يتلهى بها الناس في ساعات فراغهم . . ولكنه من الذين يرون أن الأدب روح الأمة . . لما له من الأثر العميق في نهوضها وتقدمها ، فبذل له من ذات نفسه الشيء الكثير ، ولم يبخل عليه بمجهود من طاقته في كل مجال .

* * *

وإن للأستاذ محمد سرور الشاعر ، في كتاب (شعراء الحجاز في العصر الحديث) . . أثرا أدبياً . . والنقد الفني إذ ينظر إلى هذا الأثر فإنما ينظر إليه بعين النقد ، والنقد فقط ، لأن الميزان فيه ميزان الذوق والفن . . فهو للفكرة

وصياغتها ، وللروح وأشواقها ، وللقلب وانفعالاته وللذهن وانبثاقاته ثم لا يعنيه بعد ذلك شيء . . ولقد أخذت على نفسي أن انقد ما يصادفني من آثار أدبائنا وشعرائنا ، فإذا صادفني أثر لصاحب الأيادي البيض على النهضة الأدبية ، فقد أجد شيئاً من الحرج يقف بقلمي عن الانطلاق . . ولكن تبينت أن ذلك وهم لا ظل له من الحقيقة،فأحب أن يزول هذا الوهم من كل ذهن قد يعلق به ما علق بذهني منه ، ذلك أن محمد سرور يحب أن يرى نتيجة جهوده التي بذلها للأدب ، لأن غايته أن يكون لبلادنا أدب يساير الحركات الأدبية عند غيرنا ممن سبقونا وبرزوا علينا . . ومن يعرف الشيخ محمد كأديب وكشاعر يعرف أن مثل هذا الحرج المتوهم لا مكان له لأن لمحمد سرور نفسا صافية سمحة،وآفاقا عالية رحبة ، وقلبا كالبحر لا يضيق بشيء . . فلينطلق القلم على سجيته .. وليصدق في نقده وليؤدي ما عليه من واجبات حيال الفن الأدبي في بصر نافذ وإخلاص لا تشوبه شائبة . . فلنسر أنا وأنت يا قارئي العزيز إلى أمدائه لنعرف أين مكانه ؟ ولا أحسبه إلا مجليا . فلتر مبلغ الصحة من هذا الحسبان . . ولك أن تردني إلى المحجة إذا رأيتني أثنى عنها، وأول ما يطالعنا من شعر الشيخ محمد سرور قصيدة (يا ليل ص ١٣) من كتاب شعراء الحجاز في العصر الحديث وقد قال :

يا ليل صمتك راحة   للموجعين أسا وكربا

خففت من آلامهـــم وروسعتهم رفقا وحبا
أو ماترى حدث الزما ن أمضهم عسفاً وغلبا

مناجاة هادئة ذات وقع موسيقي لذيذ يتمثل في قافيتها .. وانسياب وسلاسة يدلان على الصفاء والانطلاق اللذين لا يتعثران في شيء ويستمر على ذلك فيقول :

ياليل إن بسم الخـــ لي وسادر لهوا ولعبا
فبجنبه يبكي الشـــ جي وربما لم يأت ذنبا
هـــذا ينعـم بالـــه وأخوه يصلى النار غصبا

وهنا يجب أن نقف وقفة قصيرة قبل أن نتم القصيدة . إن مطلع القصيدة يرينا أن الشاعر كان قلق النفس ضيق الصدر بجلبة الحياة وضوضاء النهار فلما جاء الليل وسكن الناس إلى مضاجعهم وصمت الكون ، وجد الشاعر راحته في سكون الليل وهدوئه فاتخذ منه سميرا ونجيا، وكأنه أراد من الليل أن ينصت له بدليل أنه لم يستنطقه في ما مر بنا من أبيات ، بل قال له إن صمتك راحة الموجعين ، ثم سمح لليل بأن يروي أخباره لغيره فماذا قال له ؟ قال :

ياليـــل فارو محدثـــا أخبارنا غبا فغبـــا
فلنـــا بذلك حاجـــة إن تقضها فرجت كربا
وابدأ حديثك بالأولى عالوا من الآلام وصبا
فعسى بهم نأسوا وعل لنا بذلك منـــه طبـــا

ويستقيم المعنى لو أن الشاعر قال لليل أرو لي أخبار أمثالي لعلي أتأسى بهم وأجد في أحاديث ما نالهم من كروب وآلام طبا لدائي الذي يشابه أدواءهم ، لأنه يريد التأسي « فعسى بهم تأسو » ثم يقول :

ياليل ما للبدر يمـــ رح في السما شرقاوغربا
يبدو فيضحك ساخرا منا وطورا قد تخبا ...
يعلو على متن السحـا ب يسوقها سربا فسربا
أتراه يعبث كالوليـــ يد فليس يخشى بعد عتبا

إن إحساس الشاعر بلغ حدا من الإرهاف يجعله لا يحتمل حركة القمر الهادئة . . وشعور الشاعر بحركة القمر شعور دقيق جداً ، فهو في خلوته بالليل يضيق بكل من يعكر صفو تلك الخلوة . لقد بلغ الشاعر القمة في دقة الشعور وإرهاف الحس، ولقد صورله ذلك الإرهاف البالغ في الحس والشعور أن القمر كالطفل العـــابث في جلبة وصخب واستهتار لا يبالي ما يصنع ولا يخشى العتب على ما يصنع. إن الناس لا يحسون بسير القمر ،لأنه – كما يبدو لهم – يسير وئيداً لا يحدث جلبة ولا ضوضاء، فإذا رأى الشاعر في حركته جلبة وضوضاء كضوضاء الطفل فإنه يرينا أبلغ ما تبلغه النفوس المرهفة من الشعور الحساس المرهف، وهي درجة من الإرهاف لم يصل إليها أحد من شعرائنا غير الشيخ محمد

سرور ، وبعد أن يبين لنا الشاعر ضيقه وبرمه بحركة القمر يعود لليل فيقول له :

ياليل! حزنك دائـم — أدعوك للسلوى فتأبى
ياليل! هل لك موطن — مثلي قضى قتلا ونهباً؟
ياليل! مالك مطرقا؟ — أبدا فقد أمضيت حقبا

لم ينطلق الليل بل كان يستمع للشاعر في صمت وإطراق . حتى ضاق الشاعر بذلك، فقال له : مالك مطرقا هذا الإطراق الطويل . . ويستمر في توجيه الأسئلة إليه :

يا ليـل ! هل ذقت الغرا — م ولوعه أ وكنت صبا؟

هل أنت عاشق شفك الغرام وشفتك اللوعة فألهتك عن حديثي وشكاتي ؟ ولكن الليل استمر في صمته . ولم تحمله دعابة الشاعر على الكلام . فقال له :

سرّي وسرّك غامضـ — فدع الخلائق منك غضبى

لقد غضب الشاعر من صمت الليل ، كما غضب الناس من صمت الشاعر ، وعدم إباحته بما في قلبه ، فلتكن الخلائق منك يا ليلي غضبى كما هي غضبى مني .

ولكن الشاعر يعاود مناجاة الليل فيقول له :

ياليل! ما شأن الغزالة — سيرها تيها وعجبا ؟!

وهنا نريد أن نقف وقفة صغيرة لنقول للشاعر : ما شأن الغزالة هنا الآن ؟ .

ولكن لا يفوتنا أنها أحاسيس مختلفة تضطرب في نفس الشاعر ، فلا يملك لها ردا أو ينساق إلى التعبير عنها ، ولعل منظر النجوم المنتشرة في السماء له ارتباط وثيق في ذهن الشاعر بالشمس . . ولذلك تحدث عن الشمس ، لأنه رأى في النجوم بنات الشمس وقد طردتهن فضمهن الليل إليه وآواهن عنده ، والقصيدة على ما يبدو فيها من عدم الترابط بين المعاني والأفكار والأحاسيس ، إلا أنها قصيدة سلسلة رقيقة ، وهي في سلاستها ورقتها حارة فوارة تدل على شاعرية أصيلة، لاغبار عليها ، وإذا وضعنا في اعتبارنا سن الشاعر حينما قال القصيدة . عرفنا أية عبقرية كامنة في هذه النفس ! .

وتبدو لنا أطوار شاعرية الشيخ محمد في شعره واضحة ، فهي تنتقل من حسن إلى أحسن كلما تقدمت به السن ، مع حرارة العاطفة وصدقها في كل شعر قاله بعد هذه القصيدة .

من ذلك حينما مات صديق الشاعر، عمر أفندي شاكر لما هوت به الطيارة في ميدان القتال ، عاب الناس على عمر شاكر ركوبه الطيارة وقالوا : إنه دخل في عمل لا يحسنه ، فهو رجل قلم ، وما هو من رجال الحرب وأبطال الميدان ، ولا إخال الشيخ محمد إلا أنه ابتسم كما هي عادته لقولهم

والشيخ محمد يبتسم في أحرج المواقف ، ولكل ابتسامة تشرق على شفتيه معنى . ومعنى ابتسامته هنا مفسرة في الأبيات التي قالها رثاء لصديقه :

لا يــلام الفتى إذا مـا تسامـى
لم أمسى عــلى الصعيد ركامـا
هكذا الروح للسموات تعـــلو
« مثلما الأرض تجذب الأجساما »

* * *

ليس بدعــا عــلى الشجاع إذا أقـ
دم يبغى لــه السماك مقامــا
وامتطى أصعب المراكب حـتى
جرعته الأقـدار موتا زؤامـا
كفراش يحوم حــول لهـــيب
أجـل ساقه إليـه فحامـا . .

* * *

أيهــا الراحل العزيز ســـلام
من بــلاد تقدس الأعلامــا

من عيون قد أطلقت صيب الدمـ
ـع وفاء ، وأرسلتــه سجامـــا
من قلوب تفيض حبـا وعطـفا
خـــيم الحزن عندهـــا وأقامـــا
زعــم البعض أن فعلك هـــذا
غير مجد ، ورجحوا الإحجاما..
ثم قالوا : عـــلامَ يدخل فيما
ليس يعنيـــه إنـه يتعـــــامى
يا لرب اليراع ؟ قد أخذ السيـ
ـف وخاض الوغى مثيراً قتامـــا

* * *

إنـــه حلــف دفـــتر ودواة
إنـه كاتب يجيـــد الكلامـــا
لا يطيق الوقوف في ساحة الحر
ب ونيرانها تزيـد ضرامـــا
ويحـه ! أنـه غــوى تـــردي
فســقاه الحمـام جامـا فجامـا

* * *

أيها اللائم الغرور ! رويدا
فمهور العلا تكون عظاما
قد يكون الأديب قائد جيش
فترى فيه باسلا مقداما
ويكون الجندي خدن يراع
فيحي قصورنا والخياما

تلك هي النفس الشاعرة تذوب في هذه القصيدة رثاء صادقا نابعا من الوفاء الذي يحمله الشاعر لصديقه . . وهو يرد على عائبي صديقه رداً عنيفاً ، وهو في عنفه منطق معقول في صدق وحرارة . يقول لهم : إن النفس العظيمة لا يقف بها العظم عند حد، فقد يكون الأديب قائد حرب ، وكما يحسن الصول بالقلم يحسن الصول بالسيف إذا ما دعاه داعي الذب عن الحوزة والذياد عن الحياض . . وهو إذ يقول هذا ما أتى ببدع من القول . وإنما هو ينبه الأذهان الغافلة والنفوس الجاهلة إلى هذه الحقيقة . « قد يكون الأديب قائد جيش » فأبو فراس الحمداني والمتنبي وعنترة وأمرؤ القيس ، وكثيرون غير هؤلاء من الشعراء والأدباء قادوا الجيوش ، وخاضوا المعارك . أفيكون بدعا على هذا الأديب أن ركب الطائرة ؟ أما الموت فهو نهاية كل حي، وأشرف الموت ما كان في ميدان الجهاد ، ولكن هذه الحقائق لا

يعرفها كل الناس ، وإن من طلب العلى لا يستعظم المهر .

أيها اللائم الغرور ! رويـــــداً

فمهور العــلى تــكون عظامــا

إن هذه القصيدة ليست أحاسيس مختلفة ، وإنما هو إحساس واحد ينتظم معانيها من أولها إلى آخرها ، وهي على ما فيها من إحساس حزين غامر ، منظمة المعاني ، مشرقة الأسلوب ، سهلة التعبير ، وتلك سيماء الشاعر الأصيل المالك لأمر نفسه ، المستكمل لأدوات الشعر ، حتّى لا ينقصه منها شيء .

وللشاعر قصيدة بعنوان (عاطفة نفس ص ١٦) ، ونحن إذا قرأنا هذه القصيدة لا نجد أنفسنا أمام أوزان وقوافي ، ولكننا نجد أنفسنا أمام مرآة تكشف لنا بانطباعاتها الطبع الشاعري ، والصدر العامر بالأمنيات المثالية التّي يتمناها ، لا لنفسه ، ولكن لشيء آخر ستكشف لنا عنه القصيدة ، فلنقرأها :

جل الأسى وتتــابعت زفــراتى

ودنـا المشيب فقـلت حان مماتى

فـكرت ألتمس الخلاص بحيــلة ،

أين المفر من القضاء الآتى ؟ !!

يا أيها القـدر ! المواتي إنـني
بادي الضنى ، هلا ترى نظرانى ؟
امنن علي بسـاعة أقضي بهـا
حق البلاد ، وخذ ربيع حيـاتى
إن كان في الأجل المقدر فسـحة
أولا ، فإنك نافـذ الرميـات
مالي إليـك وسيلة أرجو بهـا
نيـل المرام فجدت بالعبرات

يا الله . رفقا بهذه النفس التي أعيتها الوسائل وضاقت بها الحيل لتحقيق أمانيها ، فجادت بالعبرات الحرى ، رفقا ياربي بنفس تسيل دمعاً . . من الألم ، ثم ترجع هذه النفس فتطرد اليأس والقنوط عنها

ويحي ! أيعترض القنوط عزيمتي
والحزم من طبعي ومن عـاداتى
والدهر طوعى ، والزمان مصادقي
والصبر درعي ، والثبات قنـاتى

إن كان الصبر والثبات من صفات الشاعر وهي من صفاته حقا ، فإن الدهر ليس طوعا في يده ، والزمان ليس

صديقا له ، وإلا فما معنى البكاء السابق ؟؟ إلا إذا كان متنبئا لنفسه – في ذلك الوقت – بأن الدهر سيكون في يوم ما طوعه والزمان صديقه .

ولقد أكر على الخطوب فتنثني
جزعـا أمام مهنـدي وشباتي

ومن هذا البيت يظهر لنا أن الزمان ليس صديقا له ، لأن الصديق لا يرمي صديقه بالخطوب .

وتمر بي شتى الحوادث خشـعا
ويصيبها خـور حيال ثباتـي
لكنني فرد ولست بأمـــة
من لي بمن يصغى لصوت شكاتي ؟
من لي بشعب نابـغ مسـتيقظ
يسعى لهدم رذائل العادات ؟
من لي بشعب عـالم متـــنور
ثبت الجنان وصادق العزمات ؟
من لي بشعب باسل متحمــس
حتى نقـوم بأعظـم النهضات ؟

من لي بشعب لا يـكل ، ولا ني

يسعى إلى العليا بـكل ثبات ؟

نعم من له بكل ذلك ، حتى يصل إلى تحقيق مثله وأمانيه؟. إن شعبنا نابغ ولكن نبوغه مدفون في غفلته ونومه ، وشعبنا جاهل غير عالم وإن ثبوت الجنان وصـــدق العزيمة لا ينفعان إذا لم يمدهما علم ونور لمعرفة القيم والتضحية في سبيلها . والبسالة والتحمس لا تستثار إلا إذا عين الهدف. . والأهداف العالية لا ترى بالعين التي رانت عليها غشاوة الجهل ولذلك فهو يقول :

إن البــلاد بأهلهـــا فبجهلهـــم

تشقى ، وتلقى أعظم النـكبات

وإذا توحدت الجهود لخيرهـــا

سعدت ، ونالت أعظم الدرجات

إن بكاء الشاعر في مطلع القصيدة ما كان بكاء على نفسه ، وأمانيه لم تكن إلا أماني قلب يشعر وينفطر ألما لحالة موطنه وأمته وبلاده،والإحساس بالألم يشتد عنفاً كلما كانت ذهنية الشاعر ذهنية واعية تشعر بنفسها لا على أنها نفس تسعد كما تسعد نفوس الأطفال بالألاعيب والحلوى ، ولكنها تشعر بنفسها كجزء من الوطن الذي تنتسب إليه ومن المجتمع الذي يحتويها ، فسعادتها لا تكون سعادة تامة إلا إذا سعد

من حولها وماحولها . ومن هذا النوع نفس الشيخ محمد سرور . . وها هو يقول : من قصيدة أخرى في (ص ١٧) تحت عنوان وطن

أنا لا أزال شقي حبك هائمـا في كل وادي
زعم العــواذل أنني أسلو وأجنح للرقاد

وصحيح أن الشاعر وصم بهذا وقد قيل عنه : إنه سلا مثله وجنح إلى النوم عنها ، ولكن الشاعر يقول :

كذبوا ، وحقك لست أقدر أن أعيش بلا فؤادي

إنه يرى وطنه بمنزلة فؤاده ، وهو الذي يشيع فيه الحياة بنبضه ومن يرى وطنه كفؤاده لا ينام عنه أو يغفله من حسابه .

ولسوف أصبر للمصـائب والكوارث والبعاد
حتى أراك ممتعـا بالعـز مابين البـــلاد

إنالنزعة التي ينزع إليها الشيخ محمد في شعره ليست تدور حول الشاعر ، وتقف به عند هذا الحدّ، ولكنها نزعة وطنية فهو في بكائه ومناجاته للقمر وفي رثائه لصديقه . ذو نفس متلهفة الإحساس والإحساس بأي شيء ؟ بوطنه وبأمته ، وإننا لنراه الوحيد بين شعرائنا ذابت نفسه في وطنه أو ذاب وطنه في نفسه حتى صار كل منهما ممتزجا بالآخر

امتزاجا لا يمكن افتراقهما بحال من الأحوال .

إن هذه العاطفة الصادقة ، والانفعالات النفسية العنيفة التي تبدو في شعر الشيخ محمد ، تدلنا على أن للشيخ محمد شخصيتين متباينتين . فهو في أعماله الأخرى يبدو رجلا هادئا وديعا بعيدا عن كل انفعال ، وإن من يعرف الشيخ محمد في شعره ولا يعرفه في عمله فهو يجهل الشيخ محمد جهلا تاما ، ومن عرفه في عمله ولم يعرفه في شعره فقد جهله أيضا ، ولم يعرفه معرفة صحيحة ، وإن دلنا ذلك على شيء فإنما يدلنا على أن الشيخ محمد قد ملك أمر نفسه، وذلك لا يتأتى إلا لذي عقل راسخ وذهنية واعية يستطيعان أن يتغلبا على العواطف والانفعالات ويخفياهـــا إخفاء تاما في المواقف التي يحمد فيها الإخفاء ، ويدعاها تنطلق كما تشاء أو كما يشاء لها الانطلاق في المجالات التي يجمل فيها اختفاء العقل الواعي إلا بالقدر المطلوب . . وبذلك استطاع أن يظفر بالحسنيين كلتيهما دون أن تفلت منه واحدة ، وإن كان لي أن أقول شيئاً بعد الذي قلته ، فهو أننا كنا نرجو أن نظفر بأكثر من هذا المحصول الشعري من هذه الشاعرية الفذة . . ومن يدري فلعل في الخفاء شعراً كثيرا لم نطلع عليه ؟ ولعل المستقبل القريب يكشف لنا عنه ! ! ! .

محمد حسن عواد

الأستاذ محمد حسن عواد شاعر من الرعيل الأول السباقين لقول الشعر ، ولقد نفث بأفكاره في شعر بلادنا روح الشباب والقوة، بعد أن كان الشعر عندنا ملهاة يتلهى به الناس كما يتلهون بالألاعيب لترجية الفراغ ، وتقضية الوقت ، وإن كانت له في ذلك الوقت المكانة الأولى بين الشعراء ، فلأن الناس كانوا حديثي عهد بالجديد ودعاة التجديد . . ولا ننكر أنه دفع بأفكاره الجريئة زمرة من الشباب إلى سلوك الميدان الشعري الخليق بالنهضة الأدبية .

لقد تمرد الأستاذ العواد على الأساليب القديمة في الشعر والنثر ، وكان لتمرده هذا رجة في الأذهان ، مما جعل شهرته تستطير إلى حد كبير في بلادنا ، والروح الثائر المتمرد في العواد على كل قديم ما زال عامرا بثورته وتمرده ، ولكننا يجب أن نتساءل . هل كان ذلك التمرد ، وتلك الثورة مصبوبين في القوالب الشعرية الرفيعة ؟ وأستطيع أن أجيب على ذلك بما أراه وأعتقده ، ولا عليّ بعد إبداء الرأي أن ينقم على أحباؤه — وأنا منهم أو يسر مني أعداؤه — وأنا لست منهم . وقبل أن أبدي رأيي أحب

أن أكشف عن الدواعي التي تحملني على حبه . لقد كان الأستاذ العواد صديقي ، حينما كنت بمكة وما زلت روابط الصداقة بيننا – لم تنفصم عراها على البعد – والصداقة من أهم بواعث الحب والاحترام ، هذه مسألة ، ومسألة أخرى أنه – كان وما زال – يشجع شداة الأدب وعشاقه من الناشئين ، وهي خصلة محمودة تحبب فيه النفوس ، ولقد اختصني بتشجيعه حينما كنت محتاجا للتشجيع ، وحينما قبض عني غيره نفسه وقلمه ، وأول ما شجعني به هو تقدمته الجميلة لباكورة مؤلفاتي (رجالات الحجاز) وهذا سبب آخر من أسباب حبي له . قلت هذا قبل إبداء رأيي في أدبه ، لئلا يتهمني أحد بعدائه أو التنكر لجميله الذي أسداه إلي ، ومن دواعي حبي إعجابي بتمرده على الأساليب البالية ، في وقت كان التمرد عليها يعتبر جريرة وذنبا . .

إن أسلوب الأستاذ عواد في نثره أسلوب عربي جميل ، ولا أغالي إذا عددته من الأساليب الرفيعة ، وهو كذلك في كل ما يكتب ، وإن كنت أخالفه كثيرا في بعض أفكاره ، فإن ذلك لا يجعل أسلوبه في نظري مشوبا بما ينقصه أو ينزله عن المكانة الرفيعة .

أما في شعره : فإن أسلوبه يتأرجح ، فتارة تقرأ له أسلوبا شعريا يهز النفس ويستولى على المشاعر ، وأحسن ما يتمثل ذلك الأسلوب الطلي الرائع في قصيدته المعنونة بعنوان

(جندي الديمقراطية) والتي مطلعها :

من بليغ القول ملهمه   عزمة المنطيق لا فمه

فهذه القصيدة من القصائد الفريدة أسلوبا ، وفكرة ، خفيفة على النفس بجرسها العذب ، وموسيقاها اللطيفة ، وقافيتها الرقيقة الجميلة ، وقد نشرت جزءاً منها في مجلة الرسالة كنموذج لأدبنا الحجازي الرفيع بين النماذج التي بحثت نشرها لبعض شعرائنا ، وتقرأ له بعض القصائد فلا تجد فيها تلك النغمة الساحرة .

ومن هذه القصائد ما هو منشور في هذا الكتاب . . ولا أدري ، أهي من اختيار الساسي ؟ أم من اختيار الشاعر نفسه ؟ فان كانت من اختيار الشاعر فما أنصف نفسه ، ويعد اختياره هذا ظلما لشاعريته ، وإجحافا بها . . وهو الذي ترك بهذا الاختيار مجالا لقلم الناقد ، وإن كانت من اختيار الساسي ، فقد دلل لنا الساسي بهذا الاختيار على أن ذوقه الأدبي ، أو ذوقه الشعري ليس في المكان الذي يبيح له أن يختار شعرا ليعرضه على الناس .

إن قصيدة « أنا والليل » لا تلمس فيها أثر القلب الشاعر ، وليس فيها أي أثر من آثار الانفعالات النفسية التي اتخذت من الشعر متنفساً لها .

وكل الذي نلمسه ذهن مكتظ بكتب وأسماء للفلاسفة

والشعراء وأرباب النحل والمذاهب . وليت ذلك كان في صياغه حسنة ، أو أسلوب قوي بارع . . اقرأ معي :

يا ليـــل إني قائـــل فاسمع
هذا زرادشت ، وماني . معي
فهل تعي ، ماقلت ، أولا تعي ؟
قـد شوهـا حسنك لي يا ظـــلام
فهـل ترى ياليل أني لا أنـــام ؟
أو لا ترى ، لاريب أنت الغرير

ألا ترى – يا قارئي العزيز – أن هذه الاستفهامات كلها لا حاجة إليها ، لأن المعنى من الوضوح بحيث لا يحتاج إلى مثل كل هذه الاستفسارات ، وما هو المعنى أليس هو أن زرادشت وماني مع الأستاذ عواد ؟ وأنهما – يعني زرادشت وماني – قد شوها حسن الظـــلام . ألا تعرف أيها القاريء أن ماني وزرادشت لايريان في الظـــلام حسنا ، فليسا هما في حاجة لتشويهه ؟ ثم ألا ترى أن الشطر الأخير بمعناه وقافيته يشعرك بهوة هبط فيها نفس الشاعر فجاءت (كالمطب) ؟ . أترك ذلك لك يا قارئي العزيز . . فأصدر حكمك وأنت على بينة من أمرك ، ولا أفرض عليك حكمي . . فلعلنا نتفق ، أو نحن متفقان سلفا ، ولنمش في القصيدة الآن :

يا ليل ! هذا ما روى الأقدمون

ولا ندري ما الذي رواه الأقدمون ، لأن الأستاذ عواد لم يبين لنا روايتهم اعتماداً على فطنة القاريء الفطن ، أما القاريء البليد – مثلي – فليس هو في حساب الشاعر ، وإذا أردت أن أنفي عن نفسي البلادة فأقول ربما قصد العواد برواية الأقدمين قوله (قد شوها حسنك لي يا ظلام) ولكن لا . لا أظن إلا أني ما زلت بليداً . لأن العواد يقول بعد الشطرة الأولى من المقطع الثاني :

عن شرك الهائل ، والمحدثـون

فهل تعي يا ليـل ! ما ينطقون ؟

لا . لا تعي أنت ، ولم تدر مـــا

يخطـــر ، ما في أذهانهـــم ملهما

أنت لعمري كائـن لا يحـــير !

لم يبين العواد ما رواه الأقدمون والمحدثون ، لأن الليل كائن لا يحير وهو يوبخ الليل . . ونحمد الله على أن توبيخه انصب على الليل ، والليل لا يبالي توبيخ الشعراء ، لأنه كائن لا يحير ، وبقى على القراء أن يسألوا قائلين : نرجو من الأستاذ أن يتكرم علينا بإيضاح شاف على السوءال الكافي . ماذا روى الأقدمون والمحدثون ؟؟ .

ذ قيءعني فيــك . وذا مكتبي

قاعة الأستاذ العواد ومكتبه ـــ في الليل . لقد اتخذ الشاعر من الليل ظرف مكان . عظيم ! ثم . ثم .

وخــير ما ســطر ذو مذهــب

هيه ثم . . ثم

من كاتــب أو شــاعر مطــرب

هيه وحده . . وحده ثم ثم

أو فيلسوف محــدث ، أو قديــم

من ملتو في الفــكر ، أو مستقيم

أو ناصــح أمتــه ، أو نذيــر

إنه عرض كامل لما في مكتبة الأستاذ عواد التي ـــ مكانها في الليل مضافا إليها القاعة ـــ ما علينا من هذا ، فلقد علمنا يا أستاذ عواد ما في مكتبتك من كتب بخ بخ . ما شاء الله . ما شاء الله إنها مكتبة عامرة بأمهات كتب الأدب والفلسفة والشعراء ، والنصحاء ، ومستقيمى الأفكار والمتلوين في تفكيرهم ، فإذا رآك الأستاذ عواد تعجب ، وتبخبخ لمكتبته القيمة ، وما احتشد فيها من فلاسفة وكتاب و . . الخ قال لك :

لكنهـــم عـني في معـــــزل

فـأوح لي يا الليـل ! أو غن لي

أو نحّ عن قـــلبي نار السـعير

وكيف يستقيم للأستاذ عواد هذا المنطق ؟ إنه يقول : إن الليل لا يعي ما رواه الأقدمون ، لأنه كائن لا يحير فمن أين لهذا الكائن الذي لا يحير أن يوحي له ، أو ينحى عن قلبه نار السعير ؟

إنه يطلب من الليل أن يغني ، وهذا هو الشطط في المطالب ، أو قل : هي اللخبطة من الطالب .

إن هذا يا أستاذ ليس من الشعر في شيء ، ولا يمت إليه في شيء ، أستغفر الله ! إنه يمت إليه بالوزن والقافية ، ثم تأتيك أيها القاريء . . في بقية القصيدة ألفاظ الغموض ، والفيوض ، والمركز ، والمنخفض ، والمستوفر ، ومستبين ، واطلخمّ . . وتطالعك أبيات يستعيذ منها الشعر بالله العلي العظيم ، كقوله في مخاطبة الليل :

وأنا الذي صورت حولك هذه الصور الكبار . .

ولم يذكر لنا منها ولاصورة ، كبيرة . . ولاصغيرة .

وخلقت أفـكار التشاؤم فيك تلتذع الفــؤاد

ولا نريد أن نقول للأستاذ عواد : إن الليل – الكائن الذي لا يحير – ليس له فؤاد . . ولم يكن له ذهنْ يحمل أفكارا ، سواء كانت تلك الأفكار تشاؤم أم تفاؤل ؟ لأنه أدرى بهذا منا ثم يقول :

وتطيل ليلك بالسهاد ، فلا (قرار) ولا (رقاد)

وهنا يجب أن نقول للأستاذ عواد (حيلك) لقد توهمت يا أستاذ فالرقاد والسهاد أو (القرار) كما يقول . من شؤوننا نحن ، أما الليل ، فلا يدري عنها شيئا، وسؤال بسيط أوجهه للأستاذ ، كيف يكون ليل الليل ؟ .

والليـل في عينيك أهول ما تصور شـــاعر
والنجـم في حلك الدجنـة بالأشعة عاثــر . . .

إن هذا ، وهذاك ، وهاتيك ، وتلكم من المعاني غير مستقيم . . والأبيات ، والشطرات ، والمختارات من شعرك . . في هذا الكتاب يذهب بجمال الحياة لا بجمال الشعر فقط . إنك تخاطب الليل ، ثم تقول له : « والليل في عينيك . . » وتقول له : « وتطيل ليلك » . . أنا لا أستطيع أن أتصور ليل الليل ، ولا أستطيع أن أتصور ليـلا يتخذ ظرف مكان توضع فيه القاعة والمكتبة . . ولا أستطيع أن أتصور . . أن هذا الليل الذي هو ظرف مكان له فؤاد وله عينان . . ثم إذا تصورت كل هذا – في ليل العواد !

فلا أستطيع أن أتصور بعد ذلك أنه كائن لا يحير .

وقصيدته (في مطلع العام الجديد) من هذا النمط أيضا وهو نمط لا يرضي الشعر في أسلوبه الرفيع ولا في أسلوبه المتين ، وإن كان هذا الشعر يصيب الناس بالدهشة قبل عشرين سنة ، فهو ما زال يصيبهم بالدهشة حتى الآن . مع الفارق بين الدهشتين . . .

* * *

إننا نلمح شيئا من الانسياب والرقرقة في نفس العواد إذا قرأنا قصيدته (ذكرى) على أنها غير سليمة من المآخذ في بعض أبياتها كقوله :

وذكاء خلعت فضى ثوبيها وماست بالمذهب

فلفظة المذهب في آخر البيت هي التي أتت بكلمة (فضى) في وسط البيت للمقابلة . وقوله :

حيث لا أملك(من) تملك(من)نفسي ونفسك مهرب

ولعل (من) الأولى (ما) فهو يريد أن يقول لا يملك ما يملكه حبيبه من نفسه ، والمعنى أنه لو ملك من نفسه ما ملكه حبيبه منها بجانب امتلاك الحبيب لأمر نفسه لاستطاع أن يهرب من حبه ، ولكنه لا يملك ذلك ، فما استقام له التركيب إلا كما قال ، وذلك دليل عدم عناية الأستاذ عواد

بالأسلوب الشعري الذي تتفتح له النفوس .

وعلى كل فإننا لا نريد أن نوجه الأستاذ الكبير للشعر الصحيح ولكنا ندعه يوجه نفسه بنفسه . . فهو يقول :

لا ينـــير العيش إلا شـــاعر حي وشـــعر ساطع

فهو يرى فيما نقدناه من شعره شعرا ساطعا ؟ . . نحن يا أستاذ عواد معك في نظرتنا للشعر . . فإن لم يكن ساطعا – كما تقول – رددناه ، ولا نتقبل منه إلا ما كان ساطعا وهاجا لينير لنا طرائق العيش . . وأخيرا عفا الله عن الساسي فقد قدم لك شعرا لا سطوع فيه . . فمعذرة إذا لم نصفق لك ، فإن الرائد لا يخدع أهله . .

أحمد الغزاوي

لقد اكتظت معدة الأستاذ الكبير أحمد إبراهيم الغزاوي من موائد الإطراء التي تقدم له كلما نفحتنا شاعريته (بغزاوية عصماء) ولا بد أنه غثيان النفس من دسامة الثناء المتواصل على شاعريته الثرة الغزيرة التي لا ينضب لها معين .

فلنقدم له شيئا من المشهيات والمهضمات قبل أن نقدم له أي شيء آخر ، فإنه خليق بها الآن ، ويعسر علينا أن نمد له أيدينا بهذا النوع من المشهيات النقدية وهو في المكان المرموق والصيت المجلجل . ولكن لا بأس فسوف لا نعدم حيلة ، فسنرفعها إليه ونستعين في رفعها بأن نضعها على خوان مرتفع القوائم لتكون في متناوله .

لك يا سيدي الأستاذ قصيدة بعنوان (ولي وطن أفديه بروحي) ولا ننكر عليك حبك لوطنك وافتداءه بروحك فهذا شأن أمثالك من المجاهدين في رقعة الوطن ، ولقد جاهدت جهادا طويلا في رفع صرح بلادنا وأقمت له مجداً غزاوياً سوف لا يجحده التاريخ ، ولكن لا نحب أن يؤاخذك التاريخ في هذه القصيدة ، فإن هذا الأسلوب الذي نظمت به

قصيدتك هذه تنكره عليك شاعريتك قبل أن ينكرها عليك قلم الناقد. أسلوب لا يشجع القاريء على قراءتها فضلا عن استلهام معانيها السامية لقد قلت لافض فوك :

صليـل البيض تقـــرع بالذكور
وصدع الجو في سمت النســـور
وخوض الموج في لج البحور
أحب إلي من قيـــل وقـــال

أما الشطر الأول على وضوح معناه ــ وعلى الأقل عندي ــ فيه إشارة غير لطيفة تلك الإشارة هي (مقارعة البيض بالذكور) ، ولا يليق منك كشاعر ذواقة أن يصدر منكم ذلك ومنكم بالذات ، لأنكم قدوة الناشئة من شداة الشعر ، والشعر ذوق ، والشطر الثاني وإن كان أيضا مفهومه عندي في غاية الوضوح إلا أن المدرسة الشعرية الحديثة تتنكر لهذه الوعورة اللفظية التي تتعثر فيها المعاني تعثر المدني المرفه في وعور الصحراء ، وتأتي الطامة بعد هذه المشقة في صدع الجو وخوض الموج . . « أحب إلى من قيل وقال » فكأنني أفطرت في رمضان . هوة كالهاوية أعاذنا الله منها . ثم تقـــول :

ولي أجـــل تحامتـــه العـــوادي
تغلغـــل فيه ديـــني واعتقـــادي

وغايته الشهادة في الجهـــاد

إذ الرعديد هاب من النضـــال

فما هي تلك العوادي التي تحامت أجلك يا سيدي !!
إن العوادي حمانا الله وإياك منها لا تتحامى أحدا عزيزا كان أو حقيراً فالناس عندها سواء ، وإن حمى الله آجالنا من العوادي والعاديات فليس معنى ذلك أن العوادي تحامتنا ولكن الله هو الذي حمانا منها وتغلغل دينك واعتقادك في أجلك غير صحيح ، إن الدين والاعتقاد يتغلغلان في القلوب لا في الآجال ، وهل سمعت أو قرأت أحداً يقول ذلك ؟ فقلدته يا سيدي أو هو من مخترعاتك ؟ إن كنت مخترعا فأخترع شيئاً معقولا ، وإن كنت مقلدا فتبين مواضع قلمك قبل أن تقلد يا أستاذ ، وغاية أجلك أم غايتك أنت الشهادة في الجهاد ؟؟ .

أما النشيد القومي ، فلم أر فيه إلا رصفا في الكلمات وإتقانا في الميزان . كل الذي ينقصه فقدان الموسيقى ، نريد موسيقى النفس الشاعرة في أناشيدنا يا أستاذ ، الموسيقى التي تنبعث من النفس فتهز السامعين .

ولننتقل إلى مناقشتك في (خواطر عيد) .

فاضت بك الروح ، أم أفضى بك البدن

سيـــيّان ما عف منك السر والعـــلن

عرفنا أن الأستاذ أو الشخص المجرد من خيال الأستاذ حصل له فيضان روحي ـ خير إن شاء الله ـ أما (أفضى بك البدن) فإفضاء البدن لا يكون إلا من أحد السبيلين !! ونحن نستغرب لقول الأستاذ وهو يقول (سيان) فالفيضان الروحي والإفضاء البدني لا صلة لهما ببعض، فالإفضاء البدني يعكر مزاج الشاعر ويعكنن عليه . . وفي حالة هذا الإفضاء لا يستجيب الشعر ولا يتأتى لأحد قوله . . وعلى كل فإن المعنى غير مفهوم بالمرة ، مع أني حريص على تفهم ما يقوله الأستاذ الغزاوي .

قلب ترف به الذكرى محلقـــة

فوق (الأناسى) بالأملاك يقترن

لا اعتراض لي إلا على هذين القوسين اللتين حصرتا فيهما كلمة الأناسي فما معنى ذلك ؟ لنترك علامة الإستفسار هنا قائمة حيث هي ، ولنستمر في قراءة القصيدة :

لم يلهـه زخرف الدنيـا وزينتهـا

ولا المسرات في أعقابها الحزن

لجت به الأزمات السود واندفعت

كاليم تفرق من أمواجه السفن

ما أن تفشت به الأحداث راجفة

إلا وكـان لهـا من بطشها جـــنن

كأنه وربى الفردوس مسبحه
أخو جناحين يدنو نحوه الفن
ودونه الأرض تشوي في مباذلها
وطي أثوابها الآثام والدرن

لقد جاء هذا البيت الأخير كالسد في مجرى النهر المتسلسل، فشاب سلساله بالكدورة بعد الصفاء، إن الشيء لا يتأتى إلا بالنار وإذا رأى الشاعر مباذل الأرض نارا تشوي بها الأرض فهل في النار ما يجعلها أو بعضها تتكشف عن شيء كما يقول في البيت الذي يليه :

إذا تكشف منها بعضها ابتدرت
إلى الحجاب وأودى بها الشجن

وكيف هذا الذي يتكشف عن النار يبتدر إلى الحجاب ؟ صدقني أني لم أفهم هذا البيت فلنترك المعنى في قلب الشاعر ونترك بجوارها علامة الاستفهام قائمة بجوار أختها السابقة .

أفضت طويلا وفي الأجيال باقية
من الحياء وفي أخلاقهم سنن

وبطبيعة الحال يترتب على عدم فهم البيت الذي سبق هذا البيت عدم فهم هذا البيت أيضاً وهي نتيجة منطقية

لا بد منها ، فمن هي التي أفضت طويلا ؟ والسنن والحياء من أخلاق من ؟؟ .

حتى إذا هي أنضوها براقعهـــا

دارت عليهم بكأس صفوها المحن

لقد أذكرتني البراقع بأم البراقع وحكاية أم البراقع كانت تحكى لتخويف الأطفال . فمعذرة إلى الأستاذ الغزاوي إذا هربت من هذا البيت خوفا ورعبا ، تاركا فهم معانيه ، وإن كانت من العبقريات الحسان .

بني العروبة والإســلام قاطبــة

إيان ما نزحوا أو أين ما قطنـوا

يهنيكم العيد عيد الفطر أحسبه

مراكب المجد فيها حظنا الحسن

إن حسبان العيد بالمراكب ، تجديد وابتكار ويمعن الأستاذ في ابتكاراته العجيبة الغريبة واختراعاته المدهشة فيجعل للمراكب أطلالا ودمناً وذرى،فيقول حفظه الله وأبقاه نبعاً فياضاً للاختراعات والابتدعات المدهشات العجيبات الغريبات المضحكات المميتات .

كأنمـا أنا منها في ذرى شـــعف

وقدتها مست الأطلال والدمــن

أرأيتم – يا خلق الله – أحداً يشبه العيــد بالمراكب . ويجعل لهذه المراكب ذرى كذرى ذي شعف تتهامس فيها الأطلال والدمن أعوذ بالله الحي القيوم ! ! إن هذيان المحموم لا يصل إلى مثل هذا ، ثم يقال لنا استمعوا خواطر العيد . وأية خواطر هذه التي لا نجد فيها إلا أم البراقع وإلا المراكب ذات الأطلال والشعاف أرجوك أيها القاريء أن تقرأ باقي هذه الخواطر ، ثم أرجوك وألحف عليك بالرجاء أن تفهمني معنى قوله :

كأنمـا هم وقد ضاقت سرائرهم

من السجود جباه زانها الشـغن

وخذ بالك من ضاقت سرائرهم من السجود ، ثم خذ بالك من المصلين بالجباه التي زانها الشغن ولا أحوجك لمراجعة المنجد لتعرف ما معنى الشغن ، فقد كفيتك مؤونة ذلك فالشغن كما يقول المنجد « هو ما تناثر من الورق أو العشب بعد يبسه » . ولا أدري كيف تكون الصورة التي شبه بها المصلين الذين ضاقت صدورهم من السجود ؟ ومع كل فانها لن تكون صورة جميــلة ، ولعله أراد أن يشوه صورة المصلين بعد أن وصمهم بالضيق والتبرم بالسجود، أو لعله لم يرد ذلك وإنما أراد مدح المصلين ، أو أنه لم يرد مدحا ولا ذما ، وإنما الذي أراده النظم كيفما اتفق وكيفما كان وهذا ما نرجحه بدليل ما يأتي :

عالت بهم مثيلات ما لهم قبل
بمثلها وخطوب حصدها الفطن
من كل فاتحة عمياء مطبقة
كأنما زجرها بالوعد محتجن
لا يملكون لهم نفعا ولا ضررا
إلا بما شئيت والدنيا هي الفتن

ومن استطاع أن يفهمنها أعتبره ممن يحلون الطلاسم، وهو اعتبار له قيمته عند علماء الآثار القديمة . . ومن يستهويهم البحث عن آثار العصر الحجري .

يا أستاذ غزاوي أرجوك أن تترك الأعياد وما توحيه من خواطر في النفوس الشاعرة فإننا لا نود لخواطرك أن تبرز في موكب الشعر ، حتى ولو أنضت عنها براقعها .

إن موكب الشعر الحجازي في العصر الحديث لا يفخر بخواطرك إذا كانت على هذا النمط .

إن من آثارك التي لا بأس بها قصيدة (على بساط الريح) فهي غرة ما نشر لك في كتاب شعراء العصر الحديث، ولو كان لي حق التصرف ، أو حرية الاختيار لما اخترت لك في في هذه المجموعة إلا هذه الأبيات الشعرية ، وما شاكلها من أمثالها ، نعم إنها من الأبيات التي استقامت أسلوبا ومعنى ،

فأسلوبها لا بأس به ومعانيها واضحة . . يقرأها القاريء ولا يجد ما يصدمه إلا كلمة (الغمير) وكلمة (الديموم) ويقلل ذلك من أثرها . إنك تقول مخاطبا سمو الأمير فيصل بمناسبة قدومه من جدة إلى الطائف جواً على أول طائرة سعودية بقيادة أول طائر سعودي . .

أقبلت والشعب توريـــه لواعجه
إلى لقاك ، وطوراً كان يوريها
يرنو إلى الأفق والأبصار شاخصة
والشمس تختال في أبراد هاتيها
حتى أطلت بك الهيفاء مائسـة
على (الغمير) تهادى في تثنيهـــا
تنقض كالنسر في الديموم هادئة
تداعب الطير باسم الله مجريهـــا
كأنما وهي تفرى الجو مطبقـة
إحدى سهامك لو لم تطلع فيها ...
مار فرفت بك يا مولاي عن كثب
طيارة من حديد ظلت تزجيها
لكنما هي ـقول الحق ـ أفئـدة
البعد ينشرها والقرب يطويهـــا

حفت بموكبك العالي تشايعـــه

وتسبق الريح حتى لا تباريهـــا

وآيـة أنهـا لم تلف خافقــــــة

بين الصدور إلى أن عاد مشجيها

ولا أغمطك حقك فيما نشر لك في (كتاب شعراء الحجاز في العصر الحديث) فقد وجدت بعض أبيات جيدة منثرة في قصيدة (تحية العرض العسكري) مثل قولك فيها :

إنمـا المجد أيها الشعب حقـــا

أن يربى على الكفـاح الوليـد

وقـــولك :

إنما الجيش للبـــلاد ســـياج

وبه المجـد كل مجد يعـود

ومحال حيـاة شعب إذا مـــا

أذهلتـــه عن البنود بـــــرود

إن في مثل هذه الأبيات نرى ومضات الشعر الصحيح في شاعرية الغزاوي ، وهذه الومضات المتألقة ، هي التي تجعلنا نصفق تصفيقا حادا إعجابا لشاعريته . . ولكن هذه الومضات . لا تطالعنا إلا بين الفينة والفينة وبعد فترات

استجمام طويلة . . ولعلنا الآن عرفنا موضع الغزاوي وأجلسناه فيه ، فليتبوأ مكانه الجدير به على ضوء ما قدم بيده من شعره في هذه المجموعة مختاراً غير مكره،ولعل مكانه يتعدى هذا المكان عندما تتاح دراسة شعره الكثير الوافر في فرصة أخرى . . فلنؤخر ذلك لميقاته . .

الآشي

لقد ملأ الأستاذ عبد الوهاب آشي صوت الحجاز حينما كان مهيمنا عليها شعراً ونثرا من نتاجه . وله في (أدب الحجاز) صولات وجولات وكان التوفيق حليفه في أغلبها ، وهذا الأستاذ نعده من الأوائل السباقين إلى تعبيد الطريق وتمهيده حتى تركوه صالحاً لسلوك غيرهم فيه .

لكنه عاد ففتر نشاطه برهة من الزمان ولعل لفتوره سبباً من الأسباب القاهرة لأننا لا نراه الآن يعاود نشاطه الأدبي مرة أخرى وصرنا نرى له في البلاد السعودية والمنهل والحج والمدينة — بين الفينة والفينة — نتاجاً من الشعر والنثر وها هو يساهم في (كتاب شعراء الحجاز في العصر الحديث) بشيء من نتاجه .

يمتاز الأستاذ الآشي بالجزالة وقوة الأداء في نثره ، وأنا حينما أصدر هذا الحكم على نثره فإنما أصدر لاني قرأت له نثرا كثيراً فما رأيته إلا قويا جزلا .

ولكنه في شعره يختلف اختلافا بينا ولعل حرصه على قيود الشعر هي التي تعوقه عن الوصول إلى المستوى الذي

يريده لنفسه ويريده له أصدقاؤه ومحبوه .

إن الأستاذ (عبد الوهاب) يحرص على التمسك بالقواعد والأصول اللغوية والعروضية فمتى ما صحت عنده الكلمة أو القاعدة فلا سبيل إلى زحزحته عن الصحيح الرشيق الأنيق ، ولذلك نجد شعره مرسوما بسمة لا تقول إنها سمة الجمود ولكنها سمة خالية من التموجات الشعرية التي لا تتجلى إلا في الكلمات الرشيقة الأنيقة إذا جاءت في موضعها. وإليك مثلا قصيدته (الحجاز مستقر الوحي والطبيعة الخرساء) فأول ما يطالعنا العنوان ، فالحجاز ليس هو مستقر الوحي ولكنه مهبط الوحي . . والوحي إذا كان جبريل . . فجبريل مستقره السماء لا الحجاز . وإذا كان الوحي القرآن ، فالقرآن مستقر في قلوب المؤمنين به في كل العالم الإسلامي . . ولنذهب إلى القصيدة :

دعاني أساجل أحرارها وقوما لنقفو آثارهـــا

فدعاني هنا صحيحة بمعنى اتركاني ولكنها ليست مشرقة في مكانها وخلياني – مثلا – أخف على السمع من دعاني . وقد تأتي خفيفة على السمع إذا كان معناها من الدعوة يقول : دعاني حبيبي لتقبيله أو ما شاكل ذلك . . ثم كيف يستقيم تركه والقيام معه في آن واحد ، فهو في الوقت الذي يطلب أن يتركاه يطلب إليهما أن يقوما معه . . . ولا أريد أن أتتبع القصيدة بيتا بيتا ولكن أريد أن أقول للأستاذ الآشي

وهو كما عرفته يحب الدقة في كل شيء ، فلماذا يترك الدقة في الشعر : ألم تقرر يا أستاذ أن الطبيعة خرساء ، إذاً فما معنى مساجلة الوحوش للأطيار في قولك :

تنائف تمــوج فيهـا الوحوشـ

تـساجـل في الـــدوح أطيارهـــا

هذا تقرير بأن الطبيعة في بلادنا ليست خرساء ، ما دامت فيها طيور ووحوش تتساجل، وإن كانت هذه المساجلة لم تعقد بالمرة بين هذين النوعين المتنافرين في تاريخ بلادنا الطويل . ثم تقول :

إذا الليـــل أرخـــى ستائــره

أرتـك الكـــواكب أنوارهــــا

وهذه ميزه لا تختص بها الكواكب في بلادنا، بل في كل إقليم إذا جاء الليل أنارت الكواكب . . إنه كقولك إذا عطش الإنسان شرب، وإذا جاع أكل، وهذا ما أردته من انعدام التموجات الشعرية في شعر الأستاذ الآشي . ثم تقول :

بـــلاد سمت بالأولى عرفــوا

طريـق المعالي ومضمارهـــا

كبـــار النفوس قصيرو المـــرا

م شهدوا الحيـــاة وأسرارهــــا

إن الأولى الذين عرفوا طريق المعالي ومضمارها، وهم كما تصفهم كبار النفوس، كيف يكونون قصيروا المرام؟ إن مرامهم كان بعيدا وبعيدا جداً فكيف تصفه بالقصر، أو لعل في البيت غلطة مطبعية حرفت الكلمة الأصلية التي توافق كبار النفوس، لأننا ننزه الأستاذ الآشي من مثل هذا التباين بين الكبر في النفس والقصر في المرام، وفي القصيدة هذا البيت :

بـــلاد أضـــاءت سوالفهـــا
ورثنـــا أساهـــا وتذكارهـــا

فالسوالف – كما يتبادر إلى ذهن القاريء: الشعر نازلا إلى الصدغين، ولكن لا يريد الأستاذ طبعا هذا المعنى، وإنما يريد بالسوالف ما سلف لبلادنا من أعمال المحبة والبطولة فعبر عن هذه الأعمال بالسوالف على رأي الحاريِّين (السوالف ترد المخالف) وهو تعبير جميل في المجتمعات الحاروية ولكنه في الشعر لا يرتاح إليه الذوق الشعري .

وإذا كان لبلادنا ماض مضيء فإننا ورثنا تذكاره، أما الأسى فهو وليد الذكرى وليس هو من موروثاتنا القديمة . .

أما قصيدته – يا رعاة الحسن – فلم تهش لها نفسي . . ذلك لأن طبعي ينفر من كل شعر لا ألمس فيه حرارة العاطفة، ولا أجد فيه إلا ألفاظا وكلمات مرصوصة ليكمل

وزن البيت فإي جمال في قصيدة تطالعك بمثل هذه الاعجاز الخاويـــة .

نـــار وجد واشتياق وحنين

وأرتني رقة تغري ولين . .

فالوجد والاشتياق والحنين تغنى عن كل أولئك كلمة واحدة، وما هي الرقة؟ أليست هي اللين. ؟ وكذلك فيما يلي الذل والهون والميثاق المتين والحب الضنين، ويلاحظ أن الحب الضنين هو وصف المعشوقة .

ومع كل هذا فإن الأستاذ الآشي إذا انفعلت نفسه انفعالا قوياً ربما يتأتى له قول الشعر الصحيح ، ولكن ذلك لا يسلكه الشعراء الممتازين ، ويكفيه أن يكون كاتبا ممنازاً ، فالممتازون في الشعر والنثر قليلون في كل زمان وكل مكان ، وكذلك الممتازون في الكتابة قلة نادرة هي على ندرتها محترمة، أفلا يكفيه أن يكون من الأقلية المحترمة بين الكتاب الناثرين ؟؟

العامودي أيضاً

بعد أن كتبت ما كتبته عن الأستاذ محمد سعيد العامودي ارتأيت مع الأستاذ عبد الله عبد الجبار أن نستثير نفسية العامودي لعله يقول شعراً ، أو يبعث لنا شعراً من آثاره الشعرية الجديدة ، فاستثرناها بطريقة خاصة وكانت طريقتنا منتجة، وليعفنا القاريء من شرح تلك الطريقة التي سلكناها مع لأستاذ العامودي فإن ذلك سر المهنة - كما يقال - وقد كانت النتيجة. . أن بعث لي الأستاذ العامودي ببعض رباعياته القوية النابضة بالحياة . . فكانت حجة لي عليه ، لأنني ازددت إيماناً بأن الشاعر لا تستطيع نفسه إلا أن تنبجس بالشعر آمن به النـــاس أم كفروا ، وآمن هو نفسه بالشعر أم كفر به ، ولا يستطيع إيمان الشاعر بالشعر ولا كفره به أن يقفه عن قول الشعر أو يحكم على نفسه بعدم قوله . . لأن ذلك ليس في طوقه ، كما أنه ليس في طوق أي حي ألا يتنسم الهواء .

وما الشعر في النفس الشاعرة ؟؟ أليس هو ظاهرة طبيعية كأي ظاهرة طبيعية أخرى؟ وهل في مقدور الإنسان عدم

الاستجابة لمطالب الطبيعة فيه.؟ والشاعر حينما يتفجر الشعر في نفسه لا يستطيع رده كالشلال حينما ينحدر لا نستطيع لمنعه رداً ، وكالمزنة إذا امتلأت بالغيث لا تستطيع إلا أن ترسل قطرها وابلاً أو طلاً ، وما على السحابة أن كانت سحابة صيف عما قليل تقشع أو كانت سحابة شتاء لا يكف مدرارها ما دامت لا تبخل بمجهودها .

لقد أكثرت في ضرب الأمثال وسرد التشابيه ، وما كنت لأكثر من ذلك لولا أني رأيت أن ممن يدخلون أنفسهم في زمرة الشعراء يحملونها على قول الشعر دون أن يدعوهم أبلون إلى مملكته ، ومنهم من يهتف أبلون بهم داعياً لهم بدخول مملكته فيقعدهم الخجل ، أو التكاسل، أو التواضع الذي تستحيل فضيلته إلى رذيلة . إن الشعراء إذا لم يستجيبوا لدعوة أبولو فإنهم يدعون للمزيفين أماكنهم ، وجلوس المزيفين في تلك الأماكن يشوه جمال تلك المملكة الحالمة السابحة في مسابح النور . . التائهة في مجالي الجمال . . إننا لا نريد قبحاً بعد اليوم يشوه جمال مملكة أبولو الجميلة في بلادنا النقية الناهضة . إننا في عصر يتنكر للانزواء والانطواء، كما يتنكر للضعف والقبح ، ذلك لأن العهد الذي نحن فيه لا يضيق بالمواهب والعبقريات . بل يرحب بها ويفسح لها المجال .

ولقد أبانت بلادنا عن مكنوناتها المدخرة من الأزل فإذا

مكنوناتها الطبيعية كنوز وثراء . فلماذا لا تبين النفوس الإنسانية عما يكمن فيها من إشعاع وضياء ؟ وما إشعاع النفوس وضياؤها ؟ أليس هو التعبير عما يجب أن يكون ! !

لم يمتنـــا إلا الجمود فهيـــــا
حاربـــوه بالهـــدم يا شـــعراءُ
أنتمو أنتمو ــوليس سواكـــم ــ
جيشنا حين تشعل الهيـــــجاء
حاربوه بقســوة فهــو خصم
لا يحـــابي . . بل حية رقطـــاء
حاربـــوه بحكمة ودهـــاء . .
إنمـــا آية الحروب الدهـــــاء

* * *

يا من يظـن القوافي كل غايتهـــا
مدح وهجو لأفراد وآحاد (١)
الشعر قيثارة تحـــلو برقتهـــــا
لأي ترنيمة أو أي إنشــــــاد

---

(١) ونهمس همسة صغيرة في أذن العامودي فنقول له : إن الأفراد والآحاد بمعنى واحد ولا نحب أن نؤاخذك على هذا ، ولكن يجب أن تنتبه مرة أخرى يا أستاذ .

لكنه ليس قيداً للعقـــول وليـــ
س بالخطابات تلقي فوق أعواد
الشعر إحساس منشيه ، وصورته
والشعر فيه حياة الصادح الشادي

* * *

كم ذا يحدثنا الزمان وســـيره
وتجيء ـ يتلو بعضها ـ أبناؤه
أن الذي زعـم الحياة ســـعادة
كذبت مزاعمـه وخاب رجاؤه
ليس الحيـاة سوى عنـــاء دائـــم
والمـرء فيها مستمر داؤه ..
والصفو للإنسان ظـــل زائـــــل
ومن المحـــال دوامـه وبقـــاؤه

* * *

ليس العقيدة في اللسان وإنمـــــا
تثوى العقيدة في الجنان وتسـكن

يا من يحاول في غــرور مطبــق

قهر النفوس لما يقول ويلعــن

ويريد إلغاء العقول من الــورى

كيما بما هــو يرتئيه يؤمنــوا

قدبؤت بالفشل المريع ،وعدت بال

خزي الشنيع لدىالنهى..هل تفطن؟

* * *

هذه الرباعيات يا قارئي العزيز من الرباعيات التي بعث إلي بها الأستاذ العامودي بعد الحيلة والجهد ، وهي كما ترى رباعيات من الشعر الرفيع الذي تستوقفك نغمته موقف المكبر لقائلها ، المعجب بشاعريته،وبعد الآن أوجه الخطاب للأستاذ العامودي . . وأقول له : لعل فيما كتبنا عنك ما يحملك – ولو مكرها – على أن لا تتخلف عن مملكة أبو لو.. فإن مثل هذه الرباعيات – وإن قيلت قبل أكثر من عشر سنوات – لا تلقى في سلة المهملات . . وإنما يجب أن تكون في الرباعيات المدويات . . والأبيات المشهورات والخلجات المعلنات،فإنها خير من المعلقات المشهورات . وعليك السلام والرحمة والبركات وإننا منتظرون من شعرك ما هو آت .

الاستاذان : عبدالله عبد الجبار ، والقرشي

لما أرهفت سنان القلم لنقد الآثار الأدبية الحديثة .. وتصحيح الموازين الخاطئة ، ليعرف كل أديب موضعه .. بعد أن أجحفت الموازين المغرضة ببعض الأدباء فلم توفهم حقهم .. وأعطت البعض الآخر فوق حقوقهم .. لم يغب عن علمي ما سيقابلني من عنت وإعنات كما أنه لم يغب عن علمي ما سيقابلني – من جهة أخرى – من مشايعة وتأزير .. وقد حدث ما توقعته .. ولكن لم يخرجني عما ارتسمته لنفسي هذا ولا ذاك .. فسلكت طريقي .. مؤمناً بأن الحق أحق أن يتبع .. وها هو الجزء الثاني من المرصاد .. في أيدي القراء ... وللقراء رأيهم .. فيما يقرأون .. على أن الحجة هي القول الفصل .. والحجة الدامغة لا تتأتى إلا بالفهم الجيد ، والذوق الأدبي السليم .. وإني أرحب بكل رد ولا أضيق بأي مؤاخذة ما دام الرائد هو الأرتفاع بأدب بلادنا عن كل هذر .. والبعد به عن كل لغو وتفاهة .

... أما من أكلمه في المشرق ويكلمني في المغرب ، وأحدثه عن شيء ويحدثني عن شيء آخر ، فإن ذلك لا أعنى

بالرد عليه ، حتى يستقيم له المنطق ، ويخرج بنفسه عن الخط الأعوج .

ولقد نظرت ردوداً على مرصادي الأول بعضها في الصحف . . وبعضها في مكاتبات خاصة . . . أما ما كان منها مستحقاً للرد ، فقد رددت على بعضها – في كتابة خاصة – كما شاء أصحابها ، ومن الردود التي تستحق المناقشة رد كتبه الأستاذ القرشي في مجلة المنهل الغراء . وسوف يكون ردي عليه في المرصاد الثالث إن شاء الله تعالى . . . أما بعض ما وصلني من الردود نأت بأصحابها عن طريق التسامي . . والبعد عما هو بين في نقدي فلم يكن له عندي غير الإهمال كأي شيء تافه لا يقوم له وزن في الأعمال الخالدة . . وبعض الردود نوهت عنها في مقدمة هذا المرصاد وسوف لا تخفى على القاريء . . لا لأنها تستحق الرد . . بل لأنها نشرت علانية . . ووجدت مع الأسف الشديد – من يحتفل بها . . وأيضا لحقيقة ثانية ، هذه الحقيقة هي أن يعلم كاتبوها وقارئوها ومن خلفهم أن هذا القلم لا يسكت – إن سكت – عجزاً ، ولكنه يسكت أحيانا – أو هو يسكت في أغلب الأحيان – ترفعاً وتعالياً . . وجنفاً عما لا يفيد واتجاها إلى ما يفيد . . فليس هو متهافتا على نوال شهرة ولا راغباً فيما يرغبون منها . . ولا يحركه للكتابة إلا هدف من الأهداف السامية ، تلك الأهداف التي

هي من أجلها كرم الله القلم وكرم حامليه . .

• • •

بعد انتهائي من هذا الجزء من المرصاد ، اطلع عليه الأستاذ عبد الله عبد الجبار ، فراق له أن يعلق عليه . . ولما كان من طبعي عدم الضيق بالمناقشة ، لم أر فيما راق الأستاذ عبد الله عبد الجبار ما يمنعني من ذلك فلما رأى موافقتي – وأظنه كان لا يتوقعها – تباطأ في التعليق عليه ، فألحفت عليه . . وأمام إلحافي قال لي : ربما اشتد عليك . فلم يكن جوابي له إلا قبول ما أراد وبرحابة صدر ، على أن يكون لي حق المناقشة ، وأن يكون رحب الصدر لتقبل ماستجره المناقشة فيما بعد ، والأستاذ عبد الله يمتاز بهذه الخليقة ، خليقة الرحابة وسعة الأفق .. وعدم الضيق بالنقد ، ما كان الرائد خدمة الأدب والارتفاع به ، ليبلغ الأدب في بلادنا المكانة التي يريدها له المخلصون ، ولقد رحب الأستاذ عبد القدوس الأنصاري بذلك ، وقام بإخراج المرصاد ، ومرصاد المرصاد مع بعضها ولعل ذلك ، يرضي المعنيين بالأدب في بلادنا ، وما التوفيق إلا من عند الله .

لقد اطلعت بطبيعة الحال على ما كتبه الأستاذ عبد الله ، وسوف يكون ردي عليه في الجزء الثالث من المرصاد إن

شاء الله تعالى ،، (ه) .

(ه) لقد أنجزت الجزء الثاني منذ ثلاث سنين من المرصاد بناء على تعجل القراء له . وأخذ أصوله الأستاذ الأنصارى ليقوم بطبعه مثل الجزء الأول . وبقى لديه مدة عام ثم فاجأنى برده مصحوباً باعتذاره عن عدم طبعه لأسباب لم يذكرها ، وبقى عندي هذه المدة الطويلة حتّى أتيح لي طبعه الآن ، فمعذرة للقراء عن هذا التأخير وإن لم يكن لي يد في تأخيره ، ولعل الظروف تساعد على إصدار الجزء الثالث من سلسلة المرصاد قريباً .

الجزء الثالث

الكلمة الاولى

لقــد قذفت بلادنا كثيراً من الركام بدعــوى الأدب والشعر ، ولكن الركام إذا زخرت به الطرقات لا يصل إلى مرتبة البناية الصالحة التي يستفيد منها الناس ، بل إن الركام يسبب للسائرين المتاعب ، ويعوقهم عن السير الحثيث للوصول للهدف . نعم قد يتكون من الركام مبان أنيقة غالية ولكنها لا تعدو أن تكون مداخن للحمامات ، والأفران ، والمعامل والمصانع ، وهي على أناقتها وارتفاعها ليست صالحة إلا لتصريف الدخان وتبديده في الهواء لئلا يؤذي الناس وأعلى مدخنة وآنقها في المدينة ، لا تساوي كوخا نظيفا صالحا للسكنى في قرية .

وكما نجد في عالم المباني مداخن ومساكن ، نجد في عالم الأدب والشعر ما يضارع تلك الحالة ، وقد أسقط التاريخ كثيراً من الأدباء المداخن ، لأن أدبهم لم يكن إلا دخانا يتبدد في الهواء ولا يمكن أن يستريح له الناس لأنه إذا تكاثف يخنق الأنفاس .

وسيسقط التاريخ مستقبلاً أكثر ممن أسقطهم في الماضي

كلما تقدم الوعي وعرفت حقيقة الأدب ورسالته .

وسوف لا يخلد التاريخ إلا حملة المشاعل الذين ينيرون الطريق ، ويبعدون عنه الركام حتى لا يعوق السائرين عن السير الحثيث .

إن الأدب يصب لعنته على كل من لا يخلص له ، أما الخلود والتكريم فلا يهبهما إلا للمخلصين .

بقي أن يعرف الأديب المخلص أنه كالجندي في المعركة إن لم يكن له زاد وعتاد فسيسقط صريعا في الميدان ، وزاد الأديب وعتاده اطلاع واسع ، وثقافات متنوعة وشجاعة في الحق ، ونتاج حي متحرك .

أما الذي لا يعرف من الأدب إلا إدارة القلم على الورق بالكلام دون أن يثير في فكر القاريء أفكاراً ، وفي نفسه خواطر ، وفي مشاعره هزة ، ودون أن يضيف إلى الحياة جدة ونماء ، فذلك من الذين ينبذهم الأدب ، ولا يسمح لهم بالدنو إلى حرمه المقدس .

وقد انقضى أيضا العهد الذي كان فيه الأدب أداة من أدوات الترف التي لا يقتنيها إلا المترفون ليجملوا مجالسهم بالأدباء وآثارهم ، كما يجملونها بالتحف والتماثيل .

نعم : لقد انقضى عهد الوليد ، وعهد هارون الرشيد . ولو بعث اليوم جرير ، والأخطل ، والفرزدق ، وأبو تمام

وبشار ، وأبو العتاهية ، وأبو نواس وغيرهم لقلنا لهم : أديروا وجوهكم للجماهير لتنالوا لقمة العيش بعرق الجبين ! . أو عودوا إلى مراقدكم إن لم تسمحوا لأنفسكم بالسخرية والتهزيء ؟! .

فالجمهور اليوم قادر على أن يفهمكم ، وقادر على تقدير مواهبكم ، وقادر على أن يعطيكم لقمة أشرف من اللقمة التي كان يمن بها عليكم الوليد وهارون .

ويخيل إلي أنهم سوف لا يرضون بالحياة بيننا ، وسيعودون إلى مراقدهم راضين .

إننا نعيش في عصر العقاد ، وطه حسين ، والزيات ، وهيكل ، والحوماني ، والجواهري ، وإيليا ، والسحرتي ، وخفاجة ، وكامل أمين وغيرهم من الأدباء والشعراء الذين أخلصوا لرسالة الأدب ، فاحتفى بهم الأدب ، وأصعدهم إلى مجالس الخالدين ، وكان جزاؤهم من الأدب أعلى وأخلد وأكرم من جوائز الوليد ، وهارون الرشيد ، وذلك هو جزاء المخلصين .

* * *

المقدمـــة

حينما صدر المرصاد الأول ، قيل إني وضعت الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار ، والأستاذ عبد القدوس الأنصاري ، في مكان أعلى من مكانهما . وكان هذا القول لا يستند إلى شيء بالمرة لأن المتحدثين بذلك لم يؤيدوه بأي برهان ، وإلقاء القول على عواهنه لا يكلف عناء ولا جهداً .

وحينما صدر المرصاد الثاني ، قيل إني رفعت الأستاذ عبد الله الخطيب أكثر من اللازم ونافقت للأستاذ محمد سرور الصبان .

وهؤلاء القوالون لا يستحقون المؤاخذة ولكنهم يستحقون الإشفاق ، لأنهم حينما يقولون مثل هذه الأقاويل يدللون على أنهم لا يقرءون ، أو يقرءون ولكنهم لا يفهمون ، أو يفهمون ولكنهم لا يقتنعون ، أو يقتنعون ولكنهم يكابرون لأنهم مغرضون ، فكلما حاولت مناقشتهم فيما يقولون تثاءبوا ، وإذا طلبت منهم أن يضعوا أصابعي على مكان النفاق تصاموا ، وإذا قلت لهم لِمَ لم تجهروا بما تقولون ؟ جبنوا ، وإذا قلت لهم إن كان الجهر يوقعكم في حرج

فاهمسوا في أذني ، ولكم على أن لا أبوح بما تهمسون ، أحجموا ، وإذا قلت لهم إني لا أملك أمكنة شاغرة أضع فيها من أريد ، وأهبط بمن أريد، ضحكوا أو تضاحكوا ، وإذا قلت لهم هاتوا كلمة مما قلتها في الأستاذ محمد سرور صبان غير صحيحة، وضعوا رؤوسهم بين أكفهم وعصروها عصراً شديداً ، فإذا هي لا تساعدهم إلا بحمرة الخجل ، أو بحمرة الخزي ، أو بحمرة تكون نتيجة ضغطهم رؤوسهم بأكفهم .

فمن كانوا لا يستطيعون أن يكذبوني فيما قلته عن محمد سرور صبان وأثره في تاريخ بلادنا الأدبي، ثم لا يستطيعون الهمس بما يرتأون ، ثم تحمر وجوههم خجلا أو غضبا أو لأي شيء آخر ، ثم يبحثون عن الكلام فلا يجدونه، وعن الحجة فتشيح بوجهها عنهم . أيستحق هؤلاء المؤاخذة؟ — كلا — إذاً فليغل المرجل في صدورهم ما شاء له الغليان وليجف الريق في حلوقهم ما شاء له الجفاف ، ما دام هذا الغليان وهذا الجفاف لا يجلبان ضراً على أحد ولا يؤديان نفعا لأحد .

والآن أقول لمن يعى : إنني لا أملك أن أرفع أحداً ، ولا أملك أن أخفض أحداً ، ولكني أبين مكان كل واحد ممن أكتب عنه ، كما يستبين لي من أثره الذي أقرؤه ، فقد وضع كل أديب نفسه في الموضع الذي وصل إليه بجده ،

وعرقه ، وسهره ، ونور عينيه .

ثم إن لكل أديب لساناً في فمه ، وقلماً بين أنامله ، وفكراً يعمر رأسه ، ومشاعر تعتلج في صدره ، وتلك هي أسلحة الأديب ، وبها يستطيع أن يذب عن نفسه وعن أثره إذا أراد أحد أن ينزله من موضعه ، ولم أقم نفسي مدافعاً عن الأدباء فمن يجد في نفسه جرأة ولديه من الإمكانيات ما يستطيع بها زحزحة أديب عن مكانه الذي وصل إليه فليتقدم لذلك وليقابل من يريد منازلته وجها لوجه ، أما أن يتحدث عنه انتقاصاً وجحوداً وإنكاراً لمن لا يستحق الانتقاص والجحود والإنكار ،ويوجه حديثه إلي في شبه حملة ، فإذا انبريت له تخاذل وانزوى ، فإن ذلك ليس من الأدب ولا من الجرأة الأدبية في شيء . إن الشجاعة الأدبية لا تستورد من الخارج ولا تلتقط من أفواه الناس،ولكنها تنبع من النفس ، فمن وجد في نفسه ذلك النبع الكريم ، فلا يخف من شيء .

هذا العطار أمامكم وقد نشأ على الصراع الأدبي وله فيه الجولات الخالدات .

وهذا هو الأنصاري وهو في متناول أيديكم ، فلماذا تحجمون عن منازلته ؟ أظنكم تحجمون عنه لأن صحافتنا سجلت له وقائع أدبية مازال دويها فيالآذان ، وتعرفون أنه دائماً متحضر للصراع وللدفاع عن نفسه .

وهذا هو الخطيب يصارع الحياة ، وهو مستعد لمصارعة أبنائها . ولا أقول شيئاً عمن عداهم . هاجموهم أيها المنكرون على ما قلته فيهم ، هاجموهم وزحزحوهم عن أماكنهم الأدبية التي تبوأوها إن كنتم حقاً ترون أنهم غير خليقين بها ،ولكم عليّ أن لا أدافع عنهم ، ولا أحرك قلمي بشيء إلا أن يكون ذلك الشيء تصحيحاً لخطأ ، أو جلاء لغامض ، أو تعديلا لفهم مغلوط ، وإذا انتصرتم فسوف يصفق لكم الجمهور تصفيقاً يرضي غروركم ، وسأكون من أول المصفقين ، ولكن احرصوا على أن يكون التصفيق لكم لا عليكم ! ! .

* * *

أما الأستاذ القرشي حينما رد علي على مرصادي الأول في مجلة المنهل ، فقد أثبت أنه قرأ شيئاً كثيراً من شعراء المعاصرين، وأنا أهنئه على ذلك ، وكل ما أرجوه منه أن يهضم ما يقرأ ، ويتفهم ما يحفظ ، لتكون مقارناته موافقة لما يريد ، ولعله لا يستكبر علي النصيحة إذا وجهت إليه ، وينتفع بالناصحين ، وهو جدير بذلك .

وأما الأستاذ عبد الله عبد الجبار ، فقد ضرب ما شاء له الضرب في مرصاد المرصاد الذي أخرجه تعقيباً على (المرصاد الأول والمرصاد الثاني) .

ومع كُلّ فهو لم يختلف عني كثيراً، بل اتفق معي في

كثير مما ذهبت إليه في نقدي وإن نعتني بالبهلوان الكبير ، فإني أتوقع له بأنه سيكون بهلواناً أكبر . ذلك أن القراء لو عرفوا السر في اكتشافه بأني كنت أظهر بوجه ابن عمي السيد سراج فلالي للأستاذ عبد الوهاب آشي ليصلح لي مقطعاً من شعري في مبدأ حياتي الأدبية لعرفوا إلى أي حد بلغت به البهلوانية ، ولا يعنيني أن الأستاذ الآشي له عليّ فضل الأستاذية ، بل يشرفني ذلك .

أما ما اختلفنا فيه أنا والأستاذ عبد الله ، فذلك مرده وجهات النظر من جهة ، ومن جهة أخرى اختلاف الأمزجة في تذوق الأدب .

وما قيمة المرصاد ومرصاد المرصاد إن لم يكونا مجالا للنقاش ، ومضطرباً للأخذ والردّ ؟ ولعل الأستاذ عبد الله عندما يصل إلى مرتبة بهلوان أكبر يتبين له أن الصواب قد أخطأه في بعض ما خالفني فيه و، للأستاذ عبد الله من القوة الأدبية وإخلاصه للفكر ، ما يدعه يعترف إن عاجلا أو آجلا بذلك دون أن يرى في الاعتراف أي ضير يمسه ، وذلك هو خلق الأديب الحق ، والأستاذ عبد الله أديب (بحق وحقيق) ، يعرف ذلك كل من اطلع على نتاجه الأدبي الحي ، وأن قصتيه (العم سحتوت) ، (وأمي) ومسرحيته (الشياطين الخرس) آية على الحيوية الأدبية المتدفقة .

أما الأستاذ باعش (عضو رابطة الأدب الحديث بالقاهرة) ، فقد كنت وما زلت أقدره وأتوقع له مستقبلا أدبيا باهراً ، إنما ينقصه شيء واحـــد أحب أن أوجهه إليه ليتلافاه . ذلك الشيء هو ألا يسمح لنفسه أن يكون أداة لغيره في المجال الأدبي ، ولو عقل لنفر من ذلك نفوراً شديدا ، ولو كان ذلك الغير عماً أو خالا أو أباً ، فإن الوقوف – يا بني – على قدميك خير لك من الوقوف على أقدام من خشب لتسير في الطريق بدون توقف ، هذه الكلمة أوجهها إليك بمناسبة ما نشر في جريدة المدينة المنورة تحت عنوان (مرصاد الفلالي) ، فإن الأسلوب نم عن الحقيقة المغطاة ، ونفسيتك التي عرفتها من آثارك أبعد ما تكون عن المكابرة واللجاجة المعروفتين عند بعض الأدباء .

أما قصيدة الأستاذ عواد (أنا والليل) التي نقدتها في مرصادي فقد أسقطها الأستاذ منير البعلبكي من الشعر إسقاطاً كاملا فيما أسقط من نظم قيل إنه شعر ، وقال في آخر كلامه إن مثل هذا الشعر ما كان ينبغي أن يثبت للغربلة بله التنخل ، وإذا أردت أن تتأكد من ذلك فراجع العدد الممتاز من مجلة الآداب الصادر في مايو سنة ١٩٥٥ ص٩٢ و ٩٣ . إننا لا نتجنى ولكننا نصارح بالحق ولو كان مراً .

وإني أشكر للأستاذ رضوان إبراهيم ما بذله من عناية في التنويه بالمرصاد على صفحات مجلة الحج الغراء ، وإن ما

أخذه علي ولم يغتفره لي أسرني منه، وحقاً إن الإنسان ليخطيء أحياناً فيما يغم على الأطفال في المدارس الابتدائية، والكمال لله وحده ، والذي أريد أن أقوله للأستاذ رضوان : أن لا يشفق مرة ثانية عليّ ولا يخشى أن ينضم مع الأستاذ عبد الله عبد الجبار ومع الزمان في الهجوم عليّ ، فأنا وإن كنت أعزلا إلا أن لي روحاً معنوية عالية تجعلني أستقبل الهجمات من أي نوع وأستفيد منها .

بعد هذا — أيها القاريء — سر معي في المرصاد الثالث ؛ فإنه يختلف عن المرصادين السابقين ، فليس فيه نقد لشعر وشعراء ، وإنما هو نقد لمؤلفين قاموا بمجهود طيب في السير بأدبنا إلى السبيل السوي ، فمن الأخذ في مزاولة الأدب المسرحي ، إلى أحياء التراث المهمل والعناية ببلادنا وتاريخها وآثارها وما تزخربه من ثروات تكاد تكون في حكم الضائعة، يتوج ذلك التفات إلى استنباط العظة والحكمة ، والسير على الصراط المستقيم ، مستنيرين بنور القرآن كتاب الله الخالد .

ثم نقرأ ألواناً أخرى من أدبنا اليوم ، كترجمة الروائع من الأدب الإنساني ، فلنمش لنرى مبلغ توفيق هؤلاء المؤلفين فيما كلفوا أنفسهم به ، ولنعطهم ما يستحقون من عناية ، وإعجاب ، وتكريم ، مع مؤاخذتهم فيما تجب عليهم فيه المؤاخذة ، وليكن رائدي ورائدك السير بالنقد

إلى مكانه من أدبنا ، إذلا تكمل الحياة الأدبية بدونه ، ولا تزدهر إلا في ظلاله . والله لا يضيع أجر العاملين .

في ربوع عسير

إننا نحلم بكنوز سليمان . ونود لو أن العفاريت تخرج من قماقمها لتحملنا على أجنحتها حتى تحط بنا على تلك الكنوز ، فنأخذ منها ما يرضي نهمنا ، ثم تعود بنا ومعنا الثروة العريضة التي يسيل – عند ذكرها – لعاب المملقين ، والجواهر الغالية الثمينة التي يتباهى بها الفارغون ، ويستمدون قيمتهم منها .

ولكن أحلامنا لا تلبث أن تتبدد في الهواء ، لأننا لا نعرف الطريق إلى تلك الكنوز المرصودة ، أو أننا نعتقد أن الوصول إليها ضرب من المحال ، لأنه محفوف بالمخاطر والأهوال ، أو أننا لا نرى فيما يقال عن كنوز سليمان إلا لوناً من الأساطير أو ضرباً من ضروب الخيال فنرضى بما قسم الله لنا من الرزق ، أو يدفعنا الجوع والفقر والحرمان إلى طرائق النصب والاحتيال ، وإذا ترفعنا عن ذلك نندفع إلى الاضطراب فيما يضطرب فيه الاشراف من الرجال لنعود بما يسد الرمق ، ولا يُنال ذلك إلا بشق الأنفس ، هذا إذا اتسع للاشراف المجال .

أما الغنى الطاغي ، والثروة العريضة ، فلا ينالهما إلا كل مخادع أو ختال ، أو كل كاذب أو متملق أو مختلس أو دجال .

ولكن لماذا هذا الضيق بالحياة وأوضاع الحياة ؟ ولماذا نستهول الوصول إلى كنوز سليمان ؟ ولماذا نحسبها من الأساطير أو من صنع الخيال ؟ إننا بهذه النظرة نحكم على أنفسنا بالحرمان ، وبالذل والهوان .

إن كنوز سليمان يا قارئي الكريم تحت أقدامنا، وخلف آذاننا إنها في جزيرتنا العربية البارة بأبنائها، الودود بسكانها ، إنها لا تبعد عن مكة إلا أميالاً ، إنها في المخلاف السليماني وأظنك مثلي لا تعرف المخلاف السليماني ، إذاً فاقرأ كتاب الأستاذ محمد عمر رفيع (في ربوع عسير) .

ستجده يحدثك عن المخلاف السليماني وموقعه وما يجاوره من بلاد وسيحدثك عن مناجم الحديد ، ومنابع البترول ، وأجبال الملح ، ومناجم الجير والجبس ، ومغاصات اللؤلؤ ، ويحدثك عن الأرض الخصبة التي تنبت الحبوب والبقول والفواكه والخضار ، ويحدثك عن الحمر الوحشية السائبة في المروج والأحراش ، وأسراب الظباء الرائعة في الخيوف والدحال، ويحدثك عن مختلف الحيوانات البرية التي تسكن الكهوف والغابات .

ويحدثك عن الجنات المسحورة المختفية خلف الجبال

الشامخة ، التي تتوج قممها عمائم السحاب ، وما في تلك الجنات من بلابل وحمائم تصدح بعبقري الألحان، ويحدثك عن القبــاب الخضر التي تتألف من شجر الأرك والسدر والبشام والأثل مدى امتداد النظر .

ويحدثك عن الجداول المنسابة انسياب الفضة النقية على أرض من الذهب ورمال من زعفران .

ويحدثك عن الحور والولدان والأعين الدعج ، والقامات السمهرية ، والشعر الأجعد، والآناف المستقيمة ، والألوان الصافية واللغة العذبة ، والأحاديث الممتعة .

ويحدثك عن أرض تنبت كل أولئك ، ولكن نباتها مهمل لا يناله غير الإغفال .

ويحدثك عن شمائل الناس هناك وما فيهم من كرم وذكاء ، وطيبة قلب ، وحب للضيف ، ووفاء للأصدقاء ، ولكن كل هذه الشمائل يأكلها الجهل و تصرعها قسوة الجهال.

ويحدثك عما عليه سكان تلك الجهات من عادات وتقاليد وماذا يلبسون ؟ وماذا يأكلون وكيف يقيمون الأفراح والولائم ؟ وكيف يبنون منازلهم ، وبماذا يؤثثونها ؟ وكيف يزينونها ؟

ويحدثك فيما ــ يحدثك ــ عن الزمردة الخضراء الضائعة في الوحل .

هل تعلم يا قارئي عن تلك الزمردة الثمينة الضائعة في الوحل شيئاً ؟ وهل تعلم كيف ضاعت ؟ ثم أهملت ، ثم نسيت ، وبقيت إلى الآن في زوايا النسيان ؟ .

إن كنت لا تدري شيئا عن ذلك فأنت معذور لا لشيء إلا لأني أنا وأنت وهم لا نعني بشيء إلا بأنفسنا ، ولا يمتد نظرنا إلا إلى مواقع أقدامنا، ولا يهمنا غير اليوم الذي نعيش فيه، ولكن الشيخ عمر رفيع لا يريد أن يتركني ويتركك ويتركهم في هذه الغفلة المفترسة الضارية التي تفترس بلادنا حتى يضرى عليه الفناء والدمار .

فأخذ بحبل الجرس وقرعه قرعاً لم يكن شديداً ، ولكنه يكفي لتنبيه الغافلين ، وما الجرس الذي قرعه الشيخ عمر إلا كتابه (في ربوع عسير) ففي هذا الكتاب يحدثنا الشيخ عمر عن كنوز سليمان المغمورة .

وعن الزمردة الخضراء الضائعة في الوحل ، لعلنا نتنبه إلى كنوز سليمان فننفض عنها غبار الأجيال الذي تراكم عليها ، ونحلي بمدخراتها جيد بلادنا ، ونخرج تلك الزمردة الخضراء اليتيمة من الوحل لتأخذ مكانها اللائق في جبين هذا الوطن المفـــدى .

ولا يزعم الشيخ عمر وهو يقدم إلينا كتابه (في ربوع عسير) أنه رحالة جاب كثيراً من الآفاق ، ولا يزعم أيضاً

أنه أديب ، أو مؤرخ أو فنان ، ولا يدّعي أنه عالم محقق ثبت، وإنما يقدم لنا كتابه في تواضع جم هو تواضع العلماء .

والذي يعرف الشيخ عمر يعرف فيه مواهب وملكات، فهو أديب وآية ذلك أسلوبه الشائق الممتع الذي يتجلى في كتابه هذا،وهو عالم ويتجلى علمه في تحقيقه العلمي وفي رده على كل من كتب عن هذه الربوع رداً يستند إلى الأدلة المادية المحسوسة التي يرضاها منطق العلماء .

وهو يحمل بين جنبيه قلباً شاعراً يعشق الجمال ويعبر عنه بريشة الرسام الماهر،فهو مولع بالزخرفة ويتقنها كما يتقن قواعد الخط ، وله لوحات فنية ممتازة ، ورسوم كتابه اليدوية التي رسمها بريشته شاهد على مهارته ، وتعبيراتُه الشاعرية عن مناظر الطبيعة وخلابتها تدل على شاعريته ، وإن لم يقل شعرا مقفّى موزونا ، ثم هو رحالة جاب كثيراً من بلاد العالم وساعدته خبرته بالبلاد التي رآها على مقابلة ما شاهده من بعض المشاهد في عسير على ما شاهده في البلاد الأخرى .

وإليك أمثلة من ردود الشيخ عمر على من كتب عن هذه الربوع وأخطأه الصواب . . يقول الشيخ عمر في صفحة ٤٤ تحت عنوان (قبر ذي القرنين) « وقد عد صاحب كتاب في بلاد عسير نسبة هذا القبر إلى ذي القرنين تخريفاً من أهل هذه الجهة مدفوعاً فيما تراءى لي بما تبادر له من

أنه ذو القرنين الأسكندر المقدوني ، وليس كذلك فإن ذا القرنين هذا يماني ذكره الهمداني أيضاً في كتابه الاكليل في الجزء العاشر. فقدقال ما معناه إن ذا القرنين السيار ويكنى با لصعب وعلى رواية هوالهُمَيْسع بن عمر بن عريب بن كهلان ، وعلى رواية أخرى هو الصعب ذو القرنين السيار بن مالك بن الحارث الأعلى ابن الخيار بن مالك بن زيد بن كهلان ، وجاء في هامش القول المذكور من تحقيقات العلامة السيد محب الدين الخطيب ناشر الجزء المذكور أن هناك قولا ثالثاً مزعوماً لأمير المؤمنين علي وحبر الأمة عبد الله بن العباس رضي الله عنهم : أن ذا القرنين السيار هو الصعب بن عبد الله بن مالك بن سدد بن حمير الأصغر فغير بعيد عن الحقية والصحة نسبة القبر إلى ذي القرنين هذا ،ولا سيما وأنه مقول منذ القرن الثالث الهجري » هذا رد علمي مقنع . ورده على صاحب الكتاب نفسه حينما اتهم قبيلة ربيعة ذلك الاتهام الشنيع الفظيع. راجع ما قيل ورد الأستاذ عمر في (ص ٣٤، ٣٥ ، ٣٦ ، ٣٧) ورده على الدكتور عبد الوهاب عزام في (ص ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٥٦) . وتحقيقات الشيخ عمر المفيدة المقنعة في موضوع أهل الكهف الموجودين في جبال عسير ووصفه للكهوف التي وجدت بها بعض الجثث التي مرت عليها أجيال دون أن تبلى في (ص ٥٦ ، ٥٧ ، ٥٨ ، ٥٩ ، ٦٠) وما قال عنهم صاحب (في بلاد

عسير) ورده المفحم وتأييده الرد بالصور الفوتوغرافية ووضعها في الكتاب لتكون أبلغ رد على من يفرضون علمهم على الناس وهم جهلاء .

واقرأ تصوير الشيخ عمر للطرق الوعرة ، وكيف يتعرض الناس فيها للأخطار والهلاك ؟ وهم لا يستغنون عن المرور منها ، إذ لا طرق موصلة للقرى سواها ، ومع كل ذلك بقيت دون عناية إلى الآن ، ومالي أقول هذا ؟ ألسنا نتحدث عن مجهل من مجاهل الصحراء ؟ أو عن بلد في جزائر واق الواق ؟ وما للإنسان وللعناية بمثل هذه الآفاق ؟

واقرأ عن الجدري الذي يفتك بتسعين نفساً في قرية واحدة ومأساه التيفوئيد الذي يجتاح السكان اجتياحاً ويذهبون ضحايا الجهل ، جهلهم وجهل الناس بهم ، إنهم يعيشون في مجهل من مجاهل الجزيرة العربية .

فمن قال لهم يعيشون هناك ؟ إن الذنب ذنبهم على كل حال أليس كذلك ؟ .

• • •

وأخيراً إذا أردت أن تعلم كثيراً من الغرائب والعجائب والمآسي والمسرات والملاوي والمنعرجات ، ثم إذا عن لك أن ترحل لتنعم بكنوز سليمان ، أو عن لك أن تعيش على أضواء الزمردة الخضراء ، أو أن تبحث عنها في الوحل الذي

غرقت فيه . أو شاقك أن تبحث عن آثار ذي القرنين وترى أهل الكهف وتدخل الجنات المسحورة القريبة منك ، فما عليك إلا أن تشكر للشيخ عمر ما حباك به من معلومات طيبة شائقة في كتابه (في ربوع عسير) .

* * *

وكل ما نرجوه من حكومتنا أنها إذا بعثت حملة لتأديب مانعي الزكاة في ذلك المجهل أن تصحبها بحملتين إحداهما للقضاء على الأمراض هناك والثانية لتعبيد الطرق ، رحمة بالأهلين والعصاة والمؤدِّبين .

(*) ما ورد في كتاب عمر رفيع يعبر عن وضع قديم ، خاصة وأن الكتاب طبع عام ١٩٥٤ ميلادية ، ولاشك أن الأمور قد تغيرت اليوم كثيراً .

تاريخ مكة المكرمة

للأستاذ أحمد سباعي أوليات قومية في الحقل الأدبي وفي الحقل التربوي ، ومن أولياته في الحقل التربوي إخراجه سلم القراءة للمدارس الأولية والابتدائية .

فلقد كانت مدارسنا قبل ذلك تعتمد على الكتب المدرسية الواردة إلينا من البلاد الشقيقة فينشأ الطفل وفي ذهنه صور لحقول النيل ، والأهرام ، وقلعة محمد علي ، وليس في ذهنه شيء من صور بلاده ومسقط رأسه، وكان ذلك نقصاً تداركه وفطن له السباعي قبل أن يفطن إليه غيره ، فسد الفراغ وتدارك النقص الذي كنا نحسه ونلمسه ، ثم تبعه المؤلفون الحجازيون وساروا على غراره في هذا المسلك .

أما أولياته في الحقل الأدبي فمحاولته لفن القصة الكبيرة . فأخرج لنا (فكرة) وهي قصة أدبية فنية تصف مناظر بلادنا الطبيعية وتعالج أمراضنا الاجتماعية، وقد وفق فيها توفيقا لم يحرزه أحد غيره ، بل إن غيره لم يرجع من محاولته إلا بالفشل ، فقد فشلت قصة (البعث) في كل شيء ، ومن أولياته أيضاً إخراج مؤلفه الأخير (تاريخ مكة) فقد أرخ

فيه مكة منذ أوجدها الله إلى العصر الذي نعيش فيه بحسب ما تيسر له من معلومات واطلاع .

وبهذا المؤلف يخط السباعي سطر الخلود لنفسه ، إذ أن كتابه يعتبر من أجمل المراجع ومن أوفى الكتب التي تتحدث عن مكة بأسلوب مشرق ، فهو يحدثك عن تاريخها وأمرائها وحالتها السياسية والإدارية والإجتماعية والإقتصادية . . وهو في كل ذلك يلاحظ ملاحظات صائبة وأخرى قريبة من الصواب في غير حشو ولا إسهاب ، وإنما يتلمس مواقع العبرة والفائدة . . فإذا قلت أنه من أجمل المراجع التاريخية ، فما ذلك إلا أن القاريء يجد بجانب ما يجده من فائدة تاريخية متعة أدبية ، فلا يشعر قاريء هذا التاريخ بملال ولا سأم حتى ينتهي من الكتاب على ضخامته ، هذا حق يجب أن نعترف للسباعي به ونشكره عليه ، ولا يعرف مبلغ الجهد الذي بذله السباعي في إخراج هذا الكتاب بهذه الصورة الجميلة إلا من عانى متاعب البحث والاستقراء في بطون الكتب ومجلدات التاريخ ليخرج للناس ما يفيدهم ويوفر عليهم كثيراً من عناء البحث والتنقيب .

* * *

أما المآخذ التي سوف أتحدث عنها فهي لا تحط من قيمة الكتاب في شيء . لقد قرأت كتاب السباعي من ألفه إلى يائه

قراءة المعجب المستفيد من ناحية ، وقراءة الناقد الذي يتلمس الإصابة والخطأ من ناحية أخرى .

فوجدت بعض المآخذ التي لا تقلل من جهد السباعي ولا تقلل من جمال كتابه وإنما هي مآخذ تتعلق بالرأي واختلاف وجهات النظر ، وإن العمل الكامل المبرء من النقص ، المنزه من العيوب ، لم يظفر به أحد من الكتاب والأدباء ، وكذلك لم يظفر به أحد من غير الكتاب والأدباء، وكلنا ينشد الكمال، ولكن النقص يأبي أن يفارقنا أو يتخلى عنا .

١ — ومن الأشياء التي نأخذها على السباعي في كتابه قوله في (ص ٣٧) «ولست أرى في أمر عثمان ما يدعو إلى شدة الغرابة فقد كان رحمه الله سمحاً كريماً لين الجانب» إلى آخر ما قال السباعي . فهو يرد ما حدث من الفتنة في زمن عثمان إلى رد الفعل الذي أحدثته أخلاق عثمان بالنسبة إلى أخلاق عمر ، ونحن لا ننكر أن عثمان رضي الله عنه كان سمحاً كريماً ، وأن عمر رضي الله عنه كان حازماً شديداً في الحق ، ولكن ما كانت السماحة ولا كان الكرم ، ولن يكونا أبداً سبباً من أسباب الفتنة ، أو باعثاً على الاضطراب والثورة .

ولكن الأسباب كانت — كما لا يخفي على السباعي وعلى غير السباعي — هو تسلط الحاشية التي لم تكن تستحق التسلط ، أو بعبارة أخرى لم تستحق أن يثق بها الخليفة في أمور

الدولة ، فتسلط الحاشية على الأمة ، واستبدادها بالسلطان ، ثم إيثـــار أقرباء عثمان بالوظائف الرئيسية في الدولة واستئثارهم بالأموال الوفيرة حتى أثروا إثراء فاحشاً ، وتحكيم ذوي القرابة في مقدرات الأمة ، وعدم الاصغاء إلى مشورة أهـــل الرأي والسابقة في الاسلام مع وجود الكثيرين منهم على مقربة من الخليفة ، والحيلولة بين الخليفة وبين الشاكين والمتظلمين ، أدى كل ذلك إلى اختلال الموازين ، وهضمت حقوق الضعفاء ، ونجمت في الأمة طبقة المثرين بثراء مفاجيء وفي نفس الوقت كان هذا الثراء المفاجيء ثراء فاحشاً لم يتدرج مع الزمن أو يتفق مع العمل والجهد مما أحفظ النفوس وأثارها ، ووجد في المجتمع حينئذ من يشعل النار في الهشيم ، فاندلعت نيران الثورة حتى أودت بحياة الخليفة الصالح الكريم المتسامح .نعم لم يربح المسلمون من هذه الثورة شيئاً بل خسروا خسارة ما تزال آثارها باقية في المجتمعات الإسلامية إلى اليوم ، ولكن هذه الخسارة من كان مسببها ؟ هذه هي المسألة التي كنا نود من السباعي أن يتحدث عنها لا أن يتحدث لنا عن رد الفعل الذي أحدثه الانتقال من أخلاق عمر إلى أخلاق عثمان .

٢ — ويقول السباعي في (ص ٥٧) : « إذاً فلا بد من عامل كان له أثره في امتناع ابن الزبير ولا استبعد أن يكون

ذلك هو خوفه من الخدعة » إلى آخر ما قال السباعي وهذا كلام جميل فلقد تحرز ابن الزبير لنفسه ، إلا أننا نتساءل هنا هل كان الحصين في جيشه وقد مات الخليفه بالشام أقوى من ابن الزبير وهو في خلافته وبين ذويه وجنده في الحجاز ؟ لم يبين لنا السباعي ذلك ، وكيف يسوغ لابن الزبير أن يفلت الحصين بن نمير من قبضته ؟ ولماذا تركه ينصرف إلى الشام ؟ ألا ترى أنها غلطة سياسية ارتكبها ابن الزبير ؟! وهذا على الأقل ما نفهمه لأن السباعي لم يرنا المسوغات التي تركت ابن الزبير يترك الحصين يعود إلى الشام في أمن وسلام بعد موت يزيد وانكشاف ظهره ، وسقوط حجته ، أو أن الحصين وعد ابن الزبير وعداً أغراه به على تركه ثم بعد انفلاته منه لم يف له بما وعد ، هذه نقطة كنا نود من الأستاذ السباعي أن يوفيها شرحاً وإيضاحاً ، ولكنه لم يفعل ، لأن الحصين لو كان في قوة من جنده لما انصرف عن ابن الزبير حتى يخضعه — ولو مات الخليفة — فإن موت الخليفة لا يؤثر شيئاً ما دام له عقب يخلفه .

٣ — ويسمي السباعي في كتابه (ص ٧٠) ما يبدو من شبان مكة وبعض علمائها من نقد لبني أمية « نزوات » وما كان سعيد بن جبير رحمه الله من ذوي النزوات ولا كان شباب مكة الذين يتذاكرون مساوىء بني أمية وينقدونهم عليها في ظل الكعبة من أهل النزوات ، وليست ظلال الكعبة

مرتعا للنزوات ، وكان الأحرى بالسباعي أن يقول : إن بني أمية ارتكبوا من المظالم والمآثم ما جعل بعض الشباب المستنير الواعي وبعض العلماء الذين لا تأخذهم في الحق لومة لائم ينقدونهم وينكرون عليهم أعمالهم ويذكرون مساويء بني أمية لعلهم يرجعون عنها ويسلكون طريقا أليق بالحكام والأمراء أن يسلكوها ، وهم موضع الأسوة والقدوة وفي يدهم القوة والسلطان .

٤ – وعفا الله عن السباعي فإنه يسمى موجة الظرف والمرح التي لم يبق لأهل الحجاز سواها يفرجون بها عن أنفسهم التي نالها الغبن والخسف من الأمويين « لوثة » (ص ٧٢ ، ٧٣) . وهل الظرف والمرح لوثة ؟ إن من يلجأ إلى الابتسام في وقت الشدة ليس ملتاثا ولكنه يدلل على أنه قوي لا يدع لقسوة الحياة وأوضارها فرصة لتحطيمه ولكنه يقابلها بالمرح والفكاهة ، والانكباب على الفنون الجميلة ومنها الشعر ، والغنـــاء ، والموسيقى ليبقى على عزمه وعزيمته في مقابلة الحياة والثبات لتصرفات الأقدار ، ولقد خدم الحجازيون بذلك جانباً من جوانب الحضارة الإسلامية فقدموا لها ثروة فنية من شعرهم وغنائهم وموسيقاهم ما زالت آثارها باقية إلى اليوم ، فهل ترى ذلك لوثة يا أستاذ سباعي ؟

٥ ــ ويقول السباعي في (ص٧٣) :« وكان كثير من النساء يخرجن سافرات الوجوه ويطفن بالبيت في غير نقــاب ». ويدل هذا الكلام على أن النساء لم يخرجن سافرات إلا في ذلك العصر فهلا قال : وكانت عادة النساء في ذلك العهد على ما كانت عليه قبله فكن يخرجن سافرات ويطفن بالكعبة في غير نقاب ، لأن الحجاب أي ستروجه المرأة لم يحدث إلا في عصور متأخرة، أما الدين وعادة العرب وتقاليدهم قبل الدين لم تعرف لوجه المرأة حجاباً ، بل أن الدين يجعل من تمام إحرام المرأة وهي تؤدي نسك الحج أو العمرة كشف وجهها ، ولم يحدثنا السباعي أن المرأة كانت تستر وجهها في عصر سابق للعصر الذي يتحدث عنه ★ .

٦ ــ ويتحدث السباعي في (ص ١٠٧) تحت عنوان (ثورة الزنج) عن الثائر العلوي علي بن أحمد ولم يتحدث عن ثورة الزنج ، ونحن نعلم أن الذي يهم السباعي في كتابه كل ما يتصل بمكة ، ولكن لماذا يعنون حديثه بثورة الزنج ؟ فهل كانت ثورة الزنج بقيادة الثائر العلوي علي بن أحمد ؟

٧ ــ وفي نفس الصفحة يتحدث السباعي عن حملة ابن طولون التي أرسلها من مصر إلى مكة فيقول فوافوها في أواخر ذي القعدة وقسموا الأموال ، ولم يبين أموال ماذا ؟ ومن قسمها ؟ وعلى من قسّمت ؟ أعلى أهل مكة ؟ وكيف اتصلوا بهم ولم يحتلوها ؟ .

٨ – ويقول في (ص١٠٨) : « وفي سنة ٢٧٠ تولى أمر مكة محمد ابن الساج وفيسنة ٢٧١ يوسف ابن الساج» ولم يبين لنا ممن كانت توليتهما لمكة ؟ وإن كان أمر توليتهما معروف عند من قرأ السباعي وغير السباعي ، ولكن على السباعي أن يفيد قارئه .

٩ – للسباعي أن يتحرج عندما ينقل أخبار القرامطة ففي (ص ١١٣) يقول : « وجماع القول فأني لا أجزم بشيء من مبادئهم دون أن أطلع على ما كتبوه بأيديهم » إلى آخر ما قال : وجميل من السباعي أن يتحرى الحقائق على أن يضطرد هذا التحري في كل ما يعترضه من أخبار، وبهذه المناسبة أذكر أني قرأت عن القرامطة أنهم يدينون بمذهب اجتماعي لا دخل للدين فيه ، فهم لا يلزمون أنفسهم بدين الإسلام ولا غيره من الأديان ، وكل ما يهمهم أن يحققوا في البلاد التي تدين بحكمهم مذهبهم الاجتماعي، الذي يرتكبون ما يرتكبون من الفظائع لتحقيقه في مجتمعهم، ومن أراد أن يعلم شيئاً عن مذهبهم فليقرأه في مظانه ، وقد كتب ناصر خسرو في رحلتـــه شيئاً عنهم ، وقال فيما قال أنه وجدهم لا يقيمون الصلاة ولا يؤذنون لها، ولكنهم لايمنعون المصلين.

١٠ – وفي (ص ١٥٧) يسوق السباعي قصة راجح والحسن ابنى قتادة . فيقول في آخر الصفحة« : ونهب عسكر الملك مسعود بيوت مكة وجردوا المدنيين منثيابهم وأموالهم

ونبشوا قبر قتادة وأحرقوا تابوته فلم يجدوا الجثة في القبر فعلم الناس أن الحسن دفن أباه خفية في مكان سري » وسياق الحديث يجعلنا نقف هنا وقفة قصيرة فإن راجح بن قتادة استعان بصاحب اليمن للأخذ بثأر أبيه قتادة لأن قتادة أبو راجح وأبو حسن ، وحسن هو الذي قتل أباه وراجح هو الذي استعان بصاحب اليمن على أخيه الذي يعتبر مجرماً إن صح أنه قتل أباه قتادة ، وقد انتصر راجح بجيش المسعود على أخيه حسن ، وطرده من مكة ، فكيف ينبش قبر أبيه ؟ وإن قلنا أن المسعود هو الذي نبش القبر وليس راجحاً فمن غير المعقول أن لا يجامل المسعود رجلا استنصر به فنصره ، ثم يوجه هذه الإهانة الكبرى لأبيه المقتول ظلماً وبغيا من ابنه الحسن ، ثم يقول وأحرقوا تابوته وليس من عادة أهل الحجاز وضع موتاهم في توابيت كما يفعل قدماء المصريين في القديم وكما يفعل الغربيون حديثا ، فالحكاية هذه إما أن تكون مختلقة من أساسها أو تكون ناقصة ، ولماذا يتحرى السباعي في خبر القرامطة ولا يبيح لنفسه أن يحكم عليهم إلا بعد أن يرى بنفسه ما كتبوه بأيديهم عن مذهبهم ، ولا يتحرى في نقل مثل هذه الرواية أو يعلق عليها بكلمة تدل على رأيه فيها ؟ ثم ألا تكون مثل هذه الحكاية دعاية سيئة من دعايات العباسيين ضد الأيوبيين من جهة ، وضد الاشراف من جهة

أخرى لممالأتهم للأيوبيين ؟ ثم كيف ينسب السباعي الأمن والرخاء للمسعود الذي ينقل عنه ما يقال عن فسقه واستهتاره ؟ ولا ينسب الأمن والرخاء لراجح الذي ولاه المسعود أميرا على البادية وصار سلطانه عليها سلطانا مباشراً ؟ ثم كيف يكون المسعود سكران في قبة زمزم وجنوده يضربون أعقاب الحجاج في المسعى لئلا يزعجوا سيدهم النائم سكراً في قبة زمزم، وهو في نفس الوقت يسهل للحجاج أمورهم ، ويرعى مصالحهم ، ويرأف بهم ويرفع عنهم ما يأخذه سدنة الكعبة ويعوض سدنة الكعبة من ماله ؟ إن من تكون من صفاته الرحمة بالحجاج والرأفة بهم كيف يكون من صفاته الأغضاء عن جنده وهم يضربون أعقاب الحجاج حتى تدمى، وكيف يبيح لنفسه النوم في المسجد الحرام وهو سكران استهاراً بالدين وبقبلة المسلمين ؟ ، وكيف يبيح لنفسه سفك الدماء في أرض الحرم وفعل المحرمات ؟؟ ألا تحتاج هذه الحكايات إلى تمحيص ؟ يا أستاذ سباعي ؟ أو على الأقل تعليق يبين لنا رأيك فيها ؟ كما أبنت لنا عن رأيك في القرامطة ؟ .

١١ — ويقول السباعي في (ص ١٨٢) عند قصة حميضة وأبي الغيث : « ونقل حميضة أخاه أبا الغيث إلى داره ثم استدعى إخوانه للضيافة فلما حضروا قدم لهم أخاهم مطبوخاً في جفنة بعد أن جعل على رأس كل واحد منهم عبدين أسودين في أيديهما السيوف فأذعنوا له » ولم يأخذ السباعي

الشك في صحة هذه الرواية على ما فيها من وحشية تتنزه عنها الوحوش إن كان للوحوش أن تتنزه عن شيء .

وعجيب من السباعي أن يتورع عن كل ما ذكر عن القرامطة فلا يأخذه مأخذ اليقين ، ثم يأخذ هذه الحكايات التي تروى عن قسوة أشراف مكة ووحشيتهم دون تمحيص، أو دون أن يشك ولو قليلا في صحة هذه الروايات، وإذا كان للقرامطة اضداد يسيئون سمعتهم بالحق أو بالباطل فهل سلم الأشراف من الأضداد ؟ لماذا لا تكون هذه الأقاصيص وأمثالها من نسيج المماليك ـ أضداد حميضة وإخوانه ـ لأساءة سمعتهم عند المسلمين ؟ ليتسنى لهم ـ أي للمماليك ـ إبعاد الأشراف والإستيلاء على مكة . نعم إن كل المراجع التي نقل عنها السباعي تروي هذه الحكاية ، وكذلك كل الذين تحدثوا عن القرامطة يتهمونهم بالقسوة والفجور والاستهتار بمعتقدات من يناوئهم ، ومع ذلك فإن السباعي شك في كل ما يذكر عن القرامطة ، ولم يشك في كل ما ذكر عن الأشراف وهذا غريب ، ولو لم يشك السباعي ـ متحريا ـ الصحة في أخبار القرامطة لما أخذنا عليه ما نقله عن الأشراف بدون أن يشك وبدون أن يعلق ولو بكلمة واحدة .

أما رأي في هذه الحكاية فأنا أستبعد أن الفظاعة والوحشية تبلغان بالاشراف هذا المبلغ . قد يؤدي الحقد والغضب

والتناحر على الإمارة أو الملك إلى أن يقتل الاب إبنه ، والإبن أباه ، والأخ إخوانه ، ولكن لا يلبث القاتل أن يستشعر الندم ، وربما قتله وخز الضمير قتلاً بطيئاً بعد سكون الغضب ، وقد يرى القاتل أنه ارتكب جرماً شنيعاً بعد ارتكابه جريمة القتل لإشفاء غليله ، ولكن أي إنسان مهما بلغت به القسوة بعد أن يشفي غليله من مناوئيه بقتلهم — لا تؤدي به القسوة إلى طبخهم وتقديمهم لإخوانه في جفنه ، ومن هذا الذي يقتله ويطبخه ؟ إنه أخوه .

هل انتزعت من قلبه الرحمة ؟ وهل تجرد من كل صفات الإنسانية حتّى يؤدي به الحمق إلى طبخ أخيه ؟ لا أظن . وإن لم يكن لدي مرجع يسندني فيما ذهبت إليه . فإني لا أسمح لنفسي أن أصدق مثل هذه القصة الفظيعة تصديقاً جازماً دون أن يتطرق إلى الشك والارتياب الشديدين في صحتها . وبالأخص إذا عرفنا أن تاريخنا علق به من المفتّريات والأكاذيب الشيء الكثير ، فمن مدح يؤدي إلى تقديس الممدوح حتّى لكأنه من الملائكة إلى ذم يؤدي إلى تجريد المذموم من كل معاني الإنسانية حتّى يلحقه بالوحوش الكاسرة ، هذه الآفة التي علقت بتاريخنا حتّى أفسدته تجعلنا نشك كثيراً فيما ينقل إلينا من مدح مفرط ، وذم مجحف وتدعنا نقف وقفة طويلة لكل خبر ينقل إلينا حتّى نمحصه تمحيصاً يجعله قريباً من المعقول ، وذلك ما فطن إليه علماء

التاريخ حديثاً وأخذوا به ، ولعل المستقبل القريب يظهر لنا صفحات مصفاة من الشوائب والأدران التي علقت بتاريخ هذه الأمة التي لعبت بعقولها الأهواء والأغراض وحملتها الدعايات المغرضة على تصديق ما لم يصدق ، والإيمان بما لم يقع .

١٢ ــ كلما جاء ذكر (لأبناء الحارة) في كتاب السباعي يسميهم السوقة ، وهذه التسمية كانت تستعمل قديماً وقد تكون سائغة في زمن غير زمننا . . . لقد مضى الزمن الذي يُحتقر فيه الجمهور وسواد الأمة . ونحن الآن نعيش في زمن يسمى هؤلاء الناس الجمهور ، أو سواد الشعب ولو قال السباعي جمهور الحاريين لكان خيراً من التعبير القديم الذي أكل عليه الدهر وشرب ولم يعد يستسيغه الذوق في العصر الذي نعيش فيه ، لأنه عصر المساواة .

١٣ ــ وهذه حادثة قصها السباعي في (ص ٣٣٧ ، ٣٧٨) تحت عنوان (فتنة في جدة في عهد نامق) ملخصها أن أحد أهالي جدة كان له مركبا في البحر وكان يرفع على ساريته علما انجليزيا ثم استغنى عن هذا العلم ورفع علماً عثمانياً وهو علم حكومته التي يتمثل فيها عز الاسلام ومجده فاندفع القنصل الانجليزي إلى المركب وأنزل العلم العثماني وأهانه وأعاد العلم الانجليزي فثار الناس على هذا التصرف وذهبوا إلى القنصل وقتلوه في ثورتهم ، وتشكلت لجنة لفحص

هذا الحادث وحكمت باعدام أربعة عشر شخصاً ، ونفى عدة أشخاص من البلاد . هذا ملخص القصة ولا مأخذ لنا على السباعي في سردها ،وإنما هي قصة مأساة دامية لما وصلت إليه حالة المسلمين . إن هؤلاء إن ثاروا فما ثاروا إلا دفاعاً عن الدولة التي يدينون لها وكبر عليهم أن يهان علمها الذي يظلل المسلمين في مشارق الأرض ومغاربها ، والذي أثار النفوس إنماهو القنصل الانجليزي بتصرفه الأرعن ومخالفته للأصول الدبلوماسية المرعية في السلك السياسي ، فتأتي الدولة التي ثار الناس لأجلها وتحكم على المدافعين عن علمها بالاعدام والنفي ، ألا يرى القاريء أن هؤلاء شهداء قتلوا ظلماً وعدواناً ، وذهبوا ضحية المجاملات السياسية . أستغفر الله بل ذهبوا ضحية الضعف الذي أصاب المسلمين وجعلهم يخشون الناس أكثر خشية من الله ؛ إنهامأساة ، ورحم الله الشهداء وفي سبيل الله ما يلقى الأحرار ، وسوف لا يفلت الظالمون من العقاب الأليم جزاء استهتارهم بأرواح الأبرياء ودمائهم ، وتقديم الغيورين — ترضية — إلى مذبح الضعف والخور ، وأنها وايم الله لوصمة في صفحة الدولة العثمانية وجريمة ارتكبتها في حق جيران بيت الله لإرضاء الانجليز . وما كان للدولة العثمانية أن تنهار ذلك الانهيار المشين إلا لارتكابها مثل هذا الجرم الشنيع وأمثاله في هذه البلاد وفي غيرها من بلاد المسلمين ، ولله عاقبة الأمور .

١٤ — وقال السباعي في (ص٣٩٣) «في سنة ١٣١٨ قسم عون طوافة بلاد مصر وجاوة والهند والغرب وبلاد الأناضول وغيرها أقساماً » — يقصد تقارير — والصحيح أن تقسيم بلاد الأناضول وبعض بلاد التركستان وبعض بلاد الهند كان سابقاً لزمن الشريف عون ، وقد تبع عون في تقاريره التي أصدرها سنن من قبله من الأشراف — كما تدل على ذلك بعض التقارير القديمة — والعجيب أن كثيراً أوقل إن كل تقارير الشريف عون قد أبطلت أو بلغة المطوفين قد أصبحت مشاعة ، بينما تقارير من قبله باقية على حالها ، ويؤسفنا أن نقول : إن الحكومة اتبعت سنن الأشراف في هذه المسألة ، وحبذا لو وفقها الله لإلغاء التقارير ، لأنها من مخلفات العصور المظلمة ، وقد أصبحت نفوس الحجاج لا تتحمل ذلك ، كما أن نظام التقارير نظام يجحف بحقوق مطوفي السؤال إذ أن أهل التقارير يشاركون مطوفي السؤال في البلاد المشاعة ، ويقيمون العقبات والعراقيل في سبيل من يضرب في الآفاق من مطوفي السؤال لطلب الرزق ، حتى إذا ما وفق أحدهم ونجحت دعايته وسأل عنه بعض حجاج التقارير يقاضيه صاحب التقرير ويأخذ منه المصلحة بينما يكون لدى صاحب التقرير من الحجاج عدد وافر ، يجعله في غير حاجة إلى من ذهبوا لصاحب السؤال، وقد يكون صاحب السؤال لا يملك إلا هذه المصلحة لتقويم أوده وأود عياله ، فيأخذها منه ويتركه ليد الجوع والحرمان بقوة النظام .

إن بقاء التقارير يتنافى مع ما تجب أن تكون عليه العدالة في بلادنا، وهي وصمة خلفتها لنا أجيال الظلام والفوضى . وقد آن الأوان لأبطالها ، فحبذا لو يتنبه ولاة الأمور لذلك ويمسحوا عن جبين بلادنا هذه اللطخة السوداء .

١٥ — يقول السباعي في (ص ٤١٣) عند ذكر المدرسة الصولتيه: «إن الشيخ محمد سليم ابن الشيخ رحمة الله». والذي أعرفه أن الشيخ محمد سليم ابن الشيخ محمد سعيد ، والشيخ محمد سعيد رحمه الله وبرد مضجعه ابن بنت الشيخ رحمة الله . رحم الله الجميع وأسبغ عليهما من شآبيب الرحمة والرضوان ما يستحقانه كفاء ما قدموا لهذا البلد الطيب من خدمات خالدة مشكورة ، ومد الله في عمر الشيخ سليم مدير المدرسة الصولتية الحالي وجعله خير خلف لخير سلف وأجرى على يديه من الخير لخدمة حرم الله ما أجرى من الخير على أيدي أسلافه العظام الذين أنشأوا أول مدرسة نظامية في مكة المكرمة ، وزودوا الدوائر الحكومية في الحجاز وفي الشرق الأقصى بالعلماء والفقهاء والقضاة والمعلمين ، وما زالت مدرستهم قائمة تشيع النور منذ تسعين سنة معتمدة على الله وعلى جهود القائمين بها والمنفقين عليها ابتغاء وجه الله وبعث النور لهداية السالكين .

هذا ما عن لي أن أتحدث به تعليقاً على هذا الكتاب الفذ في نوعه كتاب (تاريخ مكة) وعسى أن لا

بضيق الأستاذ الصديق أحمد سباعي بهذه المآخذ ، فقد جرني أسلوبه الممتع الشائق ، وشجون حديثه عن تاريخ بلادنا لمناقشته ، وإني أشكره حيث أتاح لي بكتابة كتابه هذه التعليقات وإنني أغبطه على ما قدم من جهد يستحق به الخلود ، ويغتصب به الاعجاب من القارئين المخلصين الذين يقوّمون الأشياء بقيمتها الصحيحة ، ولا يبخسون الناس أشياءهم . والله لا يضيع أجر المحسنين .

★ هذه وجهة نظر المؤلف ، والثابت من الاسلام أن حجاب الوجه واجب، وليس هنا مجال تحقيق المسألة ، ومن ناحية الحس والعقل فالوجه سفير الفتنة ، بل هو الجانب الساحر المثير في المرأة .

(أبو عبد الرحمن بن عقيل الظاهري)

مسرحيـــات

الأستاذ عبد الله عبد الجبار

إن القصة والمسرحية بالمعنى المفهوم حديثاً ، دخيلتان على الأدب العربي ، وناشئتان فيه ، ولما تبلغا حد الكمال كما بلغتاه ، في الأدب الغربي ، ولكن بعض النابغين من أدباء العروبة قد قاربا حد الكمال ، فيما أخرجوه من قصص ومسرحيات ، وسوف لا يمضي طويل وقت حتى تقف القصة العربية والمسرحية العربية في صف القصة والمسرحية الغربيتين . ذلك لأن عشاق هذين اللونين من أدباء العرب الموهوبين جادون في الوصول بهما إلى تلك الغاية ، وكل من سار على الدرب وصل . والقصة والمسرحية العربيتان ولو أنهما لما تبلغا حد الكمال ، إلا أنهما قد أثرتا تأثيراً بيناً في مجتمعنا بالنظر إلى ما يعالجانه من مشكلات أدبية ونفسية واجتماعية ، فقد لمست بعض القصص والمسرحيات مواضع حساسة في مجتمعاتنا مما جعل الشعور يستيقظ ويحس بما يعوزنا من أدوات الاصلاح ، ووعي الجماهير تفتح للمطالبة بما له من حقوق ، ولو كانت الأقلام التي تدار لكتابة القصص الجنسي الثائر والذي يتملق الغرائز في الشباب على

حساب الأدب ، أديرت في شد أزر الكتاب الذين يكتبون ليرتفعوا بأدبنا العربي ، ويصلوا به إلى أداء رسالته كاملة غير منقوصة ، لسارع أدبنا في خطوه إلى ما يريد ولكنهم مع الأسف الشديد ضاعفوا بكتابتهم العقبات التي يجب أن يجتازها الأدب العربي الصحيح حتى يصل إلى هدفه المنشود. نعم أن هناك مآسي ومشاكل جنسية يجب أن تعالج بأسلوب القصة ، ولكن ليس بالطريقة التي تفرضها دور الصحف التي لا يهمها إلا ترويج صحفها ولو بدغدغة الغرائز الجنسية في جمهور القراء .

* * *

وعلى كل فان الأدب العربي سائر في طريقه إلى بلوغ القمة في جميع الألوان الأدبية الحديثة وسينقّى منه الخبث . والنهضة الأدبية شملت الآن جميع أقطار العرب . وتتفاوت درجة هذه النهضة بقدر تفاوت المجتمعات العربية في اليقظة، وبقدر تفاوتها في العلم والمعرفة ، وبقدر تفاوتها في الجمود والتطور ، ولكن الشيء الذي لا شك فيه ، هو أن اليقظة ستهزم النوم ، والعلم سيهزم الجهل ، والتطور سيهزم الجمود والتعصب ، ويتوقف ذلك على مبلغ ما في المجتمعات العربية المختلفة من عناصر العزيمة والاستعداد للسير في مواكب الأحياء .

ومما لا شك فيه أيضاً أن بلادنا متأخرة جداً في أدب القصة وهي لم تحاول أن تسهم في أدب المسرحية محاولة جدية ، حتى جاء الأستاذ عبد الله عبد الجبار ، وقد عرفت البيئات الأدبية في العالم العربي الأستاذ عبد الله عبد الجبار معرفة يكللها الإكبار والإعجاب ، ويوشيها الحب والاحترام . يقول عنه الأستاذ محمد ناجي رئيس رابطة الأدب الحديث : « هو كاتب وأديب متميز السمات والملامح واضح الشخصية في أدبه قوي الشعور بعزة الأدب ، وكرامة الأديب في الحياة [1] » .

ويقول الأستاذ محمد عبد المنعم خفاجة : « والأستاذ عبدالله عبد الجبار من كتابنا المؤمنين بالتطور ، ويوجوب مسايرة المجتمع والناس لأفكار الحضارة ، وبالواقعية الحلوة في الأدب . وهو يبشر بمثالية جديدة في مسرحياته الجميلة »[2] .

ولو أردت أن أنقل انطباعات الأدباء والمفكرين التي تركتها شخصية الأستاذ عبد الله عبد الجبار في نفوسهم وأذهانهم لأطلت كثيراً . أما بلادنا فعرفته مربياً فاضلا ، وأديباً ممتازاً ، وعالماً مخلصاً ، ومفكراً حراً . ذلك هو عبد الله عبد الجبار .

---

(١) راجع مقدمة الشياطين الخرس (ص ٥) .

(٢) راجع المقدمة الثانية للشياطين الخرس (ص ٢٤) .

لقد قرأت للأستاذ عبد الله عبد الجبار كثيراً من نتاجه الأدبي في صورة مقالة ، وفي صورة بحوث علمية مختلفة ، وفي مقطوعات شعرية لما تنشر بعد . وهو يسلك فيها مسلك المدارس الجديدة في الشعر ، وأخيراً قرأت له قصته الأولى (أمي) وهي مأساة ما قرأها أحد إلا ذرف الدمع من التأثر . وإن كاتباً يستطيع أن يذرف دموع قرائه لكاتب قدير ممتاز .

وقد قال الأستاذ محمد علي الحوماني الشاعر العربي الجهير ما معناه : « لم يبكني فيما قرأت من قصص بالعربية سوى ثلاث روايات ، مجدولين ترجمة المنفلوطي ، وآلام فورتر ترجمة الزيات ، وأمي تأليف عبد الله عبد الجبار » .

ثم قرأت له قصته الثانية (العم سحتوت) التي يعالج بها البخل والكزازة في بعض النفوس الآدمية القذرة ، تلك النفوس التي لا تستشعر الرحمة ؟ ولا تحس بآلام الآخرين ، وتمتص المجتمعات التي تعيش فيها ، كما تمتص الدمامل الدماء النقية في الجسم ، وتحيلها إلى عفن وسموم غير حافلة بشيء سوى جمع المال ، والمال فقط . ولكن الأستاذ عبد الله يرينا نهاية أمثال هؤلاء ويرينا مصيرهم السيء الذي يتردون فيه ، وكيف تحل بهم اللعنة التي يستحقونها لتتجسم العبرة في أعين الذين لا يعتبرون ، وإن كنت آخذ على الأستاذ

عبد الله شيئاً في هذه القصة فإني أؤاخذه على أنه لم يرنا مصير الذين يقيمون العقوبة بإسم العدالة على البائسين ، ولم يعرفوا من العدالة روحها . فإنهم في نظري هم الذين يمكنون لهذه الدمامل الانتشار حتى تقضي على كيان المجتمع الذين يعيشون فيه ، وهؤلاء لا يقلون جناية على المجتمع من البُغضاء أمثال (العم سحتوت) .

ثم إن الأستاذ عبد الله من الأدباء الغير على سمعة بلادنا الأدبية ، وهو يعمل جاهداً بعزيمة وإيمان المؤمن بوطنه ، الواثق بالروح الحجازي الوثاب فعز عليه أن لا يكون لادبنا أسهام في اللون المسرحي الذي يلامس الحياة في الصميم . وقد تأثرت نفسه تأثراً عميقاً لهذا التخلف المزري ، فاندفع تحت تأثير هذا المؤثر القوي الفعال ، وأدار قلمه للكتابة ، وأخرج لنا مسرحيته الشياطين الخرس في جرأة وحماسة لم يكن ليقدم عليهما إلا من كان من أمثال الأستاذ عبد الله المعتد بكرامة القلم ، وبما يجب أن يسطره القلم ليكون جديراً ومعنياً بالقسم الإلهي المقدس في قوله تعالى (ن . والقلم وما يسطرون) .

إنها جرأة نكبر الأستاذ عبد الله عليها ونهنئه بها، وقد تأثر الأستاذ محمد حسن عواد بهذه الجرأة بعد قراءته المسرحية وانفعل انفعالا شديداً ، وطلب أن يقدم هذه المسرحية ، ولم يمانع الأستاذ عبد الله ــ طبعاً ــ في ذلك .

وهكذا هو الأدب الحي سرعان ما تتفاعل به النفوس ، وسرعان ما تنضم لبعض في إيمان وأمانة لحمل رسالة الأدب الصحيح ، ولا يلبث المجتمع أن يتفاعل مع الأدباء وينفعل بأدبهم .

لقد عالج الأستاذ عبد الله في مسرحيته مهزلة الرجعية والتعصب والملق والرياء والضعف ، والخور ، والتفاهة والهزال التي تمثل في مسرح من مسارح الحياة العربية . وأرانا كيف تطغى كتل الظلام على الأضواء المتلألئة حتى تهزمها ، ومن هنا نعرف معنى كلمة الاهداء التي صدر بها الأستاذ عبد الله مسرحيته هذه إذ يقول « إلى الذين يعشيهم الضياء.ولا يطيقون إلا العيش في الظلام أهدي هذه المسرحية »

ومن الغريب أننا نرى هذه المهزلة تمثل على المسرح كل يوم ولا يسأم منها الناس ولا يملونها ولا يطلبون تجديدها بمسرحية أخرى ، فمتى تتضافر عندنا الأضواء حتى تقضي على الظلام وخفافيشه ؟ .

وأخيراً إن الحق والانصاف يقتضياننا أن نصفق له تصفيقاً حاداً اظهاراً لشعورنا نحوه ، ولا يملك النقد الأدبي في (المرصاد) إلا أن يعتده رائداً جريئاً موفقاً ، ويستحثه على مواصلة كتابة المسرحيات الحقة ، فانه — إلى الآن — أقدر كتابنا على معالجة هذا اللون المسرحي الجريء وهو خليق بحمل هذا العبء الثقيل الذي يعمل له المخلصون جادين

ليصلوا به إلى المكانة الجديرة به بين آداب الأمم الحية السائرة على الطريق القويم .

صدقني أيها القاريء إني تلمست نقاط الضعف في المسرحية لأنقدها . . تلمستها في عنصر الفكاهة فوجدته أبرز ما فيها ، وأخيرا وجدتها . أتدري أيها القاريء فيم وجدتها ؟ وجدتها في (الرز الياباني) ولم أعرف أنا ولا أنت ولا هم في بلادنا (رزا يابانيا) ولا أدري من أين أتى بها الأستاذ عبد الله ؟ اللهم إلا إن أراد به (الزر بيان) والزر بيان أكلة هندية . تعودها الحجازيون في حفلات العرس ، ولعل (الزربيان) قد صحفت إلى يابان – والذي صحفها صفاف الحروف ولم يتنبه لها الأستاذ عبد الله عند تصحيح البروفة .

ووجدتها أيضاً في السمة التي وسم بها الأستاذ عبد الله (ميمونا) وهي عدم نطقه بغير كلمة موافقون . موافقون . وإذا بهذه السمة تزايله عندما يقدم له الشاي فيقول (ليمَ لم تعطره بالنعناع يا ولد) فهو هنا يترك كلمته المرددة المكرورة وما كان للأستاذ عبد الله أن يفعل ذلك في رجل لم ينطقه بغير كلمة (موافقون موافقون) من أول المسرحية إلى آخرها أما أن عنصر المرأة مفقود من المسرحية ، فذلك لأن طبيعة هذه القصة تقتضي ذلك .

هذه المآخذ لا تعد شيئاً بالنسبة إلى المسرحية ولكني أحببت

أن أذكرها ، لأضعها أمام الأستاذ عبد الله عبد الجبار ليرى رأيه فيها .

ولعل الأصداءالتي تجاوبت بها النفوس من مسرحيته هذه تكون حافزاً له على كتابة مسرحية أقوى فما أكثر المواد الصالحة للمسرحيات في بلادنا .

ما وراء الآيات

وهذا شاب نابغ من شبان مكة المكرمة هو الأستاذ أحمد محمد جمال يخرج لنا كتابه (ما وراء الآيات) وهو ينحو فيه نحواً جديداً . فيحدثنا عن القرآن وما جاء فيه من قصص كريم ، وما في آيات القرآن البينات من تعليم وتأديب وأخذٍ بيد الآنسانية إلى مدارج الكمال ، الذي تهفو إليه القلوب الإنسانية الكريمة . المتطلعة إلى حياة فاضلة وعيشة منزهة من الغبن والإجحاف .

لقد شيب الاسلام دين النور ، والحق ، والجمال ، دين النزاهة ، والنبل ،والفضيلة . هذا الدين الكريم ، الذي أخرج ملايين البشر من الظلمات إلى النور ، وحط عن ملايين من العبيد نير الطواغيت والإصنام وجعل المدينة المنورة عاصمة للدولة الفاضلة ، التي حققت — بهدْيه — أحلام الإنسانية ومثلها الرفيعة . هذا الدين الذي سطع بنوره الوهاج وبشمسه الضاحية على دنيا الناس . شيب — مع الأسف الشديد — بكثير من الكدورة . ورانت على سمائه الفسيحة الصافية غيوم الأطماع والشهوات ، وظلمة الظلم والطغيان ، وتضافرت

قوى أعدائه التقليديين من وثنيين ويهود ونصارى وقوى الشر من أبنائه الذين يدينون به ويعتقدونه ، ويتصدرون بين الناس بدعوى حمايته ، ويرتكبون ما يرتكبون من المآثم والحماقات باسمه وتحت ستاره . ومرت قرون وأجيال والعاقون والمارقون من أبنائه يضربون بمعاول الهدم في صرحه الشامخ المشمخر ، ولكن الصرح الاسلامي أقوى من كل المعاول ، فقد دميت أيدي الهادمين وتحطمت معاول المخربين وبنيانه القوي المتين شامخ يتحدى الأجيال والقرون فراحوا يثيرون حوله الغبار بأقوالهم ، وأفعالهم ، لعلهم يصلون إلى إخفائه عن الأبصار .

ولقد تم لهم بعض ما يشتهون في حقبة طويلة من الزمن فتقلص ظله عن كثير من أركان الدنيا ، وحجبت سدود الأحقاد نسماته الفياضة بالرحمة والنور عن كثير من الناس ، وما كان لأعدائه التقليديين أن يصلوا إلى تحقيق بعض أغراضهم فيه لولا أن من أبنائه مع الأسف الشديد من صوبوا كثيراً من السهام إلى مقاتلة ، فقد تركوه وراء ظهورهم ، وعادوا إلى الجاهلية الأولى حيث القوي يأكل الضعيف والغني يستعبد الفقير ، والحاكم يستبد بالمحكوم . وكم من علماء تأولوا الآيات تأويلا يبرأ منه الدين نزولا على رغبة الحاكمين ، وقد انتكست بذلك مجتمعات المسلمين حتى أصبحت في مؤخرة المجتمعات الانسانية . شاع الفساد ،

وساد الظلم . وعم الجهل والمرض والفقر والقذارة في الأخلاق والمعاملات كل جيل وقبيل ، واضطهدت جموع الأحرار والمخلصين ، وأبعد النجباء والمصلحون ، وتفشت فاشية الحكم بالهوى ، وأقيمت الحدود على الضعفاء وأعفى منها الأقوياء ، ودب وباء الطائفية ففتك بالوحدة والتآخي والمساواة والحـــرية وحكم على الملايين من المسلمين أن يكونوا كالآلة الصماء لا تفكر ، ولا تقول ، ولا تعبر بأي أداة من أدوات التعبير ، ذلك لأن من بعض هذه الأدوات ما ينفخ فيها الشيطان ، ومنها ما يتجسم فيه الكفر الصراح . كما يفترون .

فسكت الناس وذلوا ، وماتت فيهم عناصر الحياة ، فهم أحياء كالأموات ، وانقض الاستعمار على البلاد التي لا تفكر إلا بعقل واحد ، ولا تسير إلا حيثما يراد لها أن تسير وأترعت لنا كؤوس الذل والهوان فشربناها حتى الثمالة .

ولكن الله لا يرضي للإنسانية بالذل السرمدي ، ولا يحب لعباده المؤمنين به أن يعيشوا محبوسين في الأقفاص مكبلين بالأغلال إلى الأبد ، فوجههم إلى كتابه الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، ورفدهم بموجة من الصحو والوعي و اليقظة ، فقبضوا على المصاحف بأيديهم وحدقوا في آياته البينات بأبصارهم ، وأخذو يتلمسون النور والخلاص في هديه وقامت في كل بلد إسلامي فتية آمنوا بربهم فزادهم هدى ،

فنفضوا كثيراً من الغبار الذي أضفاه على الإسلام بعض المغرضين الهدامين الذين (يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبي الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون) . وبعد أن غرقنا بطوفان من الأفكار والفلسفات والنظريات والمذاهب في الاقتصاد وفي الاجتماع تلك المذاهب والأفكار والفلسفات والنظريات التي أغرقت العالم في بحر من الدماء وحكمت عليه بالخوف والخراب ، وجعلته لا ينتهي من حرب إلا ليتهيأ لحرب أخرى أشد فتكا وأعظم تنكيلا .

في هذا الوقت الذي أخذت الظلمات تلاحق بعضها بعضاً حتى كفر الناس بالخير والصلاح وعدوهما أسطورة لا يمكن أن يحققها الانسان في هذه الحلكة الداجية انبعثت أضواء الفجر في كل مجتمع إنساني وقامت جماعات الأحرار والثوار والأبطال تمد الناس بأضواء القرآن المحجوبة عنهم ، وتوجه الأنظار إلى الصرح المتين الشامخ الذي حجبه الغبار ، صرح الاسلام الذي يسع البشرية بظله الوارف بعد أن ذاقت البشرية من نظرياتها وفلسفاتها ومذاهبها وأطماعها وشهواتها ما ذاقت من صنوف العذاب ، وتلك هي الأضواء الوهاجة المتلألئة بأنوار الهدى الإسلامي المبين من الكتب والرسائل والمحاضرات والأحاديث التي تشرح ما في القرآن من نظم وآداب وما في آياته من عدل وعدالة وإخاء وسماحة ونظرة إنسانية رحيمة إلى البشرية أجمع لا فرق بين لون

ولون ودين ودين ، وعقيدة وعقيدة ، فالناس أمام الإسلام سواء ، والناس في ظل الاسلام أحرار ، والناس كل في نظر الاسلام متساوون في الحقوق والواجبات ، متساوون في العدل والرحمة ، فلا عنف في الاسلام ، ولا خوف من الإسلام ، ولا جمود ولا تعصب في الاسلام . ولا فرقة ولا طائفية في الاسلام ، ولا طغيان ولا استبداد في الإسلام، ولا حجر على العقول والأفكار في الاسلام ، ولا حرمان ولاجوع ولا فقر في الاسلام ، ولا عبادة لصنم في الاسلام ، وليس في الإسلام شعوب تورث ، ولا أموال تكنز ولا مرافق تحتكر ، ولا يقف الاسلام حجر عثرة في سبيل التطور الانساني . ذلك هو الإسلام وكل ما يخالف ذلك فالإسلام منه براء . ولا يكتفي الاسلام بالبراءة من المظالم والمغارم والمفاسد والشرور والظلم والطغيان والقيود والأغلال، وإنما يحاربها أو يعودَ أصحابها إلى سواء السبيل . ذلك هو الاسلام .

ولست بسبيل ذكر المؤلفات القيمة التي صدرت في البلاد الاسلامية لإزالة الغيوم عن أضواء الاسلام الوهاجة ، وإنما أنا بسبيل البيان عن كتاب يتيم صدر في مجتمعنا ، حيث بزغت من أكنافه أنوار الاسلام الأولى يقدمه للعالم الاسلامي شاب من شباب مكة النابغين الغيورين على دينهم الذابين عن إسلامهم،الواعين الفاهمين للآيات البينات . ذلك هو كتاب (ما وراء الآيات) للأستاذ أحمد محمد جمال .

وأول قصة في هذا الكتاب . تبرئة القرآن الكريم لأحد اليهود ومنها نعلم مبلغ حرص الاسلام على تحري العدل والحرص على إقامته في الحقوق والأحكام على كل من يعيش في المجتمع الاسلامي ويستظل براية القرآن، وإن كانت عداوة اليهود للإسلام أكبر عداوة قوبل بها الاسلام في كل أدواره التاريخية . هذا هو الاسلام في عهد رسول الاسلام . وفيه درس بليغ للذين يتعجلون الحكم على المتهمين ويتعجلون تنفيذ الأحكام بمجرد قيام القرائن ضده ، فهذا اليهودي اتهم بالسرقة ، وكل القرائن قامت ضده ووجد المسروق السرقة في دار هذا اليهودي ، فحكم عليه ، ولكن الله لا يحب أن يظلم أحد ولو كان هذا الأحد يهودياً باسم الاسلام ، فالاسلام دين الحق والعدل . فأنزل الله قرآنا على نبيه تبرئة لليهودي . راجع (ص ١١ إلى ص ١٥) وتبين السارق الحقيقي الذي يستحق العقاب ، وأفلت المتهم البريء .

والقصة الثانية: قصة نزول الآية الكريمة (إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطّع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض ذلك لهم خزي في الدنيا ولهم في الآخرة عذاب عظيم) وهذه القصة ترينا لِمَ نزلت الآية ؟ ومتى تطبّق وعلى من تطبّق . لا أن تتخذ هذه الآية سنداً لكل قوي ظالم يطبقها كيف أراد ، وعلى من أراد ، ومتى أراد . وتطبيق

هذه الآية على من يستحقها والحكم عليه بها في أي زمان وفي أي مكان ، لا تنكره القوانين التي تحرص على سلامة المجتمعات الإنسانية من شيوع الاجرام وتمادي المجرمين في إجرامهم ، ولكن اندفاع بعض ذوي الهوى وراء أهوائهم وما تسوله نفوسهم وتطبيق بعض الآيات القرآنية الزاجرة على من لا يستحقها غلوا في الجبروت وعتواً عن أمر الله هو الذي جعل للإسلام تلك الصورة البغيضة الشوهاء في في أذهان الجاهلين بالإسلام ، وهو الذي أغرى أعداء الاسلام على بث الدعاية السيئة للاسلام ، ولولا جهل بعض المسلمين وطغيانهم ما لصقت بالاسلام فظائعهم ووحشيتهم ، فهل للمسلمين أن يحسنوا إلى الاسلام بالاحسان إلى أنفسهم فلا يدعوها تتخذ منه ستاراً تستر به ما ترتكبه من فظائع وآثام ؟؟

وفي (ص ١٥٦ إلى ص ١٦١) « وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا ، وَلَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ، ذَلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصِ الْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ . سَاءَ مَثَلاً الْقَوْمُ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنْفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ . مَنْ يَهْدِ اللهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِي ،

وَمَنْ يُضْلِلْ فَأُولَئِكَ هُمُ الخَاسِرُونَ » .

ويقول الأستاذ أحمد في (ص ١٥٦) في آخر ما قص علينا مما وراء هذه الآيات البينات : « إن هذه الآيات البينات صورة لكل منسلخ من آيات الله ضل بعد اهتداء ، أو جهل بعد علم أو سفه بعد عقل ، وهم مع الأسف الآسف في زماننا كثيرون » وصدق الأستاذ أحمد فيما قال . فما أكثر ما تقع أعيننا على كثيرين ممن انسلخوا بأعمالهم وما تجترحه أيديهم عن دين الله ، ولم يبق فيهم سوى الأقوال المفتراة ، والادعاء العريض بأنهم إنما يعملون ما يعملون ، وهم على دين الله ! .

ومأخذ صغير نأخذه على الأستاذ بَدَرَ من قوله اندفاعاً وراء التعبيرات الحديثة الشائقة « أو أن بلعم بن باعوراء دون أمية بن أبي الصلت هو بطل هذه القصة أو أن أمية دون بلعم هو البطل » فتلقيب من انسلخ عن دين الله بالبطل فيه تجني على الكلمة وما تشتمل عليه من معنى وضعت للتعبير عنه ، فإن الذي ينهار أمام ملك يهدده بالصلب والقتل ويسير في ركابه ، ويختار الانسلاخ عن دين الله على الانسلاخ من هذه الحياة الثانية لا يكون بطلا ، وإنما البطولة من صفات الذين لا ينسلخون عن دين الله ولو نشرت عظامهم بالمناشير .

وإني إذ آخذ عليه هذا التعبير من إضفاء البطولة على غير مستحقها أعلم أنه لم يرد إضفاء بطولة على بلعم ولا على أمية وأمثالهما ، ولكنه التعبير الحديث وشيوعه ، وكلمة (قصة) هي التي ساقته لأن يقول (بطل) ولكن الأستاذ أحمد هنا في كتابه هذا يحدثنا عن ما وراء آيـــات الله البينات من حكم ومواعظ ، وما في القرآن من إشراق وإحكام ودقة في التعبـــير يقضي على الكاتب أن يتحرى الـــدقة ويضـــع الكلمات في مـــواضعها وبمفهومها الصحيح الذي وضعت من أجله تعبيراً وإفصاحاً عنه .

* * *

وكتاب (ما وراء الآيات) مملوء بالقصص القرآني الشائق الممتع وفي هذا القصص الشائق الممتع نور وهداية لمن حبب الله إليه الإسلام وأشربت روحه بروح القرآن القوية العالية ، ولقد أفصح الأستاذ أحمد عما وراء هذه الآيات إفصاحاً قوياً بليغاً استمد قوته وبلاغته من قوة القرآن وبلاغته .

وإني أكبر الأستـــاذ على مجهوده في سبيل الله والإفصاح عن إيمانه وما تنطوي عليه جوانحه من حب للقرآن وإيمان به ودعوة له .

كما أني أشكره إذ هيــأ لي بكتابه هذا فرصة تغذيةمشاعرى

وذهني بعبر القرآن وما وراء آياته الكريمة . أكثر الله في شبابنا من أمثالك يا أحمد ، ووفقنا وإياك لاتباع القرآن الكريم والاهتداء بهديه وإن من أجمل ما أختم به حديثي عن هذا الكتاب في (مرصادي) أن أبتهل إلى الله جلت قدرته، وتعالت أسماؤه أن يملأ قلوبنا بأنوار القرآن ، وأن يجعله حجة لنا ، لا حجة علينا ، وأن يكثر في البلد الذي انبثق منه نور الإسلام شباباً من أمثال الأستاذ أحمد جمال يتخذ من القرآن إماماً وهادياً .

•

٤٦ يوما في المستشفى

إن الأستاذ محمد عمر توفيق يحمل إحساساً مرهفاً ، أرهف من أوتار الآلات الموسيقية ، كما يحمل قلباً رقيقاً أرق بكثير من قبلات المنافقين على أيدي المتنطعين .

ولكنه لم يترك لرقة قلبه ، ورهافـــة حسه أن تتنفس التنفس الذي ينقيها ويزيدها قوة ورنينا ، إلا في المستشفى الذي عولج فيه في بيروت .

وحينما تركها تتنفس . أرانا رفرفة الانطلاق في التعبير ، وقوة الأداء ، وحسن العرض، ودقة الملاحظة .

وكنا نود من الأستاذ عمر أن يترك لرئتيه حرية التنفس ، واستنشاق الهواء الطلق ، ليحدثنا كثيراً بقلمه السيال الممتع . نحن في حاجة إلى مثل هذا القلم الذي تحركه أنامل عمر توفيق . كما أننا في حاجة إلى أن يحدثنا عما يشعر به من آلام الآخرين ، ويصور لنا بريشته الرشيقة كل شيء يقع تحت نظره ويلامس شعوره بمثل الصورة التي حدثنا بها عما يزخر به مستشفى بيروت .

الحقيقة أنني شعرت وأنا أقرأ كتاب (٤٦ يوماً في المستشفى) بأنني كنت أشارك الأستاذ عمر إقامته في المستشفى لشدة الأسر الذي وجدته في كتابه ، فهو يسرد ألمه وفرحه ، وانقباضه وسأمه ، وكل حركة من الحركات التي كان يتأثر بها وينفعل لها ، وأكبرت ذاكرة الكاتب التي وعت كل شيء وأملته ، وكأنها تنقل من صفحة مكشوفة أمامها .

إني أهنيء الأستاذ عمر بجبر كسوره ، واندمال جروحه ، كما أهنئه بباكورة مؤلفاته : (٤٦ يوماً في المستشفى) .

وأرجو أن أراك يا عزيزي عمر في مؤلف آخر لا تستغرق قراءته مني ساعة فقط ، بل تستغرق ساعات كثيرة ، ولا يقتصر تنقلي معك في غرف مستشفى بيروت وردهاته ، والطائرة التي حملتك إليها ، ومستشفى الزاهر وما نالك فيه ونال غيرك من إهمال وعدم عناية ، ولكن أحب أن أنتقل معك في أجواء أفسح ، وردهات أرحب ولا أحب أن يقتصر شعورك بآلام الآخرين على من في المستشفى فقط ، ولكن أحب لشعورك الإنساني بآلام الآخرين أن يمتد ، ويمتد ، حتى يسع أكبر كمية من آلام الآخرين في كل مكان لتكون إنسانيتك محلقة في أبعد أمدائها ، وأعلا أجوائها ، فإنك خليق بذلك ، ومثلك خليق بتحية موكب النقد في (المرصاد) .

كيف كنا ؟

هذا السؤال عنوان لكتاب أصدره أخيراً الأستاذ عبد الله خطيب ، وقد قدمه الأستاذ عبد الله عبد الجبار بمقدمة شائقة ممتعة ، يرينا فيها جوانب من سجايا الخطيب ، التي تنبعث من مزاجه ، كما يتحدث فيها عن نقاد الأدب الشعبي . وعبد الله عبد الجبار حينما يتحدث ، فإنما يتحدث بكل ما هو قيم ومفيد . بقى عبد الله خطيب فلنره في كتابه هذا . كيف يبدو لنا ؟ .

أنه يبدو متحدثا على سجيته ليستعيد أيام طفولته ، وماضي حياته ، ويحدثنا في غير ما تكلف أو تصنع ، ويسترسل في حديثه متنقلا فيه فيعرض علينا ما رأى ، وما عمل ، وما كان عليه المجتمع في حقبة من حياته بمكة ، وعن الشخصيات المهمة ، وعن عفرتة الأطفال ، وعن الكتّاب الذي كان يتعلم فيه ، دون أن يحاول ربط الحديث ببعضه ، ودون أن يقيد نفسه بقيود الكتابة الأدبية ، في سلسلة الأحاديث سلسلة متجانسة ، ولكن القاريء مع ذلك لا يضيق بالقراءة ، ولا يتبرم بالكتاب ، وإنما هو يمضي فيه مستمتعاً بالحديث

المرسل ، متشوقاً لما سيأتي بعده منتظراً مفاجأة مضحكة أو غير مضحكة يفاجئه بها المؤلف بعد كل سطر ، وبعد كل صفحة . حتى إذا ما أتم الكتاب ود لو أن الكتاب أكبر مما هو عليه. وأحب لو أن الحديث استمر أكثر من ذلك . ثم إذا فرغ قاريء الكتاب من الكتاب استولت عليه حالة من التساؤل : أحقاً كذا كنا ؟ هل كانت الحياة بالأمس أفضل من الحياة اليوم ؟ وماذا يحدث لو أننا بقينا بتلك الحالة اليوم ؟ .

وماذا حدث حينما تغيرت الحياة وتبدلت حتى صارت كما هي الآن ؟ لقد حدث شيء كثير يحس به كل إنسان ، ولكن هل رضي به إحساس الإنسان ؟ .

إن الحياة الآن لا ترضي الاخلاقيين ، ولا ترضي التقليديين ،ولا ترضي الجامدين والمتعصبين، وكذلك لا ترضي المستنيرين ، ولا المتطورين . لأنه تطور غير سليم . إننا نحيا حياة غير طبيعية الآن ولكن من يرضى بأن تدور عجلة الزمن دورة مقلوبة لتعيدنا إلى ما كنا عليه ؟ .

يوقعك الأستاذ الخطيب في خضم من هذه الأسئلة وأمثالها بكتابه قصد إلى ذلك أم لم يقصد ، ثم لا يجيب على سؤال واحد منها ، بل يدع القاريء يجيب عليها بما يتفق مع تفكيره ، ومدى ما يطمح إليه .

وإذا نظرنا إلى إهداء الكتاب نجده يهديه إلى الذين لم يجرفهم التيار . ولم يسلكوا كل الطرق التي تؤدي إلى (روما) .

وفي ذلك بلاغ . . .

الزنابق الحمر

لتاغور : ترجمة الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار

هذه المسرحية كتبها الشاعر العالمي تاغور ، وكلنا يعرف من هو تاغور شاعر الهند الأكبر ، فأنا لا أريد أن أتحدث عنه وعن فنه الرفيع ، والرفيع جداً ، ولكن هذه الدرة الفريدة الرائعــة (الزنابق الحمر) ما كنا لنستمتع بها لولا أن قام بترجمتها لنا الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار ، وترجمة هذه المسرحية ليست من السهولة بحيث يترجمها كل إنسان ، فهي في الذروة من الآداب العالمية ، وقد يتقدم مترجم عربي لترجمتها ، ولكنا نشك كثيراً في أنه يستطيع أن ينقلنا إلى الجو الشاعري الرحيب الممتليء بالروعة والسحر ، كما كتبها تاغور بلغته البنغالية .

لقد ترجم لنا كثير من الأدباء روائع من الأدب العالمي شرقيه وغربيه . ولكن القليلين الذين استطاعوا أن ينقلونا بترجمتهم إلى الأجــواء الساحرة الأخــاذة التي رسمتها ريشة الكاتب في لغته الأصلية .

لقد قرأت (آلام فرتر) ترجمة الأستاذ الزيات ، وقرأت

(ماجدولين) ترجمة المرحوم الأستاذ المنفلوطي فتأثرت تأثراً بالغاً حتى لكأني قرأتهما في لغتهما الأصلية ، ذلك لا لتمكن الأديبين الكبيرين من اللغة المترجمة إلى اللغة المترجم إليها فقط ،ولكن لتذوقهما الأدبي الرفيع ولتغلغلهما في الأجواء التي جاست خلالها ريشة الكاتب بلغته الأصلية .

وأخيراً قرأت الزنابق الحمر ، ولقد أحسست وأنا أقرؤها بأني أقرأ تاغور نفسه في لغتـه البنغالية لأن المترجم استطاع أن ينقلني إلى عالم جديد لا عهد لي به ، عالم كله روعة وكله فتنة وكله سحر وجمال ، ولولا أن الأستاذ أحمد عطار ملم باللغة البنغالية ومتمكناً منها ومن أسرارها تمكنه وإلمامه من اللغـة العربية ، ولولا أنه أديب أصيـل يتذوق الأدب الرفيع ويضع لمعانيه القوالب الملائمة من الألفاظ والعبارات ، ما كان ليصل إلى هذه البراعة في ترجمته للزنابق الحمر ، ويحق لنا أن نفخر بأديبنا الحجازي الكبير الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار ، ونحن إذ نفخر به لا نزيد في مكانته ، ولكنا نزيد في مكانتنا ومكانة أدبنا ،لأننا بتقويمنا الأشياء بقيمتها الصحيحة نسلك مسالك أهل العلم والعرفان ، ونخرج من معرة الذين لا يفرقون بين الخرز الرخيص والجواهر الكريمة .

إننا في حاجة إلى تطعيم أدبنا الحديث بروائع الآداب العالمية ، ولكننا أحوج ما نكون — قبل ذلك — إلى أمثال

الأستاذ أحمد العطار في تذوقه للأدب ، وأصالته في الفن وتمكنه من اللغة التي يترجم إليـــها واللغة التي يترجمها ليستطيع التغلغل في الأجواء التي تغلغلت فيها ريشة الكاتب في لغته الأصلية ، وحبذا لو أن العطار يواصل ترجمة غرر تاغور الأدبيـــة لنتمكن من التحليق في الأجواء التي يحلق فيها الأديب الانساني الكبير تاغور .

* * *

من الغريب أن تصدر هذه الدرة العالمية الخالدة مترجمة بقلم العطار وهو من أبرز أدبائنا وتحتفي البيئات الأدبية في مصر بها ويقـــدر المترجم على ما بذله من جهد، ويعجب به الأدباء المتذوقون للفنون والآداب ، ولم أجد في بلادنا من يكتب عنها سطراً واحداً في جريدة أو ينوه عنها بكلمة واحـــدة بينما نجد أنهار الصحافة عندنا تمتليء بالكتابة عن غيرها من كتب ومؤلفات بعضها يستحق وبعضها لا يستحق ، فأتساءل أتفهم الأدباء عندنا روائع الأدب العالمي ؟ أم هو جحود يمنى به المتفوقون في بلادنا ؟ أم هو إهمال مقصود ؟ وأيا كان السبب فإن تاريخ الأدب سوف لا يعفينا من سياط اللوم والتأنيب على ما منينا به من جحود إن دل على شيء فإنما يدل على صغار نحسه في نفوسنا ، ونقص نشعر به في أذواقنا ، وسيحاسبنا الناقد الأدبي — إن عاجلا أو آجلا — حساباً عسيراً على ذلك وسوف لا يكون جزاؤنا

أقل من الحكم علينا بأننا لم نبلغ في تذوق الأدب الذروة التي نوهم أنفسنا بأننا بلغناها ، والدعوى الطويلة العريضة التي ندعيها إذا ما ذكر الأدب والأدباء ذلك لأن عـدم التنويه بهذه المسرحية لا ينقص من قيمة مترجمها ، ولكنه ينقص من قيمتنا إذا ما ذكرت القيم والأذواق .

لقد قدم لهذه المسرحية التي ترجمها الأستاذ العطـار القصصي الكبير الأستاذ محمود تيمور فقال متحدثا عنها وعن مترجمها : « فهو — أي العطار — بشاعريته أهل أن يتفطن إلى رقائق (تاغور) الشعرية، وهو بشرقيته تستهويه روحانية ذلك الفيلسوف الشرقي، ومن أحسن فهما ووعيا كان قمينا أن يحسن التعبير والأداء.

لقد اختار المترجم من روائع (تاغور) مسرحية (الزنابق الحمر) وهي طرفة فاخرة يمثل لنا فيها شاعر الهند عبادة الناس للذهب ، فهم أجراؤه يشقون عنه قشرة الأرض ، ويشقَوْن في ذلك ما يشقون، تاركين وجه الطبيعة بما فيها من خلابة وطلاقة واستمتاع . . الخ »

ثم يقول : « حقاً لقد أمتعني صديقي المترجم بما أتاح لي من قراءة هذه الطرفة النفسية قبل أن يقدمها للطبع ، فأنا أول شاكر له ، وسينافسني في هذا الشكر — بلا ريب — كل من تتاح له مطالعه (الزنابق الحمر) » .

هذا ما قاله الأستاذ الكبير محمود تيمور عن الزنابق الحمر ومترجمها ولا يسعني أن أقول إلا الكلمة المشهورة : « لا يعرف الفضل إلا أهل الفضل » .

والآن سأنقل إليك بعض القطع الشعرية — من الزنابق الحمر — لترى صوراً تعبيرية جديدة ابتكرتها ريشة تاغور، ونقلتها إلينا بجوها وسحرها وظلالها ريشة عبد الغفور عطار . فقد جاء على لسان أحد أبطال المسرحية في وصف نفسه وهو يخاطب بطلة المسرحية : « أنا الصحراء أمد يدي إليك وأصرخ : آه ، قدّر عليّ أن أكون متعباً عاريا ، شديد الجفاف ، ولئن أرادت هذه الصحراء أن تطفيء ظمأها الملتهب بامتصاص ريّ الحقول الخصبة حقلا فحقلا فانها لن تفيد إلا أن تتسع رقعتها قليلا ، ولكنها لا تستطيع أن تضيف الحياة إلى نفسها بموت الحشائش والأعشاب » .
فتجيبه بطلة القصة بقولها :

« لم يخطر ببال أحد أنك متبرم متعب إلى هذا الحد».

فيقول : « هنالك في أرض بعيدة أبصرت ذات مرة جبلا متعباً مثلي ، ولم يكن يخطر ببالي أن أحجاره كانت تئن من الأعماق مثل أنيني ، وتشكو شكواي حتى سمعت — ذات مساء — صخباً راعباً مدوياً كعويل مارد جبار ، طاف به حلم شرير ، ذلك أنين الجبل الذي انشق فجأة ، وتناثر

قطعاً ، وفي الصباح ، لم أر الجبل ، فقد اختفى من تثاؤب زلزال . لقد فهمت من ذلك القوى الطاغية الزائدة تحطم نفسها بثقلها أما أنتِ فأراك نقيض هذا الجبل » .

وفي منظر آخر :

تقول بطلة المسرحية لممثل يقوم بدور الأستاذ :

«أتليق مقابلة الكائنات الحية الراقية بكل هذا الضغط. وبفرض العبودية عليها ؟ .

أهذه هي المحافظة على راحتهم التي تزعمون ؟ »

فيجيبها الأستاذ – بمنطق مُؤسْتذيه –

« كائنات حية راقية ؟ ليس هناك مجال لكلمة (راقية) البتة ، كل ما في الأمر (كائنات حية) وهذه الكينونة التي توصف بها تتمدد لدرجة مخيفة . فلهذا (تضغط) هذه الملايين من الكائنات وتساق للخدمة . وإذ لم يصنع بها ذلك، فمن الذي يحافظ على توازنها . هكذا تنتشر (الشبكة) قليلاً ، قليلا . يجب أن يعيشوا كما ترين » .

فتقول : « أيجب عليهم.؟ إذا كان الموت في سبيل الكرامة والرجولة ضرورة لازمة فأي ضرر في الموت » .

فينبري لها ويقول : « وهذا بديع بدون شك . ومع ذلك فالحقيقة ، هي الحقيقة ، إذا كان من دواعي سرورك أن تقولي – مجرد قول – إن الفرد يجب أن يموت ليعيش

هو نفسه . فذلك حسن . قولي هذا بكل ما لديك من قوة ووسائل . لكن أولئك الذين يقولون : إن غيرهم يجب أن يموت ليعيشوا هم أنفسهم فأنهم ـ وحـــدهم ـ الذين يعيشون في الواقع . لعلك تصرخين وتقولين : إن هذا فقر في الانسانية ولكنك تنسين في ثورة انفعالك وسخطك أن هذا نفسه هو ما حدث وإن البشرية قد جبلت عليه. النمر لا يأكل النمر . إنما الانسان ـ وحده ـ هو الذي يسمن من أخيه » .

• • •

ولا أريد أن أطيل عليك أيها القاريء بنقل مناظر شائقة من مناظر المسرحية ، فكل مناظرها شائق وممتع ومثير . اقرأ المسرحية ، لتخرج بثروة عقلية وروحية وفكرية تنقلك إلى عالم جميل وحياة أجمل وأفضل . . . إلى حياة المفكرين المتعمقين في الحقائق .

وإن النقد الأدبي لا يسعه إلا أن يشد على يد الأستاذ العطار تحيةً وتقديراً وإعجاباً لعله يستمر في إتحافنا بخريدة أخرى من خرائد تاغور الجميلة الأخاذة ، والعطار جدير بتحقيق الرجاء .

الملاحق

الملحق الأول: مرصاد المرصاد بقلم عبد الله عبد الجبار

الملحق الثاني: نقد المرصاد بقلم حسن عبدالله القرشي

مرصاد المرصاد

بقـــلم

عبد الله عبد الجبار

تمهيد

آليت على نفسي منذ أصدر صاحب المرصاد مرصاده ، أن أناقشه الحساب عسيراً ، وأن أضع لمرصاده مرصاداً يسجل عليه هزاته في النقد كما سجل هو هزات الأدباء في الأدب ، وأن أقيم الموازين القسط له أو عليه .

كان ذلك غرضى منذ صدر مرصاده الأول ، ولكن مشاكل العمل حالت بيني وبين ما أريد ، واليوم (يخرج) علينا الأستاذ الفلالي بمرصاده الثاني ، ويتيح لي قراءته ، ومناقشته قبل نشره كأنما يريد أن يستثيرني ، ويستفزني ، ويدفعني إلى الكتابة دفعاً رغم أني غارق في خضم من المشاكل والهموم .

وأول ما يحفزك على نقد الفلالي أنه يضع أمامك مبدأ يسير عليه ويدعو الناس إلى اعتناقه ، وهو مبدأ عدم المجاملة في النقد الأدبي . . وسأقول أنا للأستاذ الفلالي ما يقوله هو للأدباء . . . « أصبحنا بعد ثلاثين سنة أصحاب وعي مبصر ، فلا تجوز علينا لعبة الحواة ، والتواءات البهلوان ، ولن تسترق عقولنا ، ولسنا من السذاجة بحيث نحسب البيضة

كتكوتاً ، أو أنف الإنسان قناة يسيل منها الماء، وإذا كانت ألعاب الحواة تسترق الانتباه ساعة من نهار فإن الساعة لن تصعدهم إلى مكان أعلى من مكان الحواة،ولا بأس أن نقول لهم : إنكم حواة بارعون ! » .

فهل لك أن تسير معي –أيها القاريء الكريم– في مرصاد المرصاد لنرى صحة هذه القاعدة ومدى انطباقهاعلى الأدباء المنقودين وعلى الناقد نفسه ، لأنه في نظري بعد طول مشاهدتي له على مسرحه هذا (المرصاد) لم يعد أن يكون أكثر من حاو بارع وبهلوان كبير .

فلنمض معاً ، ولنتتبع سيره خطوة، خطوة، وعثرة عثرة .

عدنان أسعـــد

« قالوا : الشمس والقمر عقربا الساعة ، قلت : والنجوم ثوانيها » .

قال الفلالي : « إنها لفتة ذهنية بارعة» . ولما قرأنا معاً هذه الفقرة ضحكنا ضحكا شديداً، ولا تسلني أيها القاريء لماذا ضحكت ؟ وإنما سل الفلالي لماذا ضحك؟ وقد كددت الذهن بحثاً عن الفحوى والمغزى فلم أجد شيئاً ، وضاع المعنى المراد في هذه اللفتة الذهنية البارعة وتعلمت أنا شيئا جديداً من الأستاذ الفلالي وهو أن اللفتة الذهنية البارعة هي التي يضيع فيها المعنى ولا نفهم منها شيئاً ! .

وقال الأستاذ عدنان : « يا من دعوت الله فلم يستجب لك . هلا غسلت قلبك بصابون الإيمان ! » .

ربما كان المعنى المقصود من صابون الإيمان جلياً واضحاً ، ولكن أترون هذه الكلمة كلمة أدبية تليق بمقام حكم بليغة مرسلة ؟ ثم ما الفرق بين الأديب وبين بائع عصير القصب الذي كتب على (حانوته) (عصير الإيمان) . وبائع القصب هذا في طريق الفلالي إلى منزله يراه كل يوم ! .

عفا الله عنك يا فلالي ففي كتاب (جمر وخمر) زهرات فنية جميلة ولكنك لم تختر إلا الشوك والزقوم ، وعذرا لك يا عدنان مما جنى الفلالي .

عبد الله خطيب

لهب مشتعل ، وبركان ثائر .

آل على نفسه أن يحرق ما يراه بالياً من أوضاعنا المنحرفة ، وموازيننا المختلة ، ولكني إخاله لم يحرق إلا نفسه ، ولعل عزاءه الوحيد أنه قام بواجبه ، وأرضى ضميره .

وهو إنساني ــ بكل معاني هذه الكلمة ــ كما قال الفلالي وإنسانيته ملموسة يعرفها أصدقاؤه ، ولديهم عليها أمثلة عدة . . وسوف لا أذكرها حتى لا أجرح كرامة الرجل الذي يصنع المعروف لذات المعروف ، ويستجيب لداعى الشهامة لذات الشهامة !

شاعر مقل ، عذب الحديث ، قوي الروح ، يمزج أسلوبه في الحديث بفكاهة ساخرة مريرة ، لعلها أمضى سلاح يدافع به عن نفسه .

قد أنصفه الفلالي ، ولا يقدر الرجال إلا الرجال ، ولا يعرف البائسين ، إلا من صارعوا الآلام ، وقاسوا مثلهم مرارة البؤس والحرمان .

(ألا ما أعظم عبد الله خطيب ! لقد كان خليقا أن يكون أنجح رجل في بلادنا لو صحت في مجتمعنا المختل الموازين ، مقاييس النجاح والإخفاق !) .

نزاهة ، ونظافة ، وإنسانية رحيمة ، ووطنية صادقة ، أتريدون أسمى من هذه الخلال ؟ .

مقدمة شعراء الحجاز في العصر الحديث

لهذه المقدمة قصة عجيبة يعرفها أشخاص يعدون على أصابع اليد الواحدة ، وهذه القصة لم يحن الوقت لإذاعتها ونشرها ، وسيأتي الوقت المناسب الذي تنشر فيه بكل ظروفها وملابساتها ومضحكاتها ومبكياتها !

ومن أعجب ما في هذه القصة أنني ثالث ثلاثة أتهموا بكتابتها ، وهو شرف لا أدعيه ، وأنا أقول هذا لأبرر دفاعي عنها ضد الذين هاجموها من غير أن يكونوا على دراية بأصول النقد وتاريخه ، إذ قالوا عنها فيما قالوا إنها (إنشائية) يريدون أنها كلام منمق ولكنه فارغ غث .

والواقع الذي لا شك فيه أن القاريء الحصيف الدقيق النظر يشعر عند قراءتها أن كاتبها توخى الدقة فيما كتب ، وكان يعني ما يقول بكل كلمة سطرها ، وليس العيب إذن في المقدمة بل في الذهن المعوج والفهم السقيم ! .

اقرأ معي رأي الكاتب في أهمية (الأسلوب) للشعر ، ثم احكم وحدك له أو عليه ، وخبرني أهو كلام إنشائى

منمق ، أم هو رأي قيم لكل كلمه فيه دلالتها وفحواها ، ومعناها الخاص ؟ .

« إن بواعث الشعر ــ فكرية كانت أو نفسية ــ هي ذات بواعث الحياة وانفعالاتها ، ومعانيه وخيالاته وصوره هي التي تجول في كل نفس وفكر ، غامضة مكبوحة ، أو واضحة طليقة ، وباهتة أو لامعة .

والكلام هو وسيلة تصويرها والتعبير عنها ، أو هو مادة بنائها فلا جرم كانت ديباجة الشاعر وأسلوبه قوة وضعفاً ، وانطفاء ونصوعاً وصحة واعتلالا ، هي الدلالة والفارق والمقياس وميزان الحكم على قدرة الصناعة ، وحذقها وأهبتها واكتمال أدواتها » .

وإذا دل هذا الكلام في جملته على أهمية الأسلوب أو الألفاظ في بلاغة الشعر ، فإن هذا الرأي قديم عرفه نقاد العرب منذ عصور ، ففي رأيهم أو رأي بعضهم أن المعاني يعرفها العربي والأعجمي والبدوي والحضري وإنما مدار البلاغة على الألفاظ . . .

وما لنا نذهب بعيدا فنظرة في كتاب (فنون الأدب) ترى القاريء الكريم قيمة هذا الرأي لدى نقاد الأدب من الفرنجة .

وهكذا نجد أن هذا الرأي إما أن يكون قد انبثق في

نفس الكاتب ووافق به آراء بعض القدامى والمحدثين من النقاد ، وإما أن يكون قد انبعث من رواسبه العقلية التي تكونت له من مطالعاته الواسعة في الأدب القديم أو الحديث!

وإني لأستشف من تركيز الكاتب الحديث على الأسلوب والصياغة والصناعة ، أن قصة الأسلوب والديباجة — إشراقاً وقوة ومتانة تركيب — هي ما يجب أن نحاسب عليه شعراءنا أولا ، ثم بعد ذلك نحاسبهم على الخيال والعاطفة والمعاني وبقية العناصر المقومة الشعر .

ولهذه المقدمة دلالة خاصة على نفسية صاحبها ، فليس من السهل عليه أن ينزل منزلة المعلن ، أو قارع الجرس ، أو سمسار يروج السلعة بالباطل أو بما يدخل تحت الباطل فهذا مزاح ثقيل الوطأة على مزاجه وعقله ، وامتحان عنيف لطبيعته بما لا تواتيه عليه .

وطبيعة الكاتب الصراحة ، وقد حاول في المقدمة أن يخرج على طبيعته ، فلا يحكم على الأشخاص بأسمائهم وقال : « أما أنا فقد نصبت الميزان ، وأقمت المقاييس ، ومهدت الجادة ، ولم يعد للقاريء إلا أن يزن ويذرع ، ويحدد الفروق والمراتب ، فما يتسع طوقي لأكثر من هذا ولو اتسع لكنت خليقاً ألا أتجاوزه اتقاء لما تجر إليه الجرأة على حرمات الشعراء من نصب الدفاع وأوصاب الذياد

في هذا الزمن المدبر الذي تضخم فيه كل شيء حتى الشعر والشعراء » .

ومع هذا وبالرغم من إعلانه الاحتراس والتقية ، وقبول تهمة العجز عن اضطلاعه بأعباء الملاحاة المتوقعة من نيف وعشرين شاعراً وذوي عصبياتهم ، فقد سمى أربعة أسماء رفعها إلى العلياء في دولة الشعر وهبط بالبقية إلى الحضيض إذ قال : « ومنهم مستحق الرثاء ، ومنهم مستوجب التعزير حتى يعلن التوبة من رفع عقيرته بمثل هذا الهراء » وأي حكم أدبي أصرح وأقسى من هذا الحكم ؟! .

إن كاتب المقدمة الذي حاول أن يغطي على صراحته باصطناعه ذلك اللون من الستار الذي أضفاه على كلامه منذ أول المقدمة إلى قرب نهايتها قد غلبته طبيعته آخر الأمر فأرسلها قنبلة نقدية مدوية في وجه الباطل من الفن، والهراء من الكلام الذي سماه المتشاعرون شعراً !

• القنـــديل

ومعذرة أيها القاريء الكريم عن هذا الاستطراد الطويل ، ولنعد إلى ما كنا فيه نحن مع الأستاذ الفلالي ضد كاتب مقدمة (شعراء الحجاز) في أن العواد لا يعني بالأسلوب ، ومعه كذلك في أن الشاعر الآخر – ولم يسمه الفلالي وأسميه أنا وهو القنديل – ليس من شعراء الأسلوب كذلك وأن

الأبيات التي اختارها برهان قاطع للتدليل على صحة رأيه .

ولكني لست معه في أن القنديل شاعر حلمنتيشي (وحلمنتيشي وحسب) كما قال عنه في مرصاده الأول ، فللقنديل قطع شعرية تدل على أنه شاعر في الفصيح كذلك . . وإن كنت أوثر لو أن القنديل غربل دواوينه الثلاثة فأخرج لنا منها ديواناً واحدا منتخبا قد نفى منه السقط والرديء ليثبت للفلالي ومن لف لفه أنه شاعر في غير الحلمنتيشيات أيضاً . . وأكبر الظن أن الفلالي حين يقرأ شعر القنديل تصطدم أذنه بكلمة (لا شعرية) هنا ، وبيت غريب المعنى يكد الذهن هناك ، وقافيه هي (كالمحط الناشز) هنالك ، فيغضب ويثور لأنه شاعر ذو أذن موسيقية عالية يعني بعذوبة الألفاظ ووضوح المعنى وجمال الموسيقى أكثر من عنايته بالمعاني العويصة التي يدور الرأس في إدراك فحواها ، ولعل في هذا تفسيراً لتلك الحملة الشعواء التي شنها الفلالي على شعر القنديل ، لأنهما في اتجاهين يقف كل منهما من الآخر موقف الضد والنقيض .

• محمد سرور الصبان

وعندما انتقل الأستاذ الفلالي إلى أدب الشيخ محمد سرور الصبان خيل إلينا من تمهيداته أن خلف ما أثاره من عثير جيشاً لجباً صاخباً من النقـــد، ولكن ما كاد ينجلي الغبـــار

حتى رأينا الشيخ محمد هو الظافر بالمعركة، ولا معركة هناك في الواقع لأن جيوش البهلوان كانت من خشب !

ونحن نريد أن نسأل الفلالي (النقاد) ماذا يسمى هذا ؟ أيسميه نقداً حقيقيا صحيحا كما رسم لنا في مقدمته أم هو بهلوانية بارعة ، ولعبة من ألعاب الحواة على الحبال ؟! إننا نترك علامات الاستفهام قائمة في وجه الفلالي لعله يجيب إن استطاع أن يجيب ؟ .

ذلك أننا لم نر في نقده لهذه الشخصية إلا مديحاً متصلا تتخلله نقاط بسيطة مردودة أمثال قوله — حين تطرق الشاعر للشمس بعد أن تحدثت عن الليل — : « ما شأن الغزالة بالليل الآن » وأنا أريد أن أقول للأستاذ الناقد : إن هناك أسباباً لتداعي المعاني ، فإذا وردت للذهن كلمة الخير تبعتها على الفور كلمة (الشر) وإذا وردت كلمة (الليل) تبعتها كلمة النهار ، والغزالة هي أصل النهار الذي لا يتصور وجوده بدونها ، فإذا ذكر الإنسان النهار وثبت كلمة الشمس والعكس بالعكس ، فلا معنى بعد هذا لقول الراصد: « إنها أحاسيس مختلفة تضطرب في نفس الشاعر » لأن العلاقة النفسية قائمة والرابط الفكري موجود — ومثل قوله حين قال الشاعر :

ياليل فارو محـدلـا أخبارنا غبـا فغبـا

« يستقيم المعنى لو أن الشاعر قال لليل : أرو لي أخبار أمثالي لعلي أتأسى وأجد في ذلك طبا ... الخ » .

ومعنى هذا في رأي الناقد أن كلام الشاعر غير مستقيم ، والواقع أنه مستقيم لأن الإنسان يجد التفريج والتنفيس في أن يشيع حديث أمثاله من المهضومين والمنكوبين ويكون له بذلك سلوى أي سلوى ! على أن شاعرنا لم يقل لليل أرو أخباري (للناس) بل قال أخبارنا : أي طائفة الشعراء المحرومين المهضومي الحقوق منذ قديم الزمان ، يرويها ليستشعر الشاعر من سماعها وسماع غيره لها الارتياح وتفريج الكربات ، ويرتكز الدليل الدامغ على أنه يلتمس التخفيف من ذكر حديثه وأحاديث أضرابه في قوله :

فلنـا بذلك حاجـــة إن تقضها فرجت كربا

وهذا شعور حقيقي لا لبس فيه كما بينا .

•محمد سعيد العامودي

وحين تحدث عن صديقنا (العامودي) أثنى عليه بما هو أهله ، إلا أنه بعد أن نعى عليه كفره بالشعر وبمستقبل دولته قال :

« إننا نأسف على هذه الشاعرية ذات الأحلام الذهبية التي وأدها العامودي ولم يتركها تسير مع مثيلاتها في الطريق ».

لا يا أبا عدنان إن العامودي لم يترك الشعر ولم ينبذه في نفسه ، وإنما الأرجح أنه وأده في (قراطيسه) وسيأتي يوم قريب أو بعيد تبعث فيه هذه الموءودات !! وتخرج في ديوان رائع جميل ، وحينئذ يرى المتشاعرون في بلادنا كيف يستطيع الشاعر الأصيل أن يتخذ من الفن السامي أداة لنقد الحياة وإصلاح المجتمع .

إن العامودي من أوسع أدبائنا ثقافة واطلاعا ، ولو أدرك كثير من أدبائنا أن مقومات الأديب العصري اليوم ثقافة واسعة واطلاع غزير لأراحونا من كثير من (السطحية) والغثاء الذي يترفع عنه قلم العامودي الكاتب المثقف الحر !

•محمد حسن عواد

وحين انتقل الفلالي للعواد تعرض لقوله :

وخلقت أفكار التشاؤم فيك تلتذع الفؤاد

فقال : « وهل لليل أفكار ؟ ومتى صار لليل فؤاد ؟ » ونحن — على افتراض أن ليس لليل أفكار ، وليس له فؤاد ولو على طريق المجاز — نود أن نلفت نظر القراء إلى أن العواد يقصد بالليل شخصاً معيناً لا أظن الفلالي يجهله ، والذي يؤكد لنا هذا ، وأن المعني بالليل شخص من بني آدم هو قول العواد في القصيدة نفسها :

والليل في عينيك أهول ماتصور شاعر

وقد أشرت مرة إلى أن أدبنا في كثير من الأحيان يعتمد الرمز والإيحاء ، ولكم كان بودي لو أن الشعراء عندنا فكوا هذه المغاليق وأوضحوا لنا وللأجيال الآتية ما وراء السطور ، وإلا كان لهذا الوضع أثره السيء على نتاجهم الأدبي عندما يتناوله النقاد بالدرس والتحليل

ونحن مع الفلالي في أننا كثيرا ما نقرأ للعواد قصائد لا نحس فيها الأسلوب المشرق الجذاب ، بل بالعكس نجدها محشوة بالألفاظ (اللاشعرية) وهذه السمة لم تخل منها حتى أسماء دواوين الشاعر التي يعتزم إصدارها مثل (الآراد) وهذه الكلمة فيها الغرابة كل الغرابة على القاريء الحديث وأذكر أن طالبا أراد أن يقرأ هذا الاسم فالتبس عليه الأمر فقال : (الردار) . . . ذلك أن هذه الكلمة الأفرنجية الأجنبية أسهل من هذه الكلمة العربية التي هي جمع (رأد) ولعل العواد يقصد بها مجموعة أشعاره التي قالها رأد الضحى من عمره . . وأنا أنصح للأستاذ العواد – إن قبل مني النصح – أن يريح القراء من هذه (التقعرات) وأن يستبدل بمثل هذه الأسماء أسماء أخرى لدواوينه تتسم بالسمة الشعرية التي ترضي الأدب والذوق والفن الرفيع العالي .

•أحمد إبراهيم الغزاوي

وحين جاء دور الأستاذ الغزاوي في المرصاد ، ووصل إلى قوله : :

قــلب ترف به الذكرى محلقــة

فوق (الأناسى) بالأمــلاك يقترن

قال الفلالي : « ما معنى هذين القوسين اللذين حصرت فيهما (الأناسى) ؟ » .

وكأن الفلالي بهذا الاستفسار قد جهل أو تجاهل السمة الكبرى للأستاذ الغزاوي وهي حشد علامات الاستفهام والتعجب والحواصر وغيرها من أدوات الترقيم في شعره حشداً لم نر له مثيلافي التاريخ الحديث وأنا — إذ أقول هذا — أعني ما أقول ، وليس في قولي أية مبالغة . خذ مثلا أيها القاريء أية قصيدة من شعره المنشور في الكتب أو الصحف تدرك صدق ما أدعى . . أو تعال معي نقرأ أية قصيدة له في كتاب (شعراء الحجاز)،ولتكن (تحية الجيل الجديد) . فماذا نجد ؟ نجد(٩) علامات تعجب ، و(٢٨) علامة استفهام و(٢٩)علامة اعتراض ، وثلاثا وثلاثين كلمة بين الحواصر مع ملاحظة أن الترقيم في هذه القصيدة يعتبر نسبياً أقل من المتوسط كثيراً مما هو مثبوت في شعر الغزاوي .

وهذه السمة لها دلالتها النفسية التي تتصل بالشاعر وتنم

عن شعوره بما يسمونه **inferiority Complex** فهو يشعر في أعماق نفسه بقصور شاعريته ، وهو لهذا قد استعاض عن الإجادة الفنية بحسن إلقاء الشعر وجودة إنشاده إذا كان الموقف أن يلقى شعره في المجالس والمحافل . . وبهذه الحواصر وعلامات التعجب والاستفهام المحتشدة إذا كان الحال نشر هذه القصائد في الصحف والمجلات :

وأرجو ألا يفسر هذا بأنه انتقاص للأستاذ الغزاوي ، فما موقفي هنا إلا موقف المفسر لظاهرة نفسية كشف عنها العلم الحديث . . إذ الواقع أننا نقدر مدائحه الملكية الرائعة التي استوحاها من خلال العاهل العظيم مولانا جلالة الملك عبد العزيز ، وحسب الغزاوي فضلا أنه استطاع أن يمضي مجليا في حلبة النظم مدة تزيد عن ربع قرن دون أن يصيبه الكلال ! حفظ الله شاعر البلاط في ظل صاحب التاج .

• عبد الوهاب آشي

ولما انتقل إلى الأستاذ الآشي نعى عليه قوله :

دعاني أساجل أحرارها   وقوما لنقفو آثارها

فقال « إن دعاني لفظة غير شعرية ، وإن خلياني أشعر منها » . فهل هذا صحيح ؟ وهل كان العرب في مثل هذا المقام يؤثرون خلياني ! الواقع أنهم كانوا يقولون : دع

ودعائي كما يقولون خليائي ، ولا نريد أن نمثل بما قالوه في الجاهلية وصدر الإسلام والعصر الأموي ، وإنما نكتفي بمثالين من شعر أبي نواس الحجة في الذوق وحسن الاختيار على الأقل إذ يقول :

دع عنك لومي فإن اللوم إغراء . .

وإذ يقول :

دعيني أكثر حاسديك برحلة

إلى بلد فيه الخصيب أمير

وقد كانت الأحكام التي أصدرها الفلالي على الآشي (منصبة) على ما ورد من شعر الأستاذ الآشي في كتاب (شعراء الحجاز في العصر الحديث) إذ قال : « إن في شعر الآشي مآخذ كثيرة جداً لا تسلكه في عداد الشعراء الممتازين » ونحن نلفت نظر الفلالي إلى أن للأستاذ الآشي في كتاب (أدب الحجاز) قصيدتين من عيون الشعر اتسمتا بالقوة والجزالة ، وكانت ثانيهما — وهي تحت عنوان : آلام وآمال — نحو أمتي ووطني — تفيض وطنية وصدقاً ، وإخلاصاً وجرأة وهي تستحق الإكبار والإعجاب .

إن الآشي أستاذ من أساتذة الجيل . قضى وقتاً ليس بالقصير في نشر الثقافة وتقويم معوج الألسنة ، وله أستاذية على الفلالي نفسه من حيث يشعر التلميذ ولا يدري الأستاذ !

أفلا يذكر الفلالي في بواكير حياته الأدبية وبدء محاولاته لنظم القريض كيف كان يتخذ من ابن عمه (السيد سراج فلالي) وسيلة لتصحيح قصائده وتقويم المختل من بحوره وقوافيه على يد الأستاذ الآشي ، يقدمها سراج على أنها من شعره هو ، ويصححها الأستاذ على هذا الأساس .

ألا يذكر الفلالي هذا ! إنه يذكره — ولا شك — ولا يستطيع ضميره أن ينكره ! وأغلب الظن أن الآشي نفسه حتى كتابة هذه السطور لا يعلم أن أكثر قصائد سراج فلالي التي كان يجري قلمه فيها بالتعديل والتصحيح هي من نظم السيد إبراهيم الفلالي السادر الآن في نقده الأدباء !

خاتمـــة

وبعـــد :

فها أنت ذا – أيها القاريء الكريم – قد قطعت معي هذه الرحلة القصيرة في جو (المرصاد) أفتراه بعد ذلك غير حاو بارع ، وبهلوان كبير تمتد جذور بهلوانيته إلى مفتتح حياته الفنية يوم أن كان يظهر بوجه ابن عمه سراج تجاه الأستاذ الآشي ليصحح له قصيدة !

إنه بهلوان – ولا شك – ولكنه بهلوان مخلص لمهنته أكثر من إخلاصه لما تدره عليه من كسب مادي أو نفع معنوي ، بل ربما جر عليه إخلاصه لهذه البهلوانية ألواناً من المتاعب ، وضروبا من المشاكل وعديداً من (الخصوم) .

وهذا البهلوان قد تميز بسمات خاصة في نقده ، فهو يمزج القسوة بالظرف وروح الفكاهة ، إنه قاس ، ولكنه بعيد عن التبذل والشتم والسباب مما يحط برسالة النقد الحقيقية ؛ وهو لذلك يعفو عن شانئيه وشاتميه ، ويترفع عن أن يناقشهم

الحساب . وإنه ظريف ، ولكن ظرفه يمتزج بلون من (التخابث) تخابث الرجـــل المكشوف الذي صفت نفسه وخلصت سريرته (إن صح هذا التعبير) ، استمع إليه إذ يقول « أخجلتم تواضعنا . . . هيا إلى النقد أيها المعجبون أو أيها المحرّشون » وإذ يقول : « الناس يقومون ويقعدون للمرصاد وما هو في الواقع إلا خميرة عكننة كما يقولون » .

وإنها لخميرة نحن أحوج ما نكون إليها حتى لا يكون أدبنا فطيراً تنفر منه الطباع ، ولا تسيغه الأذواق .

وثمت أمرٌ آخر أريد أن أشير إليه قبل أن أضع القلم من يدي ، وهو أني تباطأت في كتابة هذا النقد فكان الفلالي يلاحقني ويحثني على إنجازه ، وحينما أنجزته أشفقت عليه مما عسى أن يكون قد قسوتُ فيه فأردت أن أطويه عنه ، ولكنه ألح علي في أن يقرأه وأن ينشره ، ولكم كانت دهشتي وأنا أنظر إليه بعد أن قرأ نقدي . أن ألفيه كتمثال جامد لم يتغير ولم يتبدل ، بل قال في لهجة الرجل الجاد : «سأنشر هذا النقد ذيلا لمرصادي في كتاب واحد » .

نعم كان كتمثال جامد ، ولكنه تمثال للحرية الفكرية والسماحة النفسية كما يجب أن تكون هذه السماحة وتلك

الحرية ، فحياك الله يا صاحب المرصاد ، وحيا في شخصك المكافح البهلوان الحر الكريم ، وإلى اللقاء في معركة قلمية أخرى ،، .

عبدالله عبدالجبار

القاهرة : ٢٦ جمادى الأولى سنة ١٣٧١ هـ
٢٢ فبراير سنة ١٩٥٢ م

نقـــد المرصاد

بقــلم

حسن عبدالله القرشي

نقد «المرصاد»

صلتي بالاستاذ السيد إبراهيم هاشم فلالي هي صلة المعجب بأدبه المكبر لفنه ، والأستاذ الفلالي هو أحد الأدباء المخلصين لفكرة الأدب المتشبثين بوسائل إصلاحه وانهاضه والذابين عن حياضه والعاملين على الدعاية الصادقة له ، ثم هو أديب ناقد له ماضيه فليس هو بمقتحم حمى الفكر ولا بطفيلي على رسالة النقد ولا ببعيد عن مجالات الأدب في بلاده وإن نأت به الديار وشط به المزار .

سمعت بمرصاد الاستاذ الفلالي قبل أن اقرأه ، سمعت به فقلت مرحى ها هو ذا أديب حجازي يحمل مشعل النقد في بلاده ليصحح الأوضاع والمقاييس،ويثبت الاوزان والمعايير ،ويضع للادب رصيده،وما من شك في أن أدبنا محتاج إلى ناقد بصير يميز بين الصالح والفاسد ويقوم عوجه وما أكثر اعوجاجــه . لذلك كانت فرحتي على السماع كبيرة وتشوقي على البعد كثيرا .

المنهل ج ١ س ١٢ (محرم ١٣٧١ هـ أكتوبر ١٩٥١ م) .

وأخيرا وقع بيدي (المرصاد) وأخذت أقرؤه قراءة فاحصة ممعنة فوجدت الاستاذ قد عرض في مرصاده تسع قصائد لتسعة من الشعراء هم الاساتذة : **القنديل والعواد والفقي ورجب والسرحان وعرب والجمال والعطار** وكاتب هذه السطور ثم عرض في دراسة عاجلة لخمسة من الادباء جمع بعضهم للشعر والنثر هم الأساتذة : **العطار والسباعي والانصاري والزمخشري والشحاته .**

والذي أعرفه أن النقد شاق ومتعب ذلك لأن النقد فن له أصوله وقواعده فاذا اعتمدنا في نقدنا على أصل واحد أو قاعدة مفردة دون مراعاة غيرها من القواعد جاء نقدنا ناقصا مبتورا .

ولست أدري هل يرضى الأستاذ الفلالي أن نقول عنه إنه ناقد ذكي وإنه لبق في اصطياد الزلات الأدبية والعثرات الشعرية ؟ أم الذي يرضيه حقا أن نقول : إنه ناقـد يقيم أحكامه على موازين سليمة وأسس حكيمة ونظريات معترف بها ؟ .

وأحب أن أقول للاستاذ الفلالي أنني واحد من الذين لا يقيمون لمتقادم الشهرة وبعد الصيت وزنا، ولكنني ممن

يحكمون على الشاعر بآخر قصيدة دون أن يفضلوا نتاجه ككل ، ومن الذين تخف في معاييرهم وطأة الاعجاب بأدبائنا الكبـــار إلى اقصى درجاتها ، ولكنني مع هـــذا لا استطيع أن الغي انتـــاج شـــاعر كالاستـــاذ **القنديل** لأقول عنه في استطراد مر ونقمة أدبية لاذعة إنا بآرائك ونوازعك إلى ميدان النثر فان للشعر قيودا لا تستطيع معها التحليق !! وفيم كل هذا أيها العزيز ؟ الأجل قصيدة شاء وزنها وأسلوبها أن يغطي على بعض ما فيها من جمال ، أو شاء قلم الاستاذ ألا يعرض إلا لنقد أبيات ثلاثة من أبياتها التي تزيد على الخمسين بيتا ؟ .

أما قصيدة الاستاذ **رجب** (حقيقة في خيال) والتي أذكر أنني لم أعجب إلا بالقليل من أبياتها فقد كانت القصيدة الارجوانية في نقده،وقد راح يجهد قلمه البارع في شرح مطلعهـــا :

مشرق يجـــحد دنيـــا الفــــلق

ويغيـــم الكون إن لم يـــشرق

راح يمتدح باخلاص وصبر عجيبين هذا البيت ويحلل معانيه وظلال الفاظه ويكتفي من تقريط القصيدة ومدحها بتقريظه واضفاء شتى نعوت الاستحسان عليه ؟! والبيت بعد لا يستدعى كل هذا الجهد والوقت من الاستاذ الفاضل الذي

دعاه إلى أن يخجل تواضع البيت ويبعث القاريء على التساؤل : هل يستحق البيت كل هذا الثناء ؟ .

أما الاستاذ الفقي فقد بدأ نقده له بانه فسر قصيدته (محاورة) بجملة نثرية ما كان يستدعي المجال ذكرها ، والحقيقة أن الدكتور محمد مندور كان أول من سبق إلى تنبيه الشعراء لخطل وضع هذه الكلمات التي اسماها (قصاصات) على مفرق القصائد ، وذلك في معرض نقده لصديقنا الشاعر الموهوب محمود حسن اسماعيل . . ولعل الذي دعى الدكتور مندور إلى ذلك ما رآه من (موضة) وضع هذه الكلمات لتفسير بعض ما قد يغمض على فهم القاريء من مرامي القصيدة ولعل مخترع هذه القصاصات هو الأستاذ عباس محمود العقاد الذي له عذره لأن شعره الفلسفي في حاجة إلى التفسير .

أنا مع الاستاذ الفلالي إذن في أن هذه الجملة (على قصرها) ليست بذات موضوع ولكنني لست معه في أن لفظة (العجول) في مطلع قصيدة السيد كانت مقحمة فالعاشق مهما طال به المجلس مع محبوبه لا يرى هذا المجلس إلا قصيرا لا سيما إذا جاء (بعد لأي وبعد هجر طويل) والعاشق الابي مهما برح به العشق ومهما انهكه برح الغرام فهو أمام محبوبه متصبر متكتم جلد ، وإن فضحته عيناه وكشفه سهده وسقمه فلا غرابة إذن أن يقول الشاعر :

خالني الزم الفراش من الهجـ

ر وأروي من الدمــوع غليــلي

ولكنه مع هذا نضو سهد وسقام يواريهما التجلد خوف الانهيار أمام سلطان الحبيب، وأمام جبروت الحب وسطوته! وليس كثيرا ايضا على الشاعر أن يقول :

أنا أهوى نفسي العزيزة من قبـــ

ـل هــواي الجمــال والسراء

فالشاعر يهوى نفسه هوى العزة والكرامة مهما صــلى بنار الحب ، ولصديقي الشاعر الرقيق الأستاذ صالح جودت والذي طالما ذاب غراما في وجده قصيدة أذكر منها للاستاذ الفلالي هذه الابيات التي يخاطب فيها محبوبته خطاب المحب المدل برجولته وكرامته :

أجــل أنت فاتنــة إنمـــــا

أرى عــزة النفس لي أفتنـــا

وإن كان عندك ســحر الجمـــال

فسحر الرجولــة عنــدي أنـا

وإن غرورك بحــلو الشبــاب

فان الشباب قريب الفنـــا

إلى أن يقول :

فـلا تجعـلي من غــرور الأنـو
لة بابـا يسد الهــوى بيننــــا
فيــكتم عنــك شئون الهــوى
ويظهر غــير الذي أبطنـــا

أما نقده لقصيدة الاستاذ السرحان فقد كان مخلصا فيه فالسرحان شاعر كبير ونحن لا نقنع من شاعريته المحلقة بقصيدة (الزمان) وإن كنت معجبا بصياغة هذه القصيدة كل الاعجاب وإذا جاءت معاني السرحان يوما متوسطة فان صياغته لا تجيء إلا قوية ناضجة أبدا،على أيه حال فالالفاظ مهما بلغ من جمالها لا تقدم ولا تؤخر في حسن السبك ودقة الرصف،فانت تعجب بالمنزل القوي البنيان الشديد ، الثابت الاركان ، كما تعجب بالمنزل المبيض الجميل الشكل ذي التزاويق والنقوش،بل ربما زاد اعجابك بالاول لانك لا تدري ماذا يضم التزويق من خراب وهلهلة إلا بعد زوال القشرة عنه !

ومن عجب أيضا أن يحكم الاستاذ الفلالي على شاعرية صديقه **العرب** بأنها شاعرية وقفت عند حدها قبل عشر سنوات ، لان قصيدته بالعدد الممتاز لم ترقه فارتكمت فيها المعاني ووضحت فيها (اللفظية) دون تنسيق فظهر كأثرياء

الحرب يتزينون بكثرة ،ايملكون من خواتم الذهب في شتى الاصابع فهلم نستمع إلى حسين عرب من قصيدة أخرى نشرتها له مجلة الكاتب المصري :

يا ساري الليل هلا استصبح الساري
أم ضل مسراه في بيداء مقفـار !
حـبى الحفاظ على حـبي ومقتبلي
واستهدف اليأس آمالي وأفـكاري
فلست أعجب من شعري وسانحتي
ولست أطرب من لحني وقيثاري
يا ساري الليـل خذني في غياهبـة
وأضرب بنـا في متاهات واقفار
فما الحياة سوى اشجان مغـترب
وما النعيم سوى ادلاجة الساري
وما السعادة في رأي سوى شـبح
من الظنون تـوارى خلف منـظار
ألـوم نفسي ولا ألفى لها خـطأ
فانثنى بصبـاباتي وأسراري !

وهذه القصيدة من خير ما كتب الشعراء المجيدون، وأنا

أكتب هذه الابيات الجميلة منها من وحي الذاكرة ولو كانت القصيدة أمامي الآن لاخترت منها ما يعجب الفلالي حقاً. فهل وقفت شاعرية صديقنا الاستاذ عرب عند حدها البـــدائي ؟ .

أما الاستاذ الجمال فقد عاب عليه في قصيدته مع القمر قوله : « أيها اللاهث في حضن السماء » فالقمر لا يلعب في حضن السماء ولكنه يسير في هدوء ووقار كما يسير الشيوخ الكبار . . ليرجع الاستاذ إلى عشرات القصائد في وصف القمر فسيجد أن كبار الشعراء قد وصفوه بما هو أكثر من اللعب والمرح ، لان القمر في كل خيال صورة وما زال مستوحى القرائح ! وفي دنيا المجاز متسع ورحابة ! وعلى أي حال فقد أثنى الناقد ثناء محدودا على شاعرية الجمال في حدود امكانياتها ! .

وإذا ينتهي الاستاذ من نقد الشعراء التسعة ومحاسبتهم على قصائدهم التي نشرت في عدد (البلاد السعودية) الممتاز نرى البحث يجره إلى مطالعة بعض الآثار الأدبية لاعطائها بالدراسة ما تستحقه من النقد . . وهذه الآثار التي تعرض لها الناقد هي : (الهوى والشباب) للاستاذ أحمد عبد الغفور عطار ، و (أحلام الربيع) للاستاذ طاهر الزمخشري ، و (فكرة) للاستاذ أحمد السباعي ، و (بناة العلم في الحجاز الحديث) للاستاذ عبد القدوس الانصاري ، والمختار من شعر الاستاذ

حمزة شحاته في مجموعة (الشعراء الثلاثة) .

فلننظر كيف كانت دراسة الاستاذ الفلالي لهذه الآثار ؟ لقد شاق الاستاذ الفلالي ديوان (الهوى والشباب) للصديق العطار فتعرض لثلاث قصائد منه هي (السلام) و (بل ربيع العمر في هـــذا المكان) و (شقوة) فأثنى ثناء مستطاباً على شاعرية العطار وفي غمرة هذا الثناء كان النقد يهتف بالاستاذ أن مهلا . . فأين مكاني ؟! وتناسى كذلك في غمرة اعجابه بالعطار أنه وعد الديوان بايفائه حقه من النقد ولم يقل حقه من التقريظ لقد انصف العطار حقا ودلل على أنه يستطيع أن ينصف ! وهنا تتحرك حاسة النقد في الاستاذ الفلالي ولكن بعد أن يكون قد انتهى من ديوان (الهوى والشباب) ليستقبل الزمخشري وهو يقدم في تقدير بالغ (أنشودة الملاح) للاستاذ علي محمود طه ، وأنشودة الملاح هي القصيدة الارجوانية في ديوان (أحلام الربيع) وفيها صور زاخرة بالجمال وخفة جرس وعذوبة ايقاع فماذا عمل مع الزمخشري ؟! لقد نظر إلى الزمخشري نظرة رثاء واشفاق وود لولم يسارع بتقديم هديته للشاعر الكبير. لماذا ؟! لأن الحيرة ترين على الزمخشري ، الحيرة التي تدعو إلى الاشفاق وهو يقول :

فمتى ترسو سفيني ؟ فلقـــد

طال مسراي وإني؛ لست أدري

ولأنه يقول :

فمتى ترســو سفيني ؟ إنــي
حائـر ســار يريـد الأبديـــة

والحائر لا يعرف ما يريد . . كأن السائر في طريق الابدية يعرف مستقره ! لا ياصديقي، إنه حائر في خضم الحياة ضارب في متاهاتها :

يرنــو إلى الآباد في وحشـــة
ودون مسراه رمــال وبيـــد

وحينما يقول الزمخشري :

ومطبق الفك فوق الفك في دعة
ومرسل القول بالتهريج في محن

يقول له الاستاذ الفلالي : « يا أستاذ زمخشري ! إن مرسل القول بالتهريج ليس في محن » والزمخشري جلد مصابر فكلما طعنته الأيام بخنجرها رنا إلى الجرح وابتسم وراح يضحك منه هازئاً ويسخر من البلوى مقهقها ملء فيه و (شر البلية ما يضحك) وأعنف الرزايا ما يذهل ! .

أما انتقاده « إذ لا تؤاخذ إلا عثرة اللسن » فاعتقد أن اللسن هي صفة وليست هنا بمعنى اللسان ، أما الكلمات التي وصفها بأنها لا شعورية في قول الزمخشري: « ويحه ،

ويلي ، ألا يا ويحه » فانني أخالفه الرأي وأعدها من مزالق الزمخشري لا سيما في هذه القصيدة التي تجلى فيها جمال السبك وأناقة الصياغة .

أما (فكرة) **السباعي** . . فلست أدري أنقدها الفلالي أم قرظها ؟؟ لأن ترجحه في الرأي لا يدع للقاريء سبيلا لفهم ما يريد أن يقول : أهي قصة ؟ أم رواية ؟ أم ليست قصة ولا رواية ؟؟ فما هي إذن ؟! ولا أتجنى على الصديق الفلالي فهذا ما كتبه عنها بالنص : « وها هي فكرة . . تأليف الأستاذ السباعي . . وانا لا أريد ان انقدها كقصة » لماذا ؟ « فان فن القصة لا زال يحبو في بلادنا وهو في البلاد الشقيقة لم يبلغ الذروة ومن العنت أن نريد من (فكرة) السباعي قصة بلغت الكمال » فهل هي إذن قصة ولكنها لم تبلغ الكمال ؟ لا يجيب الاستاذ الفلالي ولكنه يقول : « فهي على كل حال قصة لم يحاول انتاجها أحد غير السباعي »

ثم يحس بالحرج وملاحقة القاريء له فيقول : « أقصد قصة كبيرة أشبه ما تكون بالرواية لأن السباعي زاول كتابة القصة الصغيرة، وإنه مجهود مشكور ولا يرضينا أن تقف محاولات الأستاذ السباعي عند هذا الحد بل نطلب منه أن يعاود محاولاته لعلنا نرى منه ما يشرف البلاد في هذه الناحية من المجال الأدبي » .

هل (فكرة) قصة ؟ إن الفلالي لا يجيب أو يحاول أن يجعلها بين القصة الكبيرة والرواية ويخلص من هذا بقوله : « لأن السباعي زاول كتابة القصة الصغيرة » ولكن هل نجح السباعي في محاولاته ؟ لا يجيب الفلالي أيضا إلا بقوله : « بل نطلب منه أن يعاود محاولاته » وهكذا يرجع النظر القــاريء فيما كتبه الفلالي فلا يخرج منـــه ألا بترجح الناقد وحيرته ! ولعل مرد هذا كله إلى ما دار آنفا من نقاش طويل حول (فكرة) ، وفي ذهن الناقد صورة مضطربة أو أو غير مفهومة لهذا النقاش ،ويخشى أن يتهم بممالأة السباعي أو محاباة ناقدية ،وهكذا فضل أن يلف ويدور ويحجم ويخلص من هذا كله إلى امتداح تعبير السباعي الشعري،ثم يأتينا بنماذج من نثره الشعري المتألق في صفحة من صفحات المنهل ليقول في ختام كلامه : « هذا نموذج من شعر السباعي المرسل وهو في كل نثره شاعر صافي النفس قوي الأداء رقراق العبارة مرفرف الروح ! ! » كما يقال في وصف قصائد الشعراء : شاعر مشرق الديباجة رائع التصوير جيد السبك ! ونسى الفلالي أنه في هذا المجال لا يبعث بتحية أو بوصف شاعري،ولكنه يزن أثرا أدبيا انفق عليه بادعه عمراً فهل خلص القاريء إلى شيء من هذا ؟ أو هل يرضى السباعي من الناقد بايراد نماذج من نثره ووصفه بأنه شاعر خصيب الخيال .

وقد وفق الفلالي فيما كتبه عن (بناة العلم في الحجاز

الحديث) للأستاذ الأنصاري خاصا بايراد نماذج من أسلوبه تتسم بجمال العرض واتساق التعبير وشمول الاحاطة،وفي امتداحه لأسلوب الصورة الأدبية في مقال (زجل) حيث يتحدث الأنصاري عن شخصية الشيخ محمد سرور الصبان ولكن لعل الأنصاري لا يكتفي من الناقد بالنظر في أسلوبه وهو يقدم في (بناة العلم في الحجاز الحديث) تاريخا ودراسة متعمقة لرجل من كبار الرجال وأفاضلهم إنه لا يعرض للكتاب إلامن زاوية واحدة فأين بقايا الزوايا ؟! .

ولستأدري لماذا اغتبطت وأنا أقرأ ماكتبه عن (الأنصاري الشاعر) فما قرأته من شعر الأنصاري إنما هو نزر يسير ، والنماذج التي أوردها الفلالي تدل على أن الأنصاري شاعر محسن وإن كان مقلا ، شاعر يعنى باشراق الديباجة وتنويق العبارة وفخامة الجرس ! والحقيقة أن الأنصاري كان مجيدا في قولـه :

صقل البيان فـكان في الشـعر
وحي الربيـع و بسمة الزهـر
وحـكت قصائـده بروعتهـا
ذهب الاصيـل ونسمة الفجـر
الطير ترقـص من قصائـده
طربا وتعرض عن صدى القمرى

ولقد اذكرتني أبيات الانصاري أبياتاً في وصف الربيع لشاعر مقل آخر هو الاستاذ محمود محمد شاكر حينما يقول :

أيامـه كالغيـــد نضرهـــا
ترف الصبا وغضـارة الحـب
زهـر نواعم في نضارتهــا
سـحر الحياة وفتنـة القـلب
تمـشى بأنفـاس معطـــرة
تحـيى بريـا الحب او تسـبى
تنساب في النسمات عابثـــة
عبث الـدلال برقـة العـتب
عطـر الحبيب عـلى نسائمها
يذكـي غـرام الهالـم الصب
هذا ربيـــع الناس وا حـزني
وربيـعي الاشواك في قـلبي
أحيـا الشباب ربيـع حبهـم
-نعموا بـه - وأماتـني حـبي

وهكذا ينساب الشاعر هادئا رشيقاً رفرافاً يسبح في دنيا الجمال فيرده واقعه الحائر الكسير إلى أسر غرامه وجحيم

هواه وأشواك قلبه، ويرى نفسه وحيداً منفرداً عن دنيا الناس وعن ربيعهم المشرق الجميل، مجترّاً آلامه وأشجانه في في عزلة كاربة . . . على أنني لست أدري كيف فاتت لفظة (النسائم) الأستاذ اللغوي القدير محمود شاكر فتغاضى عنها إذ بدهي أن النسمة لا تجمع على نسائم وإنما تجمع على نسم ونسمات وأنسام . . . ولكنه غلط مشهور يقع فيه كثير من الشعراء وممن وقع فيه أيضا الجارم يرحمه الله .

هذا استطراد أرجو أن يغفره لي الاستاذ الفلالي فهو الذي ساقني إليه بايراده شعر الصديق الانصاري .

وقد اختتم الاستاذ الفلالي (مرصاده) بالاستاذ حمزة شحاته فحلل ثلاث قصائد من شعره الرائع وأثنى على شاعريته الفياضة وفنه الجهير الخلاب ! ثم أصم أذنيه هنا عن نداء النقد . . ولأهمس في أذنه إن أي شاعر يا صديقي كائناً من كان في علو المكانة ورفعة المنزلة وسموق الشاعرية هو عرضة لأن تغفى شاعريته برهة أو هنيهة عن مجالات الوحي والالهام فيسف قليلا أو كثيراً وحينئذ لا بد أن يجد الناقد في نتاجه ثغرة ينفذ منها أو نافذة يطل على القراء من خلالها ، لأن هذا عمله كناقد وإذا تأثر الناقد بعواطفه وانحاز إلى منقوديه فتلك آفة الآفات .

على أن هذا لا يمنعني أن أقول : إن حمزة شحاته شاعر

ملهم حقاً وقد كان مبدعاً في قوله :

فرب ابتسام دونه وغرة الحشا
واعراضه فيها الحنان المحجب
وقيت الأسى لو انصف الحب بيننا
لما بت أرضى في هواك وتغضب
ولكنه (المقدار) يعبث بالفتى
على وضح وهو البصير المدرب

والمقدار لا يأتي بمعنى المقدور ...

على أنني لا أعتقد أن الشحاتة يرضي من الفلالي أن ينعته بأن شعره يذكره بشعر القدامى وبشعر البحتري وجرير فالشاعر العصري الذي يرق حتى يقول :

يا حبيبتي يا ملتقى السحر والفتـ
ـنة يا غالبي على أمر نفسي
لم كانت ولا أسومك لوما
قسمتي في هواك قسمة وكس ؟
الأني آثرت في حبك القا
هر عزي ذهبت تطلب نفسي ؟
أم لأني ضحيت بالألم الصا
مت أطوى على المراجع حسي ؟

هذا الشاعر يؤذيه على ما أعتقد أن نصف شاعريته بأنها تذكر بالشعراء القدامى وإن كان هذا القول في معرض الثناء والتقدير . . .

وبعد فان (المرصاد) كتاب طريف جدير بالاقتناء ! وأن من يقول : إن الفلالي تنقصه النزاهة وتخونه الصراحة فما أصاب ، ومهما يكن الأمرفانني لا أجد بدآ من الثناء على مجهوده ، ولولا احترامي لأدبه ما تعرضت لنقدبحثه فاكرر تحيتي له متمنيا لكتابه الرواج والازدهار (*) .

(*) «المنهل» : لقد نفدت نسخ كتاب «المرصاد» باسرع من لمح البصر ، وكان بذلك اروج كتاب أدبي صدر في هذه البلاد ، وقد بقيت الطلبات تنهال على إدارة المنهل من شتى الجهات ولكن بدون جواب . .

مطابع الفرزدق التجارية ☎ ٤٧٨٨٥١٠